البابا المعلم

إعداد

القمص
ميخائيل

الشماس
انطون فهمى جورج

25
لقداسة البابا شنودة الثالث

بمناسبة اليوبيل الفضي

البابا المعلم

«سباعيات سهام كلمتك ... شققتك الأرض أنهاراً»
(حبقوق ٣: ٩)

إعداد

القمص
اشعياء ميخائيل

الشماس
انطون فهمى جورج

١٩٩٦م

الكتـــــاب : البابا المعلم .
إعـــداد : القمص أشعيا ميخائيل ـ الشماس أنطون فهمى جورج .
الجمع التصويري : إصدارات اختوس ΙΧΘΥΣ.
الطبـعـــة : الأولى ـ ١٩٩٦م .
المطـبـعـــة : دار يوسف كمال للطباعة ت : ٤٨٢٧٠٧٤
رقم الايداع : ١٠١٨٩ / ٩٦
الترقيم الدولى : 2 - 1691 - 19 - 977

حقوق الطبع محفوظة

صاحب القداسة
الأنبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية

الفهرس

تقديم واهداء ٦

الباب الأول : من كتابات قداسة البابا شنوده الثالث ٩

الفصل الأول: من كتابات الخادم نظير جيد ١١
الفصل الثانى: من كتابات الراهب أنطونيوس السريانى ٤٥
الفصل الثالث: من كتابات الأنبا شنوده أسقف التعليم ٦٩
الفصل الرابع: من كتابات قداسة البابا شنوده الثالث ١١٥

الباب الثانى : البابا شنوده الثالث فى موكب الآباء الأولين ١٢١

مقدمة ١٢٢
الفصل الأول: البُعد النسكى عند البابا شنوده الثالث ١٢٥
االفصل الثانى: البُعد اللاهوتى عند البابا شنوده الثالث ١٣٧
الفصل الثالث: البُعد التربوى عند البابا شنوده الثالث ١٤٩
الفصل الرابع: البُعد الوطنى عند البابا شنوده الثالث ١٦١
الفصل الخامس: البُعد الإجتماعى عند البابا شنوده الثالث ١٦٧
الفصل السادس: البُعد الوعظى عند البابا شنوده الثالث ١٧٩
الفصل السابع: البُعد المسكونى عند البابا شنوده الثالث ١٨٩

تقديم وإهداء

«أما المعلم ففى التعليم» (رو١٢ :٧) «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين» (أف٤ :١١)

حينما إختارت القرعة الهيكلية نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم ليكون البابا البطريرك الـ ١١٧ ، سأل البعض هل سيعظ البابا الجديد ،؟ أم أننا سوف نحرم من الوعظ والتعليم والغذاء الروحى الذى تقتات منه نفوسنا؟ واحتار البعض فى المصير الذى ينتظرهم لو حرموا من عظات وتعليم أسقف التعليم؟

ولكن البابا البطريرك أجاب وطمأن نفوس الرعية بأن الوضع الطبيعى هو أن يعظ البابا، والوضع الغير طبيعى هو ألا يعظ ، وتحدث البابا البطريرك قائلاً أن من أهم وظائف ومسئوليات البطريرك هو التعليم .

إن أسقف التعليم الذى جلس على كرسى مارمرقس الرسول صار البابا المعلم .

ووقف البابا المعلم لكى يعلم فى الإكليريكية أسبوعياً بدون توقف أو إعتذار ، وسمح البابا المعلم بأن تفتح أبواب الإكليريكية لكل من يريد أن يتعلم فى القسم المسائى وفى المحاضرات العامة ايضاً .

وإتسع مجال التعليم ليشمل كل جائع وكل عطشان إلى المعرفة الروحية ، ولقد أحدث البابا المعلم خلال هذه السنوات الخمس والعشرين وعياً روحياً وسط الشعب ، وأشبع الجياع وأروى العطاش من النبع الإلهى الذى يفيض من التعاليم خلال العظات وخلال الكتابة المستمرة وخلال الصحافة الكنسية والصحافة العامة ايضاً .

ووجد الشعب من البابا المعلم الإجابات على جميع الأسئلة التى تقدم له ، وأفرد البابا المعلم وقتاً فى كل محاضرة للإجابة على الأسئلة التى تصل إليه .

ولقد شرح البابا المعلم العقيدة الأرثوذكسية فى محاضراته وفى كتاباته ، فعرف

الشعب الأرثوذكسية وتمسك بها ، ودافع البابا المعلم ضد كل خروج عن الأرثوذكسية بدون مجاملة أو محاباة وقدم فى تعليمه نقاوة عملاً بقول القديس بولس الرسول «مقدماً فى التعليم نقاوة» (فى٢ :٧) .

وقد وصلت تعاليم البابا المعلم إلى أقطار المسكونة كلها ، ولذلك يحق أن يدعى البابا شنوده الثالث معلم المسكونة .

ولقد سجل التاريخ الآلاف من العظات للبابا المعلم فى مواضيع روحية وعقائدية ورعوية وكتابية ، وهذا بخلاف الكتب التى قدمها البابا المعلم للكنيسة .

أما مجلة الكرازة فهى القناة التى تروى كل الرعية خلال المقالات الدورية الى يكتبها البابا المعلم ، فأوجدت عند الرعية فكراً ونهجاً رسولياً .

نعم إن البابا المعلم أوجد فى الكنيسة وحدة فى التعليم ومصدراً نرجع إليه عندما نحتار ونسأل ونطلب المعرفة والإجابة .

وحينما فكرنا فى إصدار هذا الكتاب عن البابا المعلم ، كانت الصعوبة أمامنا هى كيف ننقل كل التعاليم وكل ما أصدره البابا المعلم فى كتاب واحد!!

ولذلك فكرنا أن نقدم مجرد نماذج من كتابات البابا المعلم ، فكان **الباب الأول** عن **كتابات البابا المعلم** ، وأخذنا عينات من هذه الكتابات فى مراحل أربعة وهى:

١) كتابات الخادم نظير جيد .
٢) كتابات الراهب أنطونيوس السريانى .
٣) كتابات نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم .
٤) كتابات غبطة البابا البطريرك معلم المسكونة .

وقد وضعنا فى كل فصل من هذه الفصول الأربعة نماذج فقط من الكتابات .

أما **الباب الثانى** فهو يحوى **الجوانب المشرقة فى شخصية البابا المعلم** وبعض هذه الجوانب تخص شخصية البابا المعلم مثل الجانب النسكى (الرهبانى) والبعض الآخر لهذه الجوانب يخص المجالات الرعوية للبابا المعلم مثل الجانب الوعظى واللاهوتى والتربوى والإجتماعى والمسكونى والوطنى .

وبمناسبة إحتفال الكنيسة باليوبيل الفضى للبابا المعلم ، نهدى هذا الكتاب **لكل نفس عاشت فى جيل البابا المعلم** .

كما نترك هذا الكتاب سجلاً وتراثاً للأجيال المقبلة لترتوى من النبع ولتشبع من الغذاء الروحى للبابا المعلم .

إن هذا الكتاب هو لمسة وفاء وإخلاص للجالس على كرسى مارمرقس الرسول .

ونقول فى نهاية هذه المقدمة أن هذا الكتاب هو أقل من نقطة فى محيط ، إنه مجرد إشارة إلى النبع ، ومجرد سطر فى كتاب ، ومن أراد أن يشبع ويرتوى ، فها هى الآلاف من عظات البابا المعلم ، والعشرات من الكتب التى صدرت له ، والمئات من المقالات الروحية اتى إحتوتها الجرائد والمجلات مثل مجلة الكرازة وجريدة وطنى وغيرها .

نطلب من الله أن يديم لنا حياة البابا المعلم صاحب الغبطة والقداسة

البابا الأنبا شنوده الثالث

لسنين كثيرة سالمة مفصلاً كلمة الحق بالإستقامة
راعياً شعبه بالبر والطهارة قائداً لمسيرة الخلاص
لكل نفس تسعى نحو هذا الخلاص .

القمص

أشعياء ميخائيل

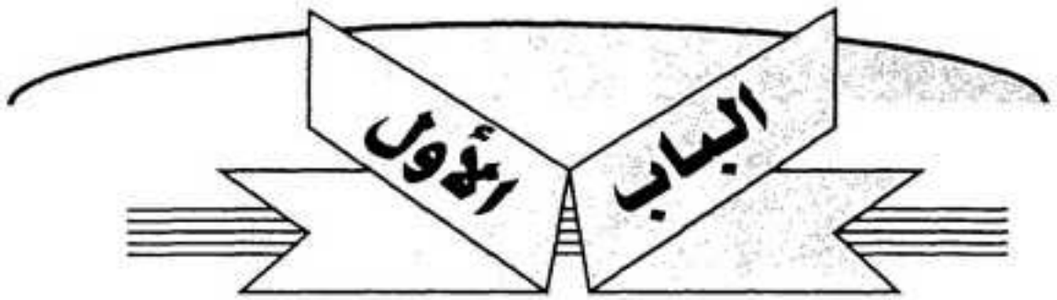

من كتابات معلم المسكونة

قداسة البابا شنوده الثالث

الفصل الأول : من كتابات الخادم نظير جيد

الفصل الثانى : من كتابات الراهب أنطونيوس السريانى

الفصل الثالث : من كتابات نيافة الأنبا شنوده أسقف التعليم

الفصل الرابع : من كتابات قداسة البابا شنوده الثالث

الفصل الأول

من كتابات
الخادم نظير جيد

١) مشاكلك الروحية... مشكة الصمت
٢) مشاكلك الروحية... كيف اعترف؟
٣) الخطوة العملية فى الإصلاح
٤) شيطان الرصيد
٥) إغراء العدد
٦) الجوائز فى مدارس الأحد
٧) سؤال قبل هذا
٨) حول التربية فى الملاجئ: عاملوهم برفق (١، ٢، ٣، ٤).

مشاكلك الروحية (*)

❑ **وعدتنا فى بحث مشكلة الصمت أن تحدثنا عن قواعد المناقشة ، فما هى؟**

+ اعلم يا أخى العزيز أن الغرض من المناقشة ليس أن تهزم مناقشك وإنما أن تربحه وتجعله يؤمن برأيك ، لذلك عليك أن تهتم على الأقل بالنقاط التالى:

أ) مراعاة الوقت ب) عدم جرح شعور مناقشك جـ) النزاهة فى الاراء

+ ناقش الناس فيما يهمهم وإن ناقشهتم فيما يهمك فيجب أولاً أن تشوقهم لحديثك.

+ لا تتدخل فى كل مناقشة ، ولا تناقش فى التوافه التى لا تجلب نفعاً ولا ضرراً ، وابتعد عن المناقشات الغبية العديمة النتيجة والمبنية على المكابرة .

+ لا تكثر الحديث عن نفسك ، ولا تطل لنقاش مع شخص لايتسع وقته لك .

+ استمع أكثر مما تتكلم ولا تقاطع من يحدثك ، وإنما اعطه فرصة ليقول الذى عنده ، ولا تقاطعه ، وإن قاطعك هو فانصت إليه حتى لا ينشغل عن سماعك بأفكاره .

+ إذا وافقك مناقشك على نقطة فلا تكرر الكلام فى إثباتها لئلا تضايقه .

+ إن كان وقتك ضيقاً وأردت الانسحاب ، فانسحب بهدوء وأدب دون جرح للشعور .

+ لا تسئ الظن بعقلية أو أمانة محدثك ، وإنما حاول أن تفهم وجهة نظره .

+ اعرف أن لمحدثك شعوراً يجب ألا تجرحه (حتى لو جرح شعورك) ، وأن له آراءه الخاصة وأفكاره التى ليس لك أن تحتقرها ، وإنما أن تتفاهم فيها معه .

+ لا تتهكم على محدثك ولا تحاول أن تظهره بمظهر العاجز أو المهزوم .

+ إذا كسبت نقطة أثناء النقاش فلا تنتفخ فى افتخار وإنما انتقل إلى غيرها فى هدوء دون أن تشعر محدثك أو سامعك بأنك قد انتصرت .

+ لا تلجأ إلى الطرق العالمية كأن تقول رأياً ثم تضحك فى إنتصار ، وتضحك من حولك

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الرابع ـ السنة الرابعة ـ أبريل ١٩٥٠م ـ صـ ٣٧ ، ٣٨ .

على محدثك ، وتختم المناقشة دون أن تسمع رأيه تاركاً إياه شبه مهزوم .

+ إذا أخطأ محدثك فلا تجرحه ، وإن حاول أن يسحب رأيه فلا تخجله فى إنسحابه.

+ إن كان فى مناقشك عيب معين كصوته أو طريقته فى الكلام أو لعثمته أو منظره فلا تجعله يشعر بأنك لاحظت ذلك ، تجاهل هذه التوافه .

+ تجنب الألفاظ القاسية التى تؤلم محدثك بطريق مباشر أو غير مباشر فلا تقل مثلاً «الذين يؤمنون بهذا الرأى مهرطقون أو أغبياء» فى حين يكون واضحاً أنه ممن يؤمنون بهذا ، قل ببساطة «إن الإنجيل أن قوانين الكنيسة تقول عكس هذا....» .

+ لا تقف من مناقشك موقف المعلم وإنما وقف المتفاهم ، وإن أردت أن تفهمه شيئاً جديداً فلا تشعره بهذا ، اشعره أن الجديد الذى أتيت به هو رأيه لا رأيك .

+ لا تسأل من يناقشك أسئلة محرجة أو بصوت مرتفع وإنما كن وديعاً هادئاً فى نقاشك.

+ لا تنظر فقط إلى النواحى الخاطئة فى رأى مناقشك وإنما ايضاً إلى النواحى الحسنة، طوّبه عليها . من الجميل أن تستعمل عبارات «هذا حسن ، هذا معقول ، على رأيك» . اجعل مناقشك يشعر أنه أمام صديق يقدره وليس أمام خصم يتصيد له الخطأ .

+ كن نزيهاً فى مناقشتك فلا تغالط ولاتخدع مناقشك بآراء تجهلها ، ولا تذكر له محاسن أمر متجاهلاً مساوءه ومعتمداً على جهل محدثك به .

+ إذا ثبت لك أن فى رأيك ناحية ضعف فلا تضح بالحق فى سبيل كبريائك .

+ لا تدع العلم بجميع الأمور ، وإن سألك محدثك فى نقطة تجهلها فلا تخجل من التصريح بذلك ، ولا تخجل من أن تطلب من محدثك أن يشرح لك كما يعرفه عنها ، واقبل من شرحه ـ فى شكر ـ ما يتفق مع الحق والعدل .

+ هناك ملاحظات أخرى كثيرة لم يتسع المجال لذكرها ، فسامح تقصيرى .

نظير جيد

مشاكلك الروحية (*)

❑ كيف اعترف ، وما هى الخطايا التى نعترف بها...

+ اعلم يا أخى العزيز أن سر الاعتراف يسمى فى الكنيسة ايضاً سر التوبة ، فهو إذن ليس مجرد اعترافات تتلوها على مسمع أبينا الكاهن وينتهى الأمر ، وإنما هو توبة ، أعنى شعور المعترف بأنه قد أخطأ جداً ، وأنه قصر كل التقصير فى حق إلهه الذى أحبه ، لذلك هو يأتى بنفس منسحقة للغاية ومريرة جداً ليعتذر لربه عن خطاياه ، عازماً أن يتركها نهائياً إلى غير رجعة ، طالباً من الله أن يساعده على ذلك ويعطيه القوة التى يقوده بها فى موكب نصرته.. فهل تذهب يا أخى إلى الاعتراف بهذه النفسية...طوباك.

+ لذلك عليك أن تستعد قبل الذهاب إلى الإعتراف ، اجلس وحاسب نفسك حساباً قاسياً عسيراً ، قارن بين معاملة الله النبيلة لك ، وبين جحودك ونكرانك ، قارن بين حياتك وحياة الآباء القديسين ، تذكر قول القديس بولس أن البار بالجهد يخلص ، واسأل نفسك أين تظهر أنت الخاطئ... فإذا ما صغرت نفسك فى عينيك ، وإذا ما شعرت بعمق خطيئتك وبحاجتك إلى المعيشة من جديد مع المسيح عند ذلك اذهب بنفسك المنسحقة هذه إلى أبينا الكاهن .

+ إن حساب النفس فوق أنه يهبك فضيلة الإنسحاق فهو ايضاً يبعدك عن نسيان خطاياك . الشخص الذى يحاسب نفسه بإستمرار لا يشكو من النسيان أمام أبيه الكاهن.

+ عندما تجلس أمام أبيك الكاهن ، لا يجب أن تكون لك دالة عنده ، إنس شخصيته واسمه وعلاقتك به ، وتذكر أنه نائب الله ، وكيله الذى يحاسبك على خطاياك ، لذلك لا تذكر خطاياك كشخص يقص قصة أو يروى خبراً إنما بألم وخوف .

+ اعترف بكل نوع من أنواع الخطايا: خطايا العمل والقول والفكر والحس .

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الخامس ـ السنة الرابعة ـ مايو ١٩٥٠م ـ صـ ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

+ واعلم يا أخى أن كل خطية لا تعترف بها تظل باقية مهما تحسنت حالتك فيما بعد ، ستظل تقلقك حتى لو صرت قديساً....

+ اهتم بتفاصيل الخطية التى تظهر لوناً من البشاعة ، حتى تظهر أمام أبيك الروحى على حقيقتك .

+ إعلم أن مكان الخطية وزمانها والشخص الذى أخطأت معه أو إليه ، كل ذلك له تأثير على مقدار إيمانك ، فهناك فرق بين قولك «نظرت يا أبى نظرة شريرة» وبين قولك «وكانت هذه النظرة فى الكنيسة» أو «نظرت تلك النظرة الشريرة فى يوم من أيام الصيام» أو «كانت تلك النظرة إلى إحدى قريباتى» . يجب أن تهتم بهذه التفاصيل لأنها لازمة .

+ احياناً تكون خطيئتك خطيئة مركبة ، أى أنها تشتمل على عدة خطايا فى وقت واحد ، ولا يكشف ذلك إلا ذكرك للتفاصيل ، فهناك فرق بين قولك «غضبت يا أبى وتعاركت» الذى لا يعطى فكرة كاملة عن مقدار إثمك وبين قولك «حدث أننى ضايقت شخصاً من الأشخاص مضايقة أدت إلى عراك وفى أثنائه ارتفع صوتى واحتددت وتبادلت معه بعض السباب مما جرح شعور ذلك الشخص ومما جعل الحاضرين يأخذون فكرة سيئة عن المسيحيين حتى أن بعضهم جدف على الله بسببنا وقد انتهى الأمر فوق كل هذا بخصام دام مدة من الزمن» ألا ترى يا أخى أن هذه التفاصيل قد كشفت عدداً وافراً من الخطايا لم تكن لتوضحه مطلقاً مجرد كلمة «عراك» .

+ إن ذكر التفاصيل ايضاً يعطى للكاهن فكرة عن نوع العلاج الذى يجب أن يقدم لك فمثلاً هناك فرق كبير بين قولك «فكرت يا أبى أفكاراً شريرة» وبين بيانك نوع هذه الأفكار: هل هى تختص بالناحية الجنسية ، أم الحسد أم الإنتقام أم الكبرياء...

+ اهتم كذلك بمدة الخطية: هل هذه الخطية مستمرة عندك ، أم اقترفتها مرة واحدة أم أكثر... وما مقدار المدة التى تقضيها فى الخطية كل مرة: هناك فرق كبير بين شخص يقول «جلست فى مجالس المستهزئين وسط الخطية ومرت ربع ساعة أو نصف أو ساعات دون أن يؤنبنى ضميرى ، ودون أن أغادر المكان ، بل كنت ملتذاً بذلك المجلس» هناك فرق بين هذا وبين آخر يكتفى بقوله أنه جلس فى مجالس المستهزئين .

أليس من الواجب أن تذكر شعورك أثناء الخطية ومقدار حساسية ضميرك .

+ لا تحاول أثناء الإعتراف أن توجد لنفسك عذراً .

+ اهتم بالناحية الإيجابية: لا تعترف فقط بالأخطاء التى فعلتها وإنما ايضاً بالفضائل التى قصرت فيها ، اهتم بهذه الناحية فقد قال يعقوب الرسول «من يعرف أن يفعل حسناً ولا يفعل فتلك خطية له» إن مر عليك يوم لم تصنع فيه خيراً فيجب أن يؤنبك عليه ضميرك وتعترف به .

+ لا تعترف بالخطايا الروحية فقط وإنما كل شئ ، إن كنت تلميذاً وقصرت فى واجبك فرسبت فى درس ما أو تأخر ترتيبك فيجب أن تعترف بهذا ، وإن كنت موظفاً وقضيت يومك الرسمى فى قراءة الجرائد وتجاذب أطراف الحديث والفكاهة مع الناس دون إنتاج فيجب أن تعترف بهذا ايضاً لأن ذلك الوقت لم يكن ملكاً ، إنك بعته وأخذت عنه أجراً هو مرتبك .

+ اعترف بكل تقصير تلاحظه فى نموك الروحى ، كما تعترف ايضاً بوقف نموك إن حدث ذلك ، لأن المسيحى هو شخص ينمو بإستمرار فى حياة النعمة حتى يصل إلى ملء قامة المسيح ، إذا لم تتحسن حالتك اليوم عن الأمس ، وباكر عن اليوم ، فلابد أن هناك خطية رابضة تمنعك من المسير إلى الأقدام .

+ اذكر ايضاً خطايا العشرة ، ربما لا تكون بذاتك قد أخطأت وإنما جعلت الاخرين يخطئون .

+ بعد الاعتراف: اعرف أنك قد برأت فلا تعد تخطئ ايضاً لئلا يصيبك أشر ، كن حريصاً وحذراً جداً ، ودقيقاً كل الدقة فى أعمالك .

+ يحسن بعد الاعتراف أن تسير بمفردك تتأمل فى كم فعل الرب بك وتستفيد من حالتك الروحية وتخزن لمستقبلك ما يفيدك ، من الأخطاء التى يقع فيها الكثيرون أنهم يذهبون إلى الاعتراف جماعات ويقضون الوقت الذى يسبق الاعتراف فى سمر وحديث وربما فكاهة ايضاً كأنهم لا يشعرون بالندم على الخطية ولا بإنسحاق النفس... ثم يخرجون بعد الاعتراف معاً يتحدثون فى الطريق فى العالميات وهكذا يفقدون كثيراً...

+ إذا سهوت سهوة بعد الاعتراف ، فعليك أن تعترف بها قبيل التناول ، فى فترة

القداس التى يتفرغ فيها أحد الآباء الكهنة للمعترفين . إن هذه الفترة وجدت لسماع سهوات الذين سبق لهم أن اعترفوا بكل شئ ، ولم توجد لتعترف فيها اعترافاً كلياً وتتناول مباشرة ، هذا خطأ ويجب تجنبه .

+ اعرف من أين سقطت وتبت ، لا تكرر نفس الاعتراف كل اسبوع فإن ذلك يدل على إنعدام التقدم ، وإنما اجلس إلى نفسك واعرف من أين أتاك الخطأ ، واستعرض طرق التهرب منه ، وبإرشاد أبيك الروحى ومحبة الله لك تتخلص من متاعبك وتعود مرة أخرى ولك صورة الله ، عند ذلك لا تنسانى وإنما اذكرنى فى خلواتك وتأملاتك .

نظير جيد

الخطوة العملية في الإصلاح (*)

جهود ضائعة

لو كان الكهنة فى الكنيسة يقومون بواجبهم على أتم وجه ، فى خدمة الشعب روحياً لصلحت حالة الشعب جميعاً من كل ناحية ، ولظهرت القداسة كثيرة واضحة للكنيسة ، وما كنا نحتاج إلى هذا التعب الكثير الذى يبذله «المصلحون» .

ولكن غالبية الكهنة لا يقومون بواجبهم كما نود ، لسبب واحد وهو أنهم غير معدين لهذه الخدمة من كافة النواحى الروحية والعقلية والثقافية والشخصية .

فماذا نعمل لكى نصلح الحال؟ وماذا فعل «المصلحون» فى الماضى؟

رأوا الإكليروس ضعيفاً والفساد منتشراً ، فبكوا طويلاً وانتقدوا الكهنة وشهروا بهم ، وصاحوا وضجوا ، فماذ حدث؟ إزداد ضعف الكهنة ، ولم يصلح الحال .

هذا ما فعله العاطفيون من «المصلحين» ، أما الذين هم أكثر «جرأة» ، فقد سلبوا رجال الإكليروس من سلطانهم وتولوه بدلاً عنهم ، وهكذا نشأت المجالس الملية فى كل أجزاء القطر ، كما ظهر نظار الكنائس ورؤساء الجمعيات فأخضعوا الكهنة لهم مالياً وإدارياً . فماذا حدث؟ هل صلحت الحال؟ كلا ، لقد استمر الفساد ، وزاد جهل الإكليروس وضعفهم ، وتعلموا التملق والخضوع للأعيان والأغنياء و«الأراخنة» و«الرؤساء» .

أما أفراد الشعب الذين تعودوا إحترام الإكليروس ، والنظر إليهم كقدوة ووكلاء الله فقد صدمهم ضعف الإكليروس فمنهم من ترك الكنيسة ، ومنهم من ترك الدين ، ومنهم من استهتر بالسلطان الكنسى والقوانين الكنسية... ولم تصلح الحال .

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الرابع ـ السنة السابعة ـ أبريل ١٩٥٣م ـ صـ ١، ٢ .

التفكير العملى السليم

لنفكر إذن تفكيراً عميلاً يوصلنا إلى الإصلاح المنشود ونلخصه فى النقاط الاتية:

١) نحن لا يمكننا إطلاقاً الإستغناء عن الإكليروس لأننا كنيسة تؤمن بالوضع الإلهى فى تأسيس سر الكهنوت ، ولانستطيع أن ننحرف إنحراف البروتستانت الذين لما ضعف الإكليروس فى الكنيسة الكاثوليكية ، خرجوا بسببه عن التفسير الصحيح للدين .

٢) ونحن نؤمن أن ضعف الإكليروس يضعف الكنيسة كلها وتقويته يقويها ، لأنه هو المكرس لعمل الله ، ونؤمن أن ما يستطيع كاهن واحد أن يعمله فى نطاق سلطانه أقوى بكثير مما يستطيع عمله مئات من العلمانيين .

٣) ونؤمن أن سلب الإكليروس من سلطانه وإهماله والاستمرار فى هذا الإهمال سيضر بالكنيسة أكبر الضرر .

لذلك نؤمن بتقوية الإكليروس وإعطائه كل الإمكانيات التى يمكن تقديمها له...

٤) ولذلك كله ننظر إلى الكلية الإكليريكية على اعتبار أنها الخطوة العملية الأساسية فى الإصلاح . إن صلحت الإكليريكية ، وقدمت لها المعونة الكافية ، وخصص الجهد الأكبر للنهوض بها ، تستطيع هذه الكلية بنعمة الرب أن تخرج الكهنة الصالحين ، وإذا وجد الكهنة الصالحون سينهض الشعب جميعه ، وبهذا نكون قد وصلنا عملياً إلى الإصلاح .

٥) فإذا كانت الإكليريكية فى حالة ضعف نتيجة لعدم الإعتناء بها ، فليس معنى هذا أنها تستمر هكذا ، وإنما يجب أن تقوى وتقوى لأنها الخطوة العملية فى الإصلاح وقد كانت الكنيسة فى أوج عظمتها عندما كانت جامعة الاسكندرية اللاهوتية فى أوج عظمتها ، ولما ضعفت تلك الجامعة اللاهوتية ، ضعفت الكنيسة تبعاً لذلك .

٦) ولهذا فبديهى أن كل غيور ينادى بالإصلاح ويهمل الإكليريكية هو إما جاهل بالكنيسة وإما متجاهل للأوضاع السليمة لسبب أو غرض لا ندريه .

٧) وإذا كان المجلس الملى الحالى يريد أن يقدم خدمة حقيقية للكنيسة ، فعليه أن يبدأ بالإكليريكية ، ويركز كل جهده فيها ، إن لم تكن بصورتها الحالية تروق فى عينيه فليضعها فى الصورة المثالية التى يجب أن تكون عليها جامعتنا اللاهوتية .

والشعب القبطى ايضاً عليه أن يشجع الإكليريكية من ناحية وعندما يختار قادة الرأى فيه يجب أن يشترط فيهم حب الإكليريكية حتى يصلح الكهنة فتصلح الكنيسة جمعاء.

شيطان الرصيد (*)

إنه رجل وقور أشيب يعمل عضواً فى جميعة معروفة ، كنت أجلس إلى جواره فى إجتماع عام ، فمال يهمس فى أذنى «هل تعرف بكم بدأت جمعيتنا؟ إنها بدأت بكذا قرش ، أما الآن....» فأجبته «نشكر الله الذى بارك فى الإيراد ولكن نرجو أن تنفق هذه الآلاف فى عمل إنتاجى خيرى مفيد» .

لقد أصبح الرصيد المدخر فى البنوك هو ـ ويا للأسف ـ مقياس النجاح عند الكثيرين، والجمعية التى تملك المال الوفير هى فى نظر الكثيرين جمعية «كبيرة» «ناجحة» !! بل أن بعض الجمعيات الصغيرة الناشئة تضع أمامها هذه الجمعيات الغنية كمثل عليا ، وهكذا تتعبد مثلها لشيطان الرصيد .

اذكر بهذه المناسبة أننى قرأت مقالاً فى مجلة قبطية يمتدح فيه كاتبه أحد رؤساء الأديرة ويصفه بأنه رجل «ناجح» «نشيط» «نفع الدير كثيراً» !! ويستدل على ذلك بأن أملاك الدير وأطيانه قد إزدادت بوفرة فى عهد ذلك الرئيس!! طلب منى محرر هذا المقال أن أبدى الرأى فيه فقلت له: «... إنك تسئ إلى الكنيسة يا صديقى بهذه الدعاية. إذ أنك تشجع رئيس الدير بمدحك هذا على المضى فى سياسته والتعبد لشيطان الرصيد... هل تعتبره نجاحاً أن تزداد أملاك الدير بينما تهلك النفوس ، وتموت كثير من المشروعات الحية مفتقرة إلى المال.... » .

إن الكنيسة فى الواقع فى حاجة إلى إنفاق لا إلى رصيد ، وما قيمة الأرصدة إن كانت لا تنفق فى الخير؟ عندما يموت رئيس الجمعية الكبيرة ويقف أمام الديان العادل وقد تبعته أعماله ، هل تشفع فيه عشرات الآلاف من الجنيهات المكدسة فى البنوك؟ هل يقف شيطان الرصيد وسيطاً بينه وبين الله؟ يخيل إلى أن الغشاوة ستقشع عن عينى هذا الرئيس فيرى الفقراء والمساكين والمعتازين والمرضى والمتعبين ، كل أولئك يراهم

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الخامس ـ السنة السابعة ـ يوليو ١٩٥٣م ـ صـ ١، ٢.

واقفين كدليل ضده فى يوم الدين... ستتمثل مرة أخرى مأساة الغنى واليعازر...

هناك مشروعات كثيرة تقوم بها الجمعيات «الكبيرة» لها مظهر من مظاهر الخدمة ، ولكنها فى حقيقتها مصدر يدر المال .

تنشئ بعض الجمعيات مستشفيات ، وينشئ البعض الآخر مستوصفات ، وينشئ البعض الثالث مدارس... كل هذا حسن ، ولكنه يتحول فى كثير من الأحيان إلى مجرد مصدر من مصادر الرصيد وليس غير ، أما المشروعات التى تحتاج إلى إنفاق مثل الملاجئ والمدارس الأولية فمن النادر أن يساهم فيها دير أو جمعية كبيرة ، كل أولئك يريدون جمع المال لا إنفاقه!! قال لى أحدهم أنه ذهب إلى إحدى المستشفيات القبطية فأخذ فكرة سيئة عن المسيحية والمسيحيين من سوء المعاملة مالياً والخدمة .كانت الجمعية التى أنشأت المستشفى تتعبد لشيطان الرصيد .

ومن مظاهر هذا التعبد للرصيد المعاملة السيئة التى تعامل بها الجمعيات موظفيها: مرتبات ضئيلة زهيدة تقود الموظفين إلى الإستدانة ، وإلى مرض السل أحياناً ، وإلى جوار ذلك آلاف مدخرة فى البنك يعتبرها البعض دليلاً على النجاح وإن هى إلا وصمة عار فى جبين كل عضو من أعضاء تلك الجمعيات .

ومما يؤلم أن كثيراً من أمناء الصندوق فى الجمعيات يظنون أنهم يقفون موقفاً مشرفاً أمام مجلس الإدارة أو أمام الجمعية العومية عندما يتضخم الصندوق فى عهدهم!! لذلك إما أن يقفوا عقبة فى طريق المشروعات ، وإما يقترحوا سياسة تقشف لمؤسساتهم حتى يقل الإنفاق بقدر الإمكان ولو على حساب الفقير والمعوز والمسكين ، لا مانع لدى عضو الإدارة أن يقول مثلاً «فلتهبط الخمسون جنيهاً للفقراء فى العيد إلى عشرين لضبط الميزانية!!» أية ميزانية يا صديقى؟! انفق والله يرسل ، إنه غنى ... ولا تتعبد لشيطان الرصيد .

وهمسة أخيرة ألقيها فى آذانكم جميعاً . إن المتبرعين يهمهم أن يرسلوا تبرعاتهم إلى الهيئات الفقيرة لأنها أحق ، فرصيدكم المرتفع سيمنع عنكم عطايا الله لأن هناك جمعيات فقيرة أحق منكم .

إغراء العدد (*)

بعض مدرسى مدارس الأحد يقيسون نجاحهم بعدد طلبتهم ، وليس بعدد النفوس الخالصة منهم ، ولذلك فهم فى أول عهدهم بالتدريس يجتهدون فى إزادة العدد بكافة الطرق ، وحسن أن يزيد عدد الطلاب فيهم لا ليفتخر المدرس بهم ويتباهى ، ولكن الأمر له بعض نواحى الخطورة .

مشاكل

١) يحدث فى كثير من الأحيان أن المدرس عندما يزيد عدد تلاميذ فصله ، لا يستطيع أن يؤدى خدمته كاملة بينهم ، فيبدأ فى الإهمال ، رأيت فى بعض فروع مدارس الأحد فصولاً يضم الواحد منها حوالى ٤٠ أو ٥٠ ولداً فذهلت ، كيف يستطيع المدرس أن يحفظ النظام وسط كل هؤلاء؟ وكيف يستطيع أن يفتقدهم؟ وكيف يستطيع أن يجلس جلسة خاصة مع كل واحد منهم؟ وكيف يستطيع أن يلم بظروفهم وحالتهم الروحية؟!! واخيراً عرفت ـ للأسف الشديد ـ أن هذا المدرس لا يعرف حتى مجرد أسماء هؤلاء التلاميذ ، فتألمت ونصحته بإقلال العدد حتى يستطيع أن يقوم بالواجب المطلوب منه ويكون خادماً أمينا...

٢) بعض المدرسين يهتم بالعدد أياً كان ، أى أنه يريد أن يمتلأ الصفوف بأولاد ، أى أولاد ، ولأنه لا يستطيع أن يفتقد كل تلاميذه ، يحدث أحياناً أن يغيب عن بعضهم وفي نفس الوقت ينضم تلاميذ جدد ، وبعوض هؤلاء أولئك ، ولا يحس المدرس بغياب من غابوا لأن الجدد عوضوا العدد وأشبعوا لذته فى أن يرى الكثيرين يتتلمذون على يديه، وهكذا يتحول فصل هذا المدرس إلى معرض للوجوه الجديدة بحيث يكون طلبته هذا الشهر غير طلبته فى الشهر الماضى ، وقد رأيت أحياناً عند بعض المدرسين سجلاً يحمل من ٨٠– ١٠٠ اسم يواظب منهم حوالى العشرة ويتغير الباقون حسب الظروف ،

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد العاشر ـ السنة السابعة ـ ديسمبر ١٩٥٣م ـ صـ ٨،٩.

والمدرس لا يستطيع أن يفتقد أحداً من هؤلاء!!

٣) يحدث فى أحيان كثيرة أن يسعى إلى إزادة العدد بحث الطلبة على ذلك ، وبتوزيع الجوائز ، ثم ينمو العدد ، ويدرك المدرس بغيته ، ويحجم عن الإهتمام بجلب طلبة جدد لأنه لا يقوى ، ويشعر الطلبة أنه لا يوزع جائزة لإحضار طالب جديد بل يقابل الأمر بفتور ، فيترك أثراً سيئاً يظهر مفعوله فيما بعد .

٤) فى كل الأحوال ، كلما يزيد عدد الطلبة فى فصل ، كلما يرتفع صوت المدرس، وتزداد جلبة الأولاد حتى تتحول مدارس الأحد كلها إلى ضجيج ، يؤذى سمع كل من يدخل الكنيسة ، ويحدث نتيجة لذلك أن يعطل كل مدرس على زميله الذى يجاوره ، وتتأذى أعصاب الأثنين ثم ما يلبثان أن يعتادوا الضجيج والصخب ، ولذلك يحدث أحياناً تضايق من الكاهن أو أى زائر يرى الكنيسة على هذا الوضع . أما المدرس الذى يمتاز فصله بقلة عدده فإنه يلقى درسه ويظهر هذا الهدوء فى صوته وفى ملامحه وفى وداعته ، ويظهر الهدوء فى التلاميذ الذين يستفيدون قدوة وعلماً...

ولكن....

ومع كل ذلك نحن لا نستطيع أن نمنع الأولاد الكثيرين من المجئ إلى مدارس الأحد، بل نشعر بفرح عظيم عندما يمتلئ بيت الله من المصلين والعابدين ، ولكننا نحب أن نفوق بين كثرة الأولاد فى مدارس الأحد ، وكثرة الأولاد فى الفصل الواحد ، يمكن أن يزداد العدد جداً فى الفرع الواحد ، ولكن يتوزع العدد الكبير على فصول كثيرة بحيث لا يزيد تلاميذ كل فصل عن عدد معين ، يمكن للمدرس أن يعتنى به فى حدود إمكانياته .

ولكن كثرة الفصول لها مشكلة أخرى تتعلق بعدد المدرسين ، وقد حلتها بعض الفروع بأن يأخذ المدرس الواحد مسئولية أكثر من فصل ، وتتوزع الدراسة فى مدارس الأحد على يومين أو دورتين فى يوم واحد ، ولكننا مع ذلك سنعرض الأمر للبحث .

الجوائز في مدارس الأحد (*)

إن فرصة العيد فرصة طيبة للحديث عن جوائز مدارس الأحد ، أو بتعبير أكثر صحة «هدايا مدارس الأحد» فإن مدارس الأحد تحرص على إعطاء أولادها فى الأعياد هدايا مختلفة ، ولذا يستحسن أن يكون موضوع هذه الهدايا مجال بحث صغير .

فلنحترس أولاً أن لا يغيب عن أذهاننا الغرض الحقيقى من إعطاء الهديا فى مدارس الأحد ، وهو يتلخص فى إظهار محبة اللكنيسة للولد: فالهدية علامة ـ لا ينبغى أن ننسى هذا ، وقد يكون من نتائجها (لا من أغراضها) أن يواظب الولد على حضور مدارس الأحد ، أو يتشجع على ممارسة الأمر الدينية الصالحة ، أو يجمع لنفسه مجموعة دينية جميلة ، ولكن فلنفهم دائماً ولنفهّم الولد أن الهدية ليست ثمناً لما يفعل ، نسمو بنفسيته عن الجزاء والثواب فى الأمور الدينية .

فلا يليق أن نعتبر الهدية ثمناً لحضور الولد للكنيسة أو مدارس الأحد ، وأن يكون حرمانه منها سبيلاً لقولنا له «لن تأخذ جائزة لأنك لم تفعل هذا الأمر؟» لأن ذلك يطبع فى ذهن الولد أن مدارس الأحد مكان للمساومة: يعطيك حضوره ليشترى هدية ، ولن يراك بعد ذلك ، أيها الخادم ، أخاً حبيباً ومرشداً نافعاً ، بل سيعتبرك تاجراً رقيقاً وبائعاً حازماً .

وليتنا نوفق كثيراً فى هذا الموضوع ، خصوصاً كلما كبر سن الولد ، فإن الهدايا فى هذه الحالة ينبغى أن تقل مناسباتها وتختلف عن هدايا الصغار ، كما ينبغى أن تتساوى فى القيمة للجميع ، وإذا جاز أن تختلف وتتنوع الهديا بالنسبة للأولاد الصغار ـ إلى سن العاشرة ، الذين يحكمون بالمحسوسات فقط (تقريباً) ويفهون بتنوع الهديا وما يجب عليهم عمله وما تستحسنه منهم الكنيسة ، فإنها تقل مناسباتها وتتساوى قيمتها للأولاد الكبار الذين يتشرك عقلهم مع حواسهم فى تفهم الأمور .

والخادم الحكيم يستطيع أن يميز هذا جيداً ، وهو يحرص على أن لا تتسبب محبته

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الرابع ـ السنة الثامنة ـ أبريل ١٩٥٤م ـ صـ ٢٤، ٢٥ .

القوية لأولاده فى الإنحراف عن الغرض الأصلى للهدية: أنها علامة محببة ، فهو لا يحاول المغالاة فى عدد الهدايا وقيمتها ، لأنه لا يريد أن يؤذى شعور بقية الخدام الذين معه ، نعم يا إخوتى الخدام لتكن كل أمورنا فى حكمة ومحبة .

ويراعى عادة فى هدية مدارس الأحد أن تكون ذات طابع دينى (لأنها هدية الكنيسة) وأن تحمل معنى المناسبة التى تعطى لأجلها كلما أمكن ، كما يستحسن أن تكون بسيطة التركيب لطيفة المظهر ، وهذه الأمور يمكن توافرها فى أنواع كثيرة من الهدايا .

ومتى تعطى الهدية؟ فللأولاد الصغار تعطى فى الأعياد الكبيرة وبعض المناسبات وسط السنة (أعياد مختلفة) وهى لا تعطى لهم بروح المنحة أو الجائزة بل بروح المحبة والهدية ، أما الأولاد الذين يتعدى سنهم العاشرة تقريباً ، فلتكن الأعياد الكبيرة فرصة لتوزيع هدايا بسيطة مناسبة لجميع الحاضرين من الأولاد ، بالإضافة إلى صور معبرة خاصة فى الأعياد الأخرى ، كما أنه لا مانع من إنتهاز بعض الفرص المناسبة لإهداء الولد هدية معينة كيوم ميلاده أو حين يسافر أو عند مرضه أو عند نجاحه فى إمتحانه الدراسى .

ولنركز إهتماماً خاصاً بهدايا العيد: فهل نعطى الهدايا لجميع الأولاد الحاضرين؟ وهل من العدل أن نساوى بين المواظب وغير المواظب؟ أو هل نميز بين الهدايا فنعطى للمواظب هدايا أحلى من هدايا غير المواظب ، ولكن حينئذ ماذا نفعل فى الأولاد الذين يخرجون من الكنيسة يوم العيد البهيج وهم مكسورى الخاطر باكين ، وربما كان منهم أولاد يريدون الاستمرار فى حضور مدارس الأحد ، ومع ما فى ذلك من عمل ضجيج فى الإجتماع ، فربما كان رأياً مقبولاً: أن يكون العيد فرصة لإعطاء الأولاد المواظبين هديتين ، هدية عامة يأخذها جميع من يحضر الكنيسة يوم العيد ، مواظباً كان أو غير مواظب ، وهدية خاصة يوزعها الخادم على أولاده فى بيوتهم «بنفسه أو بمعونة بعض الأولاد» عشية العيد أو فى اليوم التالى للعيد .

فلنختم حديثنا يا إخوتى بالتفكير فى هدية حسنة نقدمها لإلهنا بإزاء كل إحساناته لنا ، فماذا نعطيه من هدية ؟ فما دمت تنادينا يا إلهنا قائلاً «يا ابنى اعطنى قلبك» فتقبل يا رب قلوبنا ، ولو أنها مسكينة لوجودها فى أجسادنا الخاطئة و أما أنت يا رب فقد جعلت كل يوم من أيامنا عيداً ، وعيد الأعياد هو اليوم الذى فيه نجتمع فى السماء حول عرشك الأقدس ، ونعيد معك عيداً حلواً مقدساً ، يدوم زماناً طويلاً ... طويلاً ...

سؤال قبل هذا ... (*)

كنت أكتب بحثاً عن الرهبنة ، فقرأت فى أحد كتب القانون الحديث (!!) إجابة طريفة عن سؤال طريف ، أما السؤال فهو «من يرث الراهب؟» وأما الإجابة فهى «يرثه ديره» ، ووجه الطرافة فى الأمر ترجع إلى أن هناك سؤالاً قبل هذا وهو «هل للراهب شئ يملكه حتى يرثه فيه أحد؟!» . لقد نذر الراهب الفقر الإختيارى ، وباع كل ماله فى العالم ، لا لكى يملك شيئاً بدلاً منه فى الدير ، وإنما ليحيا فى الدير ايضاً وهو لا يملك شيئاً... حتى إذا ما انتقل من العالم لم يكن هناك من يرثه إذ ليس له شئ يورث...

تذكرت هذا عندما صاح الناس «كيف تنفق مال الأديرة؟ ومن الذى يتولى الإنفاق من هذا المال؟ ومن الذى يشرف عليه؟» لاشك أن هناك سؤالاً ينبغى أن يسأل قبل هذه الأسئلة جمعاً ، هل استنتجت يا صديقى القارئ هذا السؤال؟ إذا عرفته تكون قد فهمت ركناً هاماً من أركان الرهبنة ، وإذا لم تعرفه فإقرأ هذا المقال من أوله مرة أخرى ، أو فإقرأ بستان الرهبان .

إن الرهبنة روحاً ، وكل قانون لا يتمشى مع هذه الروح هو قانون دخيل على الرهبنة غريب عليها...

وكنا جماعة جالسة تبحث فى مشروعات الأحوال الشخصية ، ووقف أمامنا سؤال هام يشغل الأذهان الآن وهو «من الذى يقضى فى مسائل الطلاق؟ ما نوع المحكمة ، ومن أى فئة يختار قضاتها؟» وصاح رجل حكيم بينا «هناك سؤال قبل هذا....» أما سؤاله فهو سؤال حكيم جداً وهو «ما هى قوان الطلاق التى ستحكم بها المحكمة أياً كان لونها؟» أما إذا كانت هى القوانين الحالية التى تسمح بالطلاق لأسباب كثيرة غير السبب الواحد الذى ذكره السيد المسيح فإن الحكم الذى سيصدر رغماً عن عدله من حيث مطابقته للقانون الموضوع ، فإنه سيكون حكماً يخالف تعاليم المسيحية التى لا تطلق إلا لعلة الزنى ، والتى تعتبر كل طلاق لغير هذا السبب هو طلاق غير شرعى .

ماذا علينا إذن؟ علينا أن تكون قوانيننا بصدد موضوع الطلاق قوانين تتفق مع روح المسيحية ، ومع آيات الكتاب المقدس ، حتى لا تستطيع أية محكمة أن تصدر حكماً فى هذا الموضوع يتنافى مع إيماننا وعقيدتنا ، أياً كان لون هذه المحكمة التى يشترط أن تكون كنسية صرفة لأنها تحكم فى موضوع دينى...

وبصدد موضوع الطلاق قال لى مرة أحد الآباء الكهنة «فى كثير من الأحيان يأتينى شخص مطلق لأزوجه مرة أخرى ، وأنا غير موافق على سبب طلاقه ، فماذا يكون تصرفى إزاء الحكم بطلاقه ، علماً بأنه ليس لى سلطان فى موضوع الطلاق» فقلت لقدسه «ولكن هناك سؤالاً قبل هذا يا أبانا» وهو «هل أخذت رتبتك من الله؟» فأجاب «وما دخل هذا بموضوعنا؟» قلت «تستطيع أن ترفض تزويج الرجل بسلطانك الكهنوتى» فقال «ستحدث أزمة ، ويأتينى بأمر ، وأهدد بفقد رتبتى الكهنوتية» فإبتسمت وقلت «نرجع يا أبانا إلى السؤال الأول: هل أخذت رتبتك من الله؟» فقال فى إيمان «نعم» قلت «إذن تتصرف بما يوافق ضميرك ، ولا تخش عليها من الضياع» .

وكنا فى مرة مع أحد أعضاء الجمعيات (الكبيرة) و أقصد ذات الرصيد المالى الكبير، وكان غيوراً ومتحمساً فى موضوعات الإصلاح ، وقال فى ثورة صادقة «ماذا أنفقت الأديرة على المشروعات الخيرية؟» وكان له الحق فى سؤاله ولكننا قلنا لحضرته «هناك سؤال قبل هذا ، ماذا أنفقت جمعيتكم الغنية بالمال على المشروعات الخيرية؟» .

وغضب العضو الكبير وقال «أنا لا أقبل هذه الإهانة» ولم نجد فى سؤالنا أية إهانة فقلنا «إننا فى إنتظار الجواب» .

ومضى الرجل غاضباً....

وبقى السؤال بلا جواب .

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الخامس ـ السنة الثامنة ـ مايو ١٩٥٤م ـ صـ ١، ٢ .

حول التربية في الملاجئ

(١)

عاملوهم برفق (*)

ما الذى تقصده؟

ليس الهدف من تربية ولد فى الملجأ ، أن تعده علمياً أو صناعياً ليشغل وظيفة يقتات منها ، وإنما بالإضافة إلى هذا يجب أن يكون هدفك أن تقدم نفساً خالصة للمسيح ، تقدم شخصاً متكاملاً بعيداً قدر الإمكان عن مركبات النقص .

نفسية اللاجئ

اعرف أن نفسية اللاجئ حساسة جداً ، تتأثر من أقل تصرف ، لذلك حاول أن تبعد عنه المعاملات التى تذكره بكونه لاجئاً ، والتى تشعره أمام الناس بهذا الوضع ، ولذلك:

١) لا أوافق على خروج أولاد الملاجئ فى هيئة صفوف وراء الجنازات ، وإن جاز ذلك بالنسبة للأطفال الصغار منهم فهو لا يجوز إطلاقاً للكبار ، وهو أشد خطأ بالنسبة للفتيات اللاجئات .

٢) حسن جداً أن يتعلم الولد فى الملجأ ألحان الكنيسة ، وأن يرددها ويشغف بها ، ولكن ما ليس حسناً هو أن تتكون من هؤلاء فرقة مرتلين تذهب إلى الكنيسة كدعاية للملجأ ، ويقف الاب الكاهن ويعلن ذلك على المصلين .

يجب ألا تكتسب إدارة الملجأ مديحاً عن طريق تحطيم نفسية الأولاد .

٣) وعندما يذهب الأطفال إلى الكنيسة يجب ألا يتكتلوا فى مكان واحد ، وفى موضع مخصوص بحيث يعرف الناس أن أولاد الملجأ الفلانى قد صلوا اليوم فى الكنيسة

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الثامن ـ السنة السادسة ـ أكتوبر ١٩٥٢م ـ صـ ١٩: ٢٢ .

وإنما فليتفرقوا بين المصلين . إن ذلك يحتاج طبعاً إلى زيادة فى عدد المشرفين فليزد إذاً عدد المشرفين ، ولكن لا يجب أن يتعب الأولاد نفسياً من أجل عجز إدارة الملجأ عن إيجاد المشرفين .

٤) ويجب أن يذهب الأولاد إلى الكنيسة بقصد الصلاة ، لا بقصد التسول ، لقد رأيت بعض الملاجئ يقفون بصناديقهم على أبواب الكنيسة يتسولون... وإذا كنت أنتقد هذا الوضع بالنسبة للأولاد ، فإنى اعتبره جريمة بالنسبة للفتيات.، أما أولادنا فى بيت مدارس الأحد ، فإنهم يذهبون إلى الكنائس ويدفعون نقوداً فى الأطباق كباقى المصلين .

٥) ويجب إلغاء نظام «الطوابير» فى الشوارع ، إن نفسية اللاجئين تتأذى كثيراً من هذا الوضع . قال لى ولد فى أحد الملاجئ «أفضل عدم الذهاب إلى الكنيسة عن الذهاب إليها فى طابور ، تصور إذا رآنى أحد زملائى فى المدرسة وأنا فى الطابور ماذا يقول عنى؟ وفهمت فكرته .

٦) يجب عدم نشر أسماء الأولاد وصورهم فى المجلات والصحف ، إن كانوا لا يتعبون من ذلك فى صغرهم ، فإنهم يتعبون منه جداً عندما يكبرون .

٧) وإذا ذهب الأولاد إلى مصيف ، يجب عدم تعكير صفو هذه الرحلة عليه بلافتات تعلق على مسكنهم وإعلانات توزع هنا وهناك لجذب أنظار الناس إليهم حتى يتبرعوا لهم ، إن نفسية الولد أهم بكثير من المال الذى تحصل عليه المؤسسة ، أو المديح الذى قد يحصل عليه أعضاؤها .

٨) وعلى قدر الإمكان يجب أن يظهر الأولاد خارج الملجأ بزى مختلف ، إن الزى الموحد يجذب الأنظار التى يجب أن يتوقاها الأولاد وخاصة عندما يكبرون ، قال لى ابن فى أحد الملاجئ «إن كل تلاميذ المدرسة يعرفون أننا من الملجأ» ولما سألته عرفت السبب وهو الزى الموحد ، فذهبت إلى مدير الملجأ وطلبت منه تغيير الزى حرصاً على نفسية الأولاد .

٩) وليكن هناك فى الملجأ خادم لمسح الأرض خاصة ، وفى الظروف الحرجة إذا اضطر الأولاد إلى المساهمة فى مثل هذا الغرض ، فيجب أن يكون هذا بعيداً عن أنظار الزائرين لأن هذا يتعب نفسية الأولاد .

١٠) يستحسن تغيير كلمة «ملجأ» بكلمة أخرى مثل «بيت» أو.... [1]

صداقتك معه

إذا اختارك الله أن تكون مديراً لملجأ ، أو عضواً فى مجلس إدارته ، أو صاحب إشراف أياً كان ، فلا تظن نفسك ديكتاتوراً يتصرف فى حياة اللاجئين ومستقبلهم ، وإنما اعمل على إكتساب محبة الأولاد وثقتهم حتى تضمن إطمئنانهم إليك وصراحتهم معك ، فإن ذلك مفيد جداً فى تربيتهم للغاية ، وسأبدى فى هذا بضع ملاحظات:

١) هذه الصداقة تقوم بناحية تعويض عجيبة بالنسبة للحنان الذى فقده الولده إذ حرم من والديه أو أحدهما .

٢) صداقتك مع ابنك فى الملجأ ، تخفف عنده حالة الشعور بالنقص ، وتوجد عنده نمواً فى الشخصية ، وبعداً عن الذلة ، يساعدانه كثيراً فى حياته .

٣) إذا اطمأن الولد إليك يستطيع أن يحدثك فى صراحة عن المتاعب التى يلاقيها فى الملجأ ، من معاملة الموظفين والمشرفين ، أو سوء التغذية أو نقص الضروريات ، وهذا كله يساعد فى إصلاح الإدارة فى الملجأ .

٤) الولد مستعد أن ينفذ توجيهاتك كصديق أكثر مما يطيع أوامرك كمدير .

٥) المحبة التى يبادلك الولد إياها نافعة لك شخصياً تملأ قلبك بسعادة عجيبة .

لذلك

١) لا مانع من اشتراكك مع الأولاد فى بعض الألعاب والتسليات التى ترفع فيها الكلفة بعض الشئ .

٢) يحسن أن تجلس مع الأولاد جلسات خاصة تتفاهم فيها عنهم وتخفف فيها عن المتعبين منهم ، وتقود الكبار إلى آباء الاعتراف قدر إمكانك .

٣) إنتهاز الفرص لإقامة حفلات خاصة بالأولاد فى الملجأ ، أمر مستحب جداً ومفيد ويمكن أن يكون ذلك فى عيد كنسى ، أو أعياد ميلاد الأولاد ،أو لمناسبة نجاح بعضهم ، أو لأى مناسبة أخرى رياضية أو أجتماعية... فى هذه الحفلات تبسط معهم ، واتركهم على سجيتهم فى حدود .

---

١) فى اللقاء الشهرى لقداسة البابا مع الجمعيات (مارس ١٩٩٦م) تم الإتفاق على أن يكون اسم «دور الإيواء» هو البديل لكلمة «ملجأ» .

٤) إذا عرفت ولد ، وجلس حزيناً فى مكان منعزل ، فاذهب إليه واجلس معه وحاول أن تتفاهم معه دون أن تكسر هيبة الذى عاقبه .

٥) خذ الأولاد الكبار بالتناوب فى نزهات تعرفهم فيها كيف يسلكون كمسيحين فى الحياة العملية خارج الملجأ .

٦) لا تعتنق باستمرار «مبدأ الجريمة والعقاب» بحيث لا يرى الولد إلا مفتشاً يتصيد أو يترقب له الأخطاء ليعاقبه عليها ، إنما ليكن هدفك الأول هو إصلاح الولد وتقديمه للمسيح .

٧) لا مانع أن تعاقب الولد ولكن بشرط أن يكون بغير قسوة وليس على كل أمر تفه أو عظم ، ثم يجب أن تزيل ما قد يرسب من قلب الولد نتيجة لذلك .

مشكلة الميزانية

لا تكن فى معاملتك للأولاد ، أو فى تقرير مستقبلهم ، عبداً لميزانية موضوعة لا تقصر فى شئ حيوى بالنسبة لهم بحجة أن الميزانية لا تسمح. اصرف عليهم كل ما يلزمهم والله يرسل ما يحتاجون إليه من مال .

ثم اهتم جداً بمصروف يد الأولاد ، فليكن كافياً ، يمنعهم عن الشهوة والذلة والسرقة ، وإذا تقرر لهم هذا المصروف الكافى فيجب ألا تخصم منه عقاباً لهم فى كل ذنب حتى لا تأخذ باليسار ما قدمته باليمين .

واخيراً

لست مستطيعاً أن أقول لك كل شئ فى هذا المجال الضيق ، ولكننا على استعداد لقبول أفكارك ومناقشتها ، والإجابة عن أسئلتك ، بل والرجوع إلى هذا الموضوع مرة أخرى إذا احتاج الأمر .

نظير جيد

حول التربية في الملاجئ

(٢)

عاملوهم برفق (*)

ما هو الهدف؟

ليس الهدف من تربية الولد فى الملجأ هو إطعامه وإيواؤه وكساؤه وتعليمه ، وإنما الهدف الأول هو تقديم أنفس صالحة للسيد المسيح فالولد إلذى يتعلم فى الملجأ حتى يحصل على إجازة تكفل له العيش ليس شيئاً إذا خرج بنفسية محطمة معقدة ، أو بأخلاق رديئة ، أو إذا خرج ثائراً على المؤسسة آخذاً منها فكرة سيئة عن المسيحية والمسيحين .

طرد أو هرب الأولاد

فالولد الذى يسئ الملجأ معاملته فيهرب ، أو الولد الذى فشل الملجأ فى تربيته فيطرد ، مثل هذا الولد:

١) قد يقدم دعاية سيئة عن الملجأ ربما تكون سبباً فى عدم عطف الشعب على اللاجئين الباقين .

٢) هو ولد سيسأل الله عنه الأعضاء عندما يقول لكل واحد منهم «اعطنى حساب وكالتك» .

٣) بطرد هذا الولد يكون كل التعب السابق فى تربيته والصرف عليه هو تعب باطل ضاع عبثاً .

إن هذا الولد الشاذ يستحق مزيداً من العطف والرعاية والإصلاح حتى لا تهلك نفسه العزيزة التى مات المسيح لأجلها ، وحتى إذا سعى هذا الولد إلى هلاك نفس يجب ألا

(*) مجلة مدارس الأحد:العدد التاسع والعاشر ـ السنة السادسة ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٥٢م ـصـ٤٢:٤٦.

يتركه المشرفون عليه بل يسعون إلى خلاصه ، ويجب ألا تقف «الأعصاب المنهكة» أو «الوقت الضيق» أو «قلة الحكمة» أو «عدم طول الأناة» من جانب أعضاء مجلس الإدارة عقبة فى سبيل خلاص مثل هذا الولد .

لا أنكر أن مثل هذا اللاجئ الشاذ يحتاج إلى تعب فى تربيته ، ولكنى أقول أن أعضاء مجلس الإدارة لم ينتخبوا ليستريحوا ، وإنما عليهم أن يتعبوا ويكدوا حتى ينجح العمل وتخلص هذه النفوس التى وضعت عهدة فى أيديهم جميعاً . إن العمل يحتاج إلى خدام يتعبون ليس تعباً جسدانياً فحسب ، وإنما ايضاً تعباً فى الصلاة والجهاد الروحى، وتعباً فى التفكير وفى السيطرة على الأعصاب .

مبدأ المساواة

والمساواة هنا لها معنيان:

١) المساواة فى معاملة الأولاد من حيث توزيع الواجبات ومن حيث العقاب والثواب ومن حيث المحبة والعطف والكلمة الطيبة ، حقيقى أن الممتازين ستكون لهم مكافآت خاصة ، ولكن يجب أن تكون هناك ايضاً مساواة بين الممتازين ، نقصد من كل هذا أننا نريد ألا يشعر ولد واحد بأنه مضطهد بصفة خاصة ، أو أن غيره يتمتع بمعاملة طيبة وامتياز خاص لغير سبب ما معقول يدعو إلى ذلك .

٢) مساواة بين أعضاء الإدارة والمشرفين من ناحية ، والأولاد من ناحية أخرى ، فاللاجئون بشر مثل أعضاء الإدارة ، وتراب مثلهم ولو حدث ووقع أعضاء الإدارة فى نفس ظروف الأولاد وبيئاتهم لصاروا فى نفس حالتهم الإجتماعية تماماً ، يجب إذاً أن يعامل الاجئون فى غير كبرياء ، ويجب ألا يعيرهم المشرفون بظروف معينة ، وألا يشعروهم بذلة أو تحقير ، كما يجب مراعاة كرامتهم ، وكرامة أقاربهم الذين يزورنهم .

العقاب

نحن لا نلغى مبدأ العقاب ، لأن الله نفسه لم يلغه ، وهو ـ تبارك اسمه ـ عاقب وأعطانا أمثلة من عقابه ، وسيعاقب فى اليوم الأخير ، وإنما هناك ملاحظات كثيرة فى موضوع العقاب .

أ) كثرة العقاب فى مناسبة وغير مناسبة تفقد العقاب قيمته كوسيلة للإصلاح

أولاً: لأن الولد إذ يعتاد العقاب فى الصغيرة والكبيرة يفقد الحساسية بالخطيّة ولا يشعر بفرق بين الأخطاء التافهة والأخطاء الجسيمة .

ثانياً: توجد كثرة العقاب جواً من عدم التفاهم بين الولد والمشرف عليه ، بل قد يتطور الأمر إلى الكراهية .

ثالثاً: فى بعض الأحيان يشعر اللاجئ ـ من كثرة العقاب ـ بيأس من الحياة فى المؤسسة قد يسبب له عقداً نفسية كثيرة ، أو قد يجعل الولد يفكر فى الهرب ، أو فى ترك الدراسة والبحث عن عمل وهكذا يظلم مستقبله أو قد تنتج عن اليأس مشاكل أسوأ من هذا .

رابعاً: قد يتسبب عن كثرة العقاب حالة من الشكوى والتذمر العام ربما تضيع معها سمعة المؤسسة .

خامساً: قد ينتج من كثرة العقاب فى بعض الأحيان نوع من العناد فتزداد أخطاء الولد، أو على الأقل يظل فى خطئه ، دون أن يصلحه العقاب .

لسنا نقول كل هذا من ذواتنا فالله نفسه ليس بكثير العقاب: نخطئ إليه مراراً فى كل يوم ، ومع ذلك فهو كما يقول الكتاب «لم يصنع معنا حسب خطايانا ولم يجازنا حسب آثامنا» لو كان الله يعاقبنا حسب كل خطية ما استطعنا أن نعيش يوماً واحداً على الأرض ، ومع ذلك فإن الله من رحمته لا يحرمنا من عقابه حتى لا نستهتر .

ب) علاج المخطئ قد يغنى عن معاقبته فى أحوال كثيرة

فإذا رأيت ولدين يتشاجران تستطيع أن تعاقبهما ، هذا حل سريع ومريح لك ، وإن

كان متعباً للولدين وغير مفيد لهم ، ولكن الحل الصحيح هو مصالحة الولدين ، وحل المشكلة التى أدت إلى تشاجرهما ، وجعل كل منهما يعتذر للآخر ، وبث روح المحبة بينهما ، قد يستغرق ذلك وقتاً وجهداً منك ، ولكنه هو العمل المطلوب منك إداؤه ، ومثل هذه المصالحة ستمنع مشاجرات أخرى فى المستقبل ، أما إذا احتاج الأمر إلى عقاب رغماً من ذلك فليكن ايضاً بطريقة معقولة .

وعلاج المخطئ هو طريقة الله ، والأمثلة على ذلك كثيرة فى الكتاب المقدس ، ولكن الأعجب من هذا أن يجعل الله العقاب والعلاج شيئاً واحداً ، مثال ذلك: يظن البعض أن الله عندما قال لآدم «بعرق جبينك تأكل خبزك» قد فعل هذا لمجرد العقاب ، وفى الواقع أن هذا كان فى نفس الوقت علاجاً لآدم ، فالعمل علاج لكثير من الأخطاء ، لأن البطالة والكسل مجال واسع للشيطان «الشخص الذى يعمل يحاربه شيطان واحد ، والذى لا يعمل تحاربه شياطين كثيرة» هكذا قال القديسون ، ونحن نمتاز عن الكاثوليك بأن العقاب الكنسى الذى يعطى للمعترف هو فى نفس الوقت علاج صالح له كالصوم والميطانيات والصلاة إلخ .

على أن علاج المخطئ ينقلنا إلى نقطة أخرى هامة وهى:

جـ) البحث عن الخطأ قبل فرض العقاب

إن بعض الأخطاء قد تصدر عن الولد ، وتكون هناك ظروف قاهرة قد دفعته إليها ، قد لا يكون الولد محباً للشر ، بل قد يكون مستاءً مما حدث ، وأنت إذا بحثت أسباب خطئه ربما تعذره عن ذلك ، وفى بعض الأحيان اذ بحثنا بعض الأخطاء التى وقع فيها الولد ، ربما نجد أن المسئولية تقع على المشرفين وليس على الولد ، مثال ذلك قد يفقد الطفل كراسته أو كتابه فيضربه المشرف عليه فى الملجأ ضرباً عنيفاً (حتى لا يهمل مرة أخرى!!) ويحدث أن الولد يفقد كراسة له أو كتاباً مرة أخرى ، ربما يكون زميل سيئ قد سرقهما منه ويخاف الولد أن يخبر عضو الإدارة المسئول لئلا يضربه كالمرة السابقة أو أشد منها فيخفى الأمر ويستمر حضوره إلى المدرسة بدون كراس أو كتاب حتى تظهر نتيجة الفترة فإذا هو راسب وعضو الإدارة المسئول يطلع على هذه النتيجة الدراسية السيئة، وقبل أن يبحث عن الأسباب يصب جام غضبه على الطفل المسكين الذى

يحتمل الأمر ساخطاً على الحياة بوجه عام وعلى الحياة فى الملجأ بوجه خاص ، وفى الحقيقة أن هذا العضو الذى استسهل العقاب يحتاج هو نفسه إلى عقاب .

لذلك أنصحك يا أخى الحبيب أن تبحث عن السبب فى خطأ الولد ، فربما تكون أنت هو السبب .

د) تحبيب الولد فى الفضيلة علاج صالح للأخطاء

بدلاً من أن تعاقب الولد عل كل خطأ دون أن ترشده إلى طريق الصواب ، حاول إن تعمل من الناحية الإيجابية ، حبب الولد فى الفضيلة ، حببه فى النظام والطاعة والأدب والمحبة ، لا تجبره إجباراً ، ولا تعلمه ذلك عن طريق العصا أو اللفظ الجارح ، حببه فى الفضائل حتى ينقاد إليها إنقياداً شاعراً بلزومها له ، ربما تكون أخطاء الولد ناتجة عن تقصير المشرفين عليه فى إنماء حياته الروحية .

كنت حاضراً فى إحدى المرات إجتماعاً مجلس إدارة أحد الملاجئ ، وكان الأعضاء يبحثون مشكلة ولد تكررت أخطاؤه ، فاقترح بعضهم طرده من الملجأ ، وعند ذلك أتذكر أننى قلت لذلك العضو « وما ذنب الولد؟ عجيب أن يفشل أعضاء الإدارة فى تربية الولد فبدلاً من أن يستقيلوا بسبب فشلهم ، يفصلون الولد حتى لا يظهر هذا الفشل أمام الناس ، إن هذا الولد قد استلمه أعضاء الإدارة من أمه صغيراً رضى الخلق ، فما معنى أن يتركوه بغير تربية حتى يفسد ثم يرجعوه إلى أمه فاسداً!!» .

إن التعليم والتهذيب هما إحدى الوسائل الناجحة لمعالجة الأخطاء فجرّبها احياناً بدل العقاب وأنظر ما هى النتيجة .

هـ) بعض صفات العقاب المقبول

قد تضطر احياناً إلى العقاب ولا مانع من ذلك بالشروط الأتية:

١) يكون عقاباً محتملاً ، وهذه هى طريقة الله الذى «لا يدعكم تجربون فوق ما تطيقون» .

٢) أن يتبعه عمل محبة ، لا تجعل الولد يكرهك ، أو يظن فيك القسوة أو يعتقد أنك تضطهده ، لذلك يحسن أن تزيل ما قد يترتب عن عقابك من أمثال هذه المشاعر

بأعمال محبة تقدمها للولد ، أو مظاهر عطف تغدقها عليه ، حتى تصفو نفسه من نحولك ، ويؤدى العقاب إلى الغاية المرجوة منه .

٣) يحسن أن يكون العقاب على الأمور التى لا تصلح إلا به فلا يستخدم على كل غلطة مهما صغرت.

٤) لا تعاقب الولد أمام الضيوف الذين يترددون على الملجأ ، لأن هذا يتعب نفسيته من ناحية ، وقد يؤذى شعور بعض الضيوف من ناحية أخرى ، فى بعض الأحوال يجب معاقبة الولد أمام إخوته الباقين حتى يكون عندهم خوف ، ولكن فى أحيان أخرى يجب معاقبته على إنفراد ، بينك وبينه ، ولا تدع باقى الأولاد يعيرون أخاهم على غلطته .

٥) احترس جداً عندما تعاقب الولد بالخصم من مصروفه أو بتنظيف المدرسة ، فليكن ذلك بحكمة .

حول التربية في الملاجئ

(٣)

عاملوهم برفق (*)

الطفل الرزين الصموت

إن الهدوء والصمت والرزانة أمور قد يقدر عليها الرجل مكتمل العمر ، ولكننا نقسو على اللاجئ إذا طلبنا ذلك منه ، فالطفل الصغير أو الصبى الحدث له طاقة يجب أن يصرفها وهو يصرفها فى اللعب والصياح والحركة ، إنه لا يستطيع أن يجلس ساعات مثلك للتفكير أو البحث العقلى أو التأمل أو الدراسة ، والطفل الصموت غير النشط هو بلا شك مريض إما بمرض جسمانى أو مرض نفسى . من حق صغيرنا إذن أن يلهو ويمرح ، ومن حقه أن يصيح ويضحك ، ومن حقه أن يوفر له الملجأ كل ذلك .

إذا عرفنا هذه الحقيقة جيداً أمكننا أن نخرج بالمبادئ الآتية:

مكان غير صالح

يجب أن يكون الملجأ ذا فناء واسع ، حتى يجد الأولاد مكاناً يفرغون فيه نشاطهم ، مكاناً يلعبون فيه ويجرون ويتصايحون دون أن تكون فى ذلك مضايقة لأحد ، أما أن تحبس الأولاد فى شقة محدودة الحجرات ذات صالة ضيقة لا تتسع إلا لمائدة ، ثم تطالبهم بعد ذلك أن يصمتوا كأنهم فى قبر أو كأنهم رجال فى الخمسين فذلك ما لا طاقة لهم بإحتماله .

لابد أنهم بطبيعة سنهم سيجرون ويلعبون ، فتظن ذلك منهم سوءً فى الأدب أو نقصاً فى التربية ، فتعاقبهم ، وتكون فى ذلك قسوة ، الغلطة ليست غلطتهم ، وإنما هى

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الأول ـ السنة السابعة ـ يناير ١٩٥٣م ـ صـ٣٢ ، ٣٣.

راجعة إلى أن المكان غير صالح مهما بدا لك صالحاً .

الصوت العالى.... الضوضاء

ما من مدير لملجأ أو مشرف فيه ، إلا ويشكو هذه الشكوى : الأولاد صوتهم عال ، إنهم مصدر شغب وضوضاء ، لنا ولسكان البيت جميعاً ، أتعرف أسباب ذلك؟ إنها:

١) المكان محدود يظهر فيه الصوت ، إنها غرفة أو صالة والصوت فيها يرن ويسمع .

٢) العدد كثر: أمامك عشرون ولداً أو ثلاثون أو أكثر ، لو همس كل منهم همسة لتحول الأمر إلى ضجيج ، ولو تحرك كل منهم حركة لأصبح الأمر فى نظرك «فوضى» تحتاج إلى عقاب ، ولو طلب كل منهم طلباً واحداً لضايقتك كثرة الطلبات ، أما فى بيتك ، مع إخوتك أو أولادك فإنك قد لا تحس نفس الضوضاء لقلة العدد .

٣) المراقبة: إنك تشعر بضوضاء الأولاد لأنهم تحت المراقبة ، وأؤكد لك يا صديقى أنك لو وضعت مثلهم تحت المراقبة لتبرم الناس من ضجيجك ، سامحنى فى هذا التعبير، وتصور مثلاً أنك تحت المراقبة فى صحوك ونومك ، فى تحركك من حجرة إلى حجرة ، فى دراستك وفى أكلك ، وفى مناقشاتك وفى لهوك ، فى دخولك وخروجك ، تصور هذا ، ما الذى يحدث؟

٤) لأن النظام حاسم: كن صريحاً معى يا صديقنا الكريم ، إنك تجلس إلى المائدة لتأكل وتتحدث أثناء الطعام مع أفراد أسرتك ، أليس كذلك؟ ولكن الأولاد ـ لكثرة عددهم ولأنهم تحت المراقبة ـ إذا تكلموا أثناء الطعام يحدث منهم ضجيج وربما لو وضعت تحت المراقبة يا أخانا الحبيب أنت وإخوتك الصغار أو أولادك أثناء الطعام لحكم المراقب بأنه يسمع ضجيجاً ، أليس كذلك؟

ثم أنك يا صديقى تتكلم مع جارك أو زميلك أحياناً أثناء العمل ، ولكن عشرين ولداً إذا تكلموا أثناء العمل لأحدثوا ضوضاء ، إنها ليست طباعاً شريرة منهم ، وإنما هى طبيعة الظروف المحيطة ، أرجو عندما تعاقب أولادك اللاجئين بسبب الضوضاء أن تتذكر كل هذا .

فى الخارج

إننى اسمع بعض مديرى الملاجئ يشكون قائلين: لنا أبناء فى بيوتنا ، لكنهم أهدأ من هؤلاء ، هذه المقارنة يا أصدقائى ليست عادلة ، فعدد الأبناء فى البيت أقل، وظروفهم مختلفة ، وحريتهم أكثر ، وهم غير موضوعين تحت المراقبة ، ومع كل ذلك فهناك نقطة جوهرية جداً لا يمكن تغافلها ، وهى أن المشاكل التى تصدر عن أبنائكم لها ميدان خارج البيت ، لأنهم خارج البيت يلعبون ويضحكون ويتصايحون ويتشاجرون ، ولكن الشارع يبتلع ضجيجهم ، والنوادى وبيوت الأصدقاء وأماكن اللعب تستنفذ منهم الطاقة والنشاط ، فيرجعون إلى بيوتهم أكثر هدوء ، لأنهم أخذوا حظهم فى الضجيج خارج البيت ، ومع ذلك فكثيرا ما يشكوا الآباء والأمهات مما يسببه الأبناء من تعب رغم قلتهم ، فما هو حكمنا إذن على أبناء الملجأ . يا إخوتى الأحباء عاملوهم برفق ، أترى هذه النقطة فى الموضوع قد انتهت؟ كلا فما تزال فيها بقية .

حول التربية في الملاجئ

(٤)

عاملوهم برفق (*)

الجدران الأربع

يعيش الولد بين جدران أربع ، فى مكان ضيق ، على غير إتصال بالعالم الخارجى إلا فى فترات الدراسة ، ويستمر هذا اللون من الحياة سنوات ، ويبدأ اللاجئ فى الملل وتكثر مشاكله ، فبدلاً من أن تعالج هذه المشاكل فى حكمة ، «تعالج» بالعقاب فتزداد ، وتثقل الحياة على الولد فيضر أحياناً ، أو يفعل ما يجعل الإدارة تيأس منه فتطرده ، ونحن نود هنا أن نوضح مشاكل الجدران الأربع ونقترح العلاج .

مشاكل .... وعلاج

١) الضوضاء

الولد يريد أن يلهو ، ويريد أن يصيح ، ومن حقه أن يلهو وأن يصيح ، ولو كان هناك مكان واسع لابتلع لهو اللاجئ وصياحه دون أن يؤذى أحداً ، أما والمكان ضيق ، فإن أقل صوت فيه يبدو وكأنه ضجيج ، ويتضايق المشرفون من الصوت ، وطبيعى أن يتضايقوا، ولكن الخطأ هو أنهم عندما يتضايقون يصبون جام غضبهم لا على المكان الضيق ، وإنما على الأولاد ، ويبدأ سوء التفاهم بين الأولاد والمشرفين ، وينقلب المشرفون من مربين إلى حراس... وأنا لست ألوم المشرفين كثيراً وإن كنت أرجو منهم حكمة وطول أناة ، ولست ألوم الأولاد كثيراً وإن كنت أرجو منهم أن يطيعوا أو يهدأوا ... على قدر إمكانهم ، ولكنى أنتقد المكان الضيق . يجب أن يكون الملجأ ذا فناء واسع ، وذا حديقة كبيرة ، وذا وسائل متوفرة للتسلية واللعب أوجه النشاط المتعددة ، بحيث يرى فيه

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الثالث ـ السنة السابعة ـ مارس ١٩٥٣م ـ صـ ٢٤، ٢٥.

اللاجئ بيته وشارعه ، يجد فيه كفايته فلا يحتاج إلى الطريق .

ب) المشاجرة

من صفات اللاجئ فى هذه السن الحركة ، فهو يريد أن يتحرك ، وإذ لا يجد أمامه كرة يحرك فيها قدمه ، أو لعبة يشغل بها يده ، أو منظراً يجيل فيه عينيه ، نراه يحرك يديه وقدميه فى زميل له ، ويتشاجر الإثنان ، ويتضايق المشرف فيعاقب الإثنين إن كان ليس لديه وقت ، أو يؤنبهما ويصلح بينهما إن كان ذا وقت أوفر وأعصاب أهدأ... ولكن كل ذلك علاج وقتى ، وليس بالعلاج الدائم... لذلك اقترح وفرة فى وسائل التسلية ، وخاصة اللعب المتعلقة «بالهدم والبناء» ، واقترح نشاطاً داخلياً إجتماعياً وروحياً ، واقترح ايضاً بعض صناعات خفيفة تعطى للأولاد بطريقة محببة لا بأسلوب قهرى جاف يكرههم فيها .

اقترح ايضاً رحلات ببرامج مسلية ، يرى فيها الأولاد مجالاً لإشباع رغبتهم فى اللعب ، كما تكون وسيلة لتخليصهم إلى حد ما من قسوة الجدران الأربع .

جـ) الشذوذ الجنسى

اعرض لهذه النقطة فى شئ من الحذر ، راجياً من جميع المشرفين على الملاجئ أن ينسوا طريقة النعامة التى تخفى رأسها فى التراب ، وتظن أن لا يراها أحد ما دامت هى نفسها لا ترى أحداً ، إن المراهقين من أولاد الملاجئ ليس أمامهم مجال فى الخارج لإشباع نزعاتهم الجنسية ، فإذا لم يستنفذوا طاقاتهم المختزنة فى نشاط رياضى ، أو عاطفة إجتماعية ، فإنهم يتعرضون كثيراً لتلك الحرب الجنسية ، فإذا كانت العلاقة بينهم وبين المشرفين عليهم لا تسمح لهم بمصارحتهم بمتاعبهم خوفاً من العقوبة ، أو خوفاً من الطرد ، فإنهم ينطوون على نفوسهم سائرين فى طريقهم الخطر دون علاج .

د) الهروب والخداع

عندما يضيق الولد بالجدران الأربع ، ولا تصرح له الإدارة برحلات أو مجالات مناسبة للتخلص من ضيق الجدران ، يلجأ الولد إلى طرق أخرى ، فيهرب احياناً من المدرسة ، أو يتأخر بعد موعد خروجها وينتحل لذلك الأعذار غير مبال فى كل ذلك بما فى تصرفاته

من كذب أو خداع... وقد يجد فى خروجه بمفرده أو مع الصحبة الشريرة لذة معينة فينساق فى طريق الضلال .

هـ) خطورة المستقبل

يجب أن يتمرن الولد على الحياة فقبل أن يتخرج من الملجأ ، فإن هؤلاء الذين يعيشون فترة طويلة من الزمن لا يعرفون كثيراً عن الحياة خارج أسوار المؤسسة أو جدرانها، هؤاء عندما يصطدمون بالحياة العملية بعد تخرجهم قد يفشلون فشلاً كبيراً لأنهم يجربون لأول مرة شيئاً جديداً عليهم ، لذلك مرن ابنك اللاجئ على الحياة العملية قبل أن يتخرج ، حتى يعرف الطريق ومتاعبه ، والمجتمع وما فيه من طبقات وأخلاق ومعاملات وموقفه من كل ذلك... ثم يجب ألا يتخرج الولد وفى قلبه كبت وحرمان فى ناحية معينة لئلا تنفجر رغباته المكبوتة خارج الجدران الأربع بطريقة تحطم حياته كلها .

الفصل الثانى

من كتابات الراهب أنطونيوس السريانى

١) بعض تداريب عن التواضع
٢) خطاب من مرشد روحانى حول حياة الكمال المسيحى (١، ٢، ٣)

بعض تداريب عن التواضع (*)

أخي

إلهنا الحنون الطيب الذى سر فى يوم من الأيام أن يكشف لك ذاته ، ويريك شيئاً من جماله وحبه ، فجريت وراءه من ذلك الحين فى شوق وازدريت بالعالم كله من أجل فضل معرفته ، هو ايضاً فليكن معك إلى الإنقضاء ، وكما بدأ معك الطريق فلتستمر ممسكاً بيدك فيه ، إلى أن تصل إلى الغاية النهائية ، إلى عمق أعماق قلبه ، إلى عمق أعماق حبه ، إلى كمال الإتحاد به ، إلى كمال القامة ، إلى ما يسميه بطرس الرسول «مشاركة الطبيعة الإلهية» (٢بط١ :٤) إلى اللحظة التى تئن فيها روحك جداً من ثقل هذا الجسد ، فتصرخ من كل إرادتك «الآن يا رب تطلق عبدك بسلام... لأن عينى قد ابصرتا خلاصك» .

إجر يا أخى بسرعة فى الطريق ولا تتباطأ . اباؤك القديسون جروا بكل ما عندهم من القوة وبكل ما منحوا من النعمة ، وكان كلما يلوح لهم أفق فى حياة الروح ويقولون: هاهنا النهاية ، ههنا تلامست السماء والأرض ، تتفتح أمامهم آفاق روحية أخرى أوسع وأبعد ، فيرون أنه لم يدركوا شيئاً !! بولس العظيم ، بعد قوات وآيات وعجائب صنعها الله على يديه ، بعد أن ارتفع إلى السماء الثالثة ورأى أشياء لا ينطق بها، بعد أن «تعب أكثر من جميعهم» يقول فى إنسحاق قلب عارف بطول الطريق «ليس أنى نلت أو صرت كاملاً ، ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى ايضاً المسيح يسوع ، أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسى قد أدركت ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام...» !! (فى٣ :١٢، ١٣) فإن كان الذين جروا لا يحسبون أنفسهم أنهم قد أدركوا شيئاً ، فماذا نقل نحن المتباطئين الذين نمشى ساعة ونقف أياماً ، واحياناً نرجع إلى الوراء؟! ماذا نقول نحن الذين لم نصل إلى شئ من مواهب أولئك القديسين وإنما ما نزال فى صراع مع الخطية ، نقوم مرة ونسقط مرات، وفى كل ذلك يحاربنا البر

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الخامس ـ السنة الخامسة عشر ـ يونيه ١٩٦١م ـ صـ ١٩.

الذاتى كأننا وصلنا إلى ما لم يصل إليه أحد؟!

لذلك أقول لك يا أخى إجر بسرعة: أمامك خطايا كثيرة تحتاج أن تنتصر عليها ، وأمامك فضائل كثيرة يلزمك أن تمارسها ، وكل واحدة من هذه وتلك لها عناصر كثيرة متشعبة ، وكل عنصر يحتاج إلى تداريب روحية طويلة ، يحتاج إلى جهد كبير من جهتك أنت ، وإلى معونة كبيرة من جهة النعمة ، وإلى ثبات حتى لا تحدث نكسة...

وكما أقول لك إجر بسرعة ، أقول لك إجر بحكمة وإفراز ، لتضع إذاً منهجاً روحياً تسير عليه ، ولا تهمل بنداً ولو صغيراً من بنوده ، وفى هذا المنهج ، فليكن التواضع هو الأساس لأنه هكذا علمنا القديسون .

لست أريد أن أكلمك الآن عن التواضع ، فهذا موضوع طويل ليس الآن مجاله ، وإنما يكفى أن أقول الآن أن كل الفضائل التى يمارسها الإنسان ـ من غير تواضع ـ تكون طعاماً للشيطان ، يختطفها روح المجد الباطل ، أو يفنيها روح الكبرياء فبدلاً من أن تكون هذه الفضائل سبباً فى خلاص الإنسان تصبح سبباً لهلاكه ، التواضع إذاً هو الأساس ، وهو مناسب جداً لحياة التوبة ، لأنه إن كان الإنسان لا يعرف أن يمارس التواضع فى زمان توبته ، حيث يبكى بدموع حارة عن خطاياه التى هى قريبة العهد ، فمتى إذاً يستطيع أن يمارس التواضع؟! هل عندما يكبر ويشتهر ويتتلمذ عليه كثيرون ، ويمدحه كثيرون ، ويجر الزمن والديح ستاراً على خطاياه يزداد كثافة بمرور الأيام وبإتساع شهرته بكثرة معرفته وتعليمه؟! التواضع الآن أنسب وكلما يمر عليه الوقت يصير أصعب.

والتواضع يا أخى على أنواع: التواضع أمام الله ، يظهر على الأخص فى العبادة ؛ وتواضع الناس ، يظهر فى المعاملات ؛ وتواضع أمام النفس ، ومجاله مع الأفكار .

وتداريب التواضع كثيرة جداً ، سأنتقى لك ـ فى هذا الخطاب ـ بعضاً منها . وسأكتب لك بعض تعليقات عليها ، ورجائى أن تأخذ هذه التدريبات بقصد التنفيذ الجاد وليس مجرد المعرفة ، لتكن لك نوتة تدريبات ، اكتب فيها التدريب ومدته ، وأية تساعد عليه أو قولاً من أقوال الآباء أو كليهما وحاسب نفسك ، اترك كل يوم بضعة أسطر

للمحاسبة ، كم أخطأت ، ولأى سبب ومع من؟ ووبخ نفسك وعاتبها على هذا السقوط وكلما تتقن تدريباً ، انتقل إلى غيره ولا تضع لنفسك كل التدرايب مرة واحدة ، وإنما تدريباً واحداً فى كل مرة ، أو اثنين على الأكثر ، وهذا لا يمنع أن يكون الباقى فى قلبك وفى فكرك وفى نيتك ، ثم اكتب ملاحظات عامة عن نتيجة التدريب وتصرف بخصوصها أو ارسل للمجلة ، ومما يفيدك أن تقرأ فى سير الآباء وفى الكتاب المقدس أمثلة من حياة القديسين الذين اتقنوا تلك التدارب وفى كل ذلك صل يا أخى أن يعطيك الله موهبة التواضع ، قل له «أيها الإله العظيم الذى تواضع وأنكر ذاته ، اعطنى أنا عبدك الحقير أن أتواضع ، أو أن أعرف ذاتى فلا أتكبر» ويمكنك أن تطيل هذه الصلاة كما تشاء .

واعرف أن التواضع يؤخذ فى حقيقته الروحية ، وليس فى شكلياته ، فليس معناه أن تصغر ذاتك مع علمك بأنك كبير بقصد الحصول على التواضع ، وإلا قادك هذا إلى الكبرياء . فى علمك أنك كبير نوع من الكبرياء وشعورك بأنك تصغر نفسك يقودك إلى الكبرياء إذ تشعر أن هذه فضيلة منك بنوع التنازل فهذا هو ما يقول عنه القديسون أنه «تواضع يقود إلى الكبرياء» أما التواضع الحقيقى فهو إقتناع تام فى داخلك بأنك صغير وخاطئ وغير مستحق لشئ... هذا من الناحية المطلقة ، أما من الناحية النسبية فالتواضع هو أن تكون مقتنعاً تماماً فى داخلك أنك أصغر الكل وأكثر الكل خطية وأكثرهم عدم إستحقاق لشئ .

فى بادئ الأمر قد يحاول الإنسان أن يقنع نفسه بهذه الحقيقة ، ويجلب لها البراهين، فإذا ما خضعت واقتنعت يبدأ فى الشطر الثانى من التواضع ، وهو أن يعامل ذاته ويعامل الناس جميعاً بما يوافق هذه الحقيقة التى وصل إليها لأن هذا هو الحق والعدل أن يكون صريحاً مع نفسه ، لا يخدعها ولا يخدع الناس...

أنصحك أن تقرأ بخصوص هذه النقطة ما يمسها فى كتاب «إنطلاق الروح» كما تقرأ ايضاً مقال «فضائل يتميز بها التائب» من كتاب «بستان الروح» ، فإن هذا يغنينا عن الإستفاضة فى الكتابة والشرح ، فإن لم يكن لديك هذان الكتابان أو أحدهم ، اخبرنا لنهديك ما ينقصك .

بقى أن أقول لك أن تدريب التواضع سوف لا يمر سهلاً ، فإن هناك محاربات كثيرة ستقف ضده: محاربات من النفس التى تشتهى أن تبدو دائماً كبيرة فى عينى ذاتها وفى أعين الناس ، النفس التى يحلو لها أن تنسى خطاياها وتتذكر فضائلها ، والتى تغطى أغلاطها بكثرة من الأعذار وتلقى التبعات على غيرها ، كما يلاقى التواضع محاربات ايضاً من الشياطين الذين يغرسون فى النفس أسياباً للكبرياء ، ويثيرون فيها شهوات للمجد الباطل ، وكذلك محاربات من الناس الذين يمدحون الإنسان على بعض أمور ظاهرة لهم وهم على غير علم بالخافيات من نقائصه وخطاياه وعيوبه الكثيرة وقد يكون مديح الناس على حق وإخلاص ، كما قد يكون ايضاً نوعاً من المجاملة ، أو من التشجيع أو من التملق أو من الرياء أو من الجهل أو من السياسة...إلخ ، ولكن النفس المسكينة المحاربة بالمجد الباطل ، يسرها مديح الناس أياً كان السبب الداعى إلى حقاً أو باطلاً!!

التداريب

١) تذكر الخطايا ، وتوبيخ الذات عليها ، وطلب المغفرة .
٢) عدم إشتهاء المتكأ الأول ، وعدم قبوله إن عرض .
٣) البعد عن المديح ومسبباته ورفضه بحكمة .
٤) تذكر وقراءة جهادات القديسين وفضائلهم ، لتحتقر النفس فضائلها .
٥) إخفاء التدابير الحسنة ، وعدم التحدث بالخير عن النفس .
٦) إرجاع الفضل ـ فى كل خير حدث ـ إلى الله ومعوناته .
٧) عدم التكلم مع أحد بسلطان .
٨) إحترام الكل ، الكبار والصغار «فى السن أو فى المقام» .
٩) عدم إغضاب أحد . ١٠) عدم الغضب من أحد . ١١) عدم إدانة الغير .
١٢) عدم التدخل فى شئون الغير «سواء بتعليم أو بتصحيح أو بتوبيخ أو بتعليق» .
١٣) عدم الجدال والرغبة فى الإنتصار .
١٤) عدم التذمر . ١٥) عدم الشكوى .

راهب

خطاب من مرشد روحاني (*)

حول حياة الكمال المسيحي (١)

السؤال الأول:

هل كل إنسان ملزم بالسعى نحو الكمال المطلق؟ وأين يوجد؟ وأين الطريق؟

من جهة السعى وراء الكمال ، كل إنسان ملزم أن يسعى ، إما عن إدراك الكمال وإمكانيات ذلك فهذا موضوع نتركه الآن .

الشق الأول من سؤال يا أخى الحبيب يجيبنا عنه ربنا يسوع المسيح ـ فى عظته على الجبل الموجهة إلى الجميع ـ إذ يقول «فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم فى السموات هو كامل» (مت٥: ٤٨) ومعلمنا يعقوب الرسول يقول «لكى تكونوا تامين وكاملين ، غير ناقصين فى شئ» (يع١: ٤) وهكذا نرى أن بولس الرسول فى رسالته إلى كولوسى يبين أن الدعوة إلى الكمال هى غاية رسالته وكرازته للجميع ، فيقول ان عمله هو «منذرين كل إنسان ومعلمين كل إنسان بكل حكمة لكى نحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع» ويضيف «الأمر الذى لأجله اتعب ايضاً مجاهداً» (كو١: ٢٨، ٢٩) بل يجعل هذا هو غرض الكتب المقدسة ايضاً ، إذ فى شرحه هذا الأمر للأسقف تيموثاوس يقول «لكى يكون إنسان الله كاملاً...» (٢تى٣: ١٧) ، ويعوزنى الوقت أن أسجل لك كل ما ذكره الكتاب المقدس عن الدعوة العامة إلى الكمال ، ولكن على سبيل المثال يمكنك أن تقرأ ايضاً (١تس٥: ٢٣ ، عب٦: ١، ٢ ، كو٤: ١٢ ، أم٢٨: ١٨ ، تك١٧: ١) .

حدود الكمال

ما أخطر ما هو مطلوب منا... يكفينا أن نتأمل فى قول بولس الرسول «إلى قياس قامة ملء المسيح» (اف٤: ١٣) أو إلى قوله «مشابهين صورة ابنه» (رو٨: ٢٥) .

*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الثالث ـ السنة السادسة عشر ـ ابريل ١٩٦٢م ـ صـ ٥.

من منا كلنا مهما جاهد يستطيع أن يصل إلى ملء قامة المسيح؟! من أجل هذا وجدنا أن بولس الرسول نفسه بعد «قوة آيات وعجائب» (رو١٥: ١٩) بعد «آيات وعجائب وقوات» (٢كو١٢: ١٢) بعد أن ارتفع إلى السماء الثالثة وسمع كلمات لا ينطق بها... «بعد فرط الإعلانات» (٢كو١٢: ٤-٧) بعد هذا كله يصرخ ويقول «ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً ولكنى أسعى لعلى أدرك...» (فى٣: ١٢) كل هذا ولا يعتبر نفسه كاملاً!! وماذا بعد؟ يستمر بولس يقول «انسى ما هو وراء وامتد إلى ما هو قدام» إذاً فهناك «قدام» لم يدركه بولس... هناك كمال لم يصل إليه وليس لإنسان أن يصل إليه، وها هو «ملء قامة المسيح» هذه هو الكمال المطلق .

من أجل هذا جاهد القديسون حتى الدم وعملت النعمة فيهم بقوة ووصلوا إلى مثاليات تكاد تكون فى نظرنا غير مستطاعة وعلى ذلك كله ، وقفوا أمام الله كخطاة!! يعقوب الرسول أسقف مدينة أورشليم يقول فى صراحة «لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (يع٣: ٢) ويوحنا حبيب المسيح الذى إتكأ فى حضنه يقول هو ايضاً «إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (يو١: ٨) وبولس الرسول بعد كل ما ذكرناه وبعد أن «تعب أكثر من جميعهم» يعود فيسمى نفسه «أول الخطاة» (١تى١: ٨) فإن كان هؤلاء القديسون الأعمدة خطاة ايضاً فأى كمال مطلق نصل نحن إليه؟ لذلك يحسن أن نسمى كل كمال يصل إليه الإنسان كمالاً نسبياً... وهو الكمال الذى أمكن أن يصل إليه الإنسان بالنسبة إلى ظروفه وإمكانياته ومدى عمل النعمة فيه .

أما الكمال المطلق فلم يصل إليه من بنى آدم غير واحد هو المسيح لأن الكمال المطلق هو صفة من صفات الله وحده ، والمسيح هو الله ، ولذلك فإن سمعت بولس الرسول يقول «ولكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين» (١كو٢: ٦) أو «فليفتكر هذا جميع الكاملين منا» (فى٣: ١٥) فاعلم أنه يتكلم عن الكمال النسبى ، وإن سمعت عن داود وسليمان يذكران «السالكين بالكمال» (مز٨٤: ١١ وأم٢: ٧) وإن سمعت أن نوحاً كان كاملاً (تك٦: ٩) وأن يعقوب كان كاملاً ايضاً (تك٢٥: ٢٧) وأن أيوب شهد الله نفسه عنه أنه كامل (أى ١: ١، ٨) فتأكد أن كل هذا كمال نسبى لأن «الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الرب» (مز١٤: ٣، رو٣: ٩-١٢) .

وماذا تكون النتيجة؟ هى أننا كلنا مطالبون بالكمال وملزمون بالسعى إليه ، ولكننا

عملياً ضعفاء وخطاة وكل «كمالنا» الذى نصل إليه عند الله كخرقة الطامث ، ومن أجل هذا يكى «الكاملون» منا أمام الله بدموع غزيرة عن خطاياهم ، ومن أجل هذا قال السائحان للقديس العظيم أنبا مقار الكبير «إجلس فى قلايتك وابك على خطاياك» ومن أجل هذا بكى البار أرسانيوس حتى تساقطت أجفانه .

فماذا تفعل يا أخى والحالة هكذا؟ «إن كان الصديق بالجهد يخلص» (١بط ٤: ١٨) وإن كان الذين «فعلوا كل البر» اعتبروا «عبيد بطالين» (لو١٧: ١٠) فماذا نفعل نحن؟ أقول لك ماذا نفعل:

نسعى نحو الغرض لعلنا ندرك ونمتد باستمرار إلى قدام ننمو فى القامة والنعمة والمعرفة... لا نقف ابداً فى الطريق ، بل نجرى باستمرار وإن لم نستطع الجرى نمشى وإن لم نستطع المشى نزحف ، ولكن لا نقف ، إن كنا لا نستطيع أن ندرك الكمال ، فلنجاهد لندرك الكمال النسبى وذلك بأن نستخدم كل قوانا وإمكانياتنا للنمو فى الروح بكل حرارة وكل حماس وكل رغبة وكل صلاة ودموع أن يعين الله ضعفنا ، وثق أن الله لا يطلب منا أكثر من هذا أعنى ما نستطيع أن نبذله ـ فى غير بخل منا على الله ـ فلنبذله ، عالمين أن أيام غربتنا على الأرض قصيرة وأننا سنكتفل منه على قدر ما نتعب ونبذل من أجله .

أين يوجد إذاً الكمال النسبى؟

مجال الكمال واسع ، ولكن سأضع أمامك خمس نقاط أساسية ، واحاول التركيز عليها وإثباتها من الكتاب المقدس وبعد أن انتهى منها بمعونة الرب ، سأعود إلى هذا السؤال مرة أخرى «أين يوجد الكمال النسبى؟» .

١) فضيلة التجرد

قال السيد المسيح للشاب الغنى «إن أردت أن تكون كاملاً» هذا شرط لازم فماذا أفعل يا رب لأكون كاملاً؟ «اذهب وبع كل اموالك واعط الفقراء» (مت١٩: ٢١) سمع الشاب الغنى هذه الوصية فمضى حزيناً ، ولكن شاب آخر غنياً سمعها فلم يمض حزيناً وإنما مضى بفرح وباع كل ما له وأعطاه للفقراء وتفرغ للرب وحده فصار أباً لجميع الرهبان ، ذلك هو أبونا القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الذى فتح طريق الكمال للكثيرين.

إذاً فمن وسائل الكمال اللازمة ـ من فم المسيح ذاته ـ فضيلة التجرد ، هذه الفضيلة أدركها التلاميذ جيداً فى أول العصر الرسولى ونفذوها «لم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له وكل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل فكان يوزع على كل واحد كما يكون له إحتياج» (أع٤: ٣٢-٣٥) وتطور الأمر وتغيرت الأحوال وأصبحت فضيلة التجرد مركزة فى الرهبنة وحدها...

٢) البتولية

تكلم بولس الرسول كثيراً عن أفضلية البتولية فى رسالته إلى كورنثوس فقال «حسن للرجل أن لا يمس إمرأة» ، «أريد أن يكون جميع الناس كما أنا» «أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا» ، «الوقت منذ الآن مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم» ، «إذاً من زوج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن» (١كو٧: ١ ، ٧: ٨ ، ٢٩، ٣٨) ، وقد نصح بالزواج «لسبب الزنا» وقال فى ذلك «إن لم يضبطوا أنفسهم فليزوجوا» (١كو٧: ٢، ٩) . إذاً فالبتولية أفضل ومن وجهة الكمال أكمل ويكفى أن يقول بولس الرسول «أريد أن تكونوا بلا هم ، غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم للعالم كيف يرضى إمرأته» (١كو٧: ٣٢، ٣٣)... كثيرة جداً وجميلة هى أقوال الآباء القديسين التى كتبوها عن أفضلية البتولية ومجدها ، ولكن هذه النصوص المقدسة التى أوردناها تكفى ....

٣) ترك الأهل والأقارب للتفرغ للرب

قد يترك الإنسان الزواج لكى «يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب» ولكنه إن ترك ايضاً الأهل والأقارب لأجل هذا الغرض المقدس فإن هذا يكون درجة أخرى من الكمال، وقد تكلم السيد المسيح نفسه عن هذا الأمر فقال «إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وإمرأته وأولاده وإخوته حتى نفسه ايضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً» (لو١٤: ٢٦) «وأعداء الإنسان أهل بيته ، ومن أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى...» (مت١٠: ٣٦، ٣٧) وهو نفسه فعل هذا بالجسد ، وترك بيت أمه وجال يصنع مشيئة أبيه السماوى ، وحتى فى صغره عندما قالت له أمه

«يا ابنى لماذا فعلت بنا هكذا ، هوذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين» أجابها «لماذا كنتما تطلباننى؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى؟» (لو٢ :٤٨، ٤٩) وهكذا قال له بطرس «ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك» أجاب «الحق أقول لكم إن ليس أحد ترك بيتاً أو والدين أو إخوة أو إمرأة أو أولاداً من أجل ملكوت الله ، إلا ويأخذ فى هذا الزمان أضعافاً كثيرة وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية» (لو١٨ :٢٨–٣٠) .

٤) الموت عن العالم

يقول بولس الرسول «إن كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا ايضاً معه» (رو٦ :٨) ويؤكد مرة أخرى «صادقة هى الكلمة ، إن كنا قد متنا معه فسنحيا ايضاً معه» (٢تى٢ :١) فما معنى متنا معه؟ هل معناها فقط «دفنا معه بالمعمودية للموت» (رو٦ :٤) «صرنا متحدين معه بشبه موته» (رو٦ :٥) «عالمين أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطية» (رو٦ :٦) وإن كان هذا هو المقصود فهو إذاً مجرد الباب المؤدى إلى الخلاص وليس هو «الكمال» المقصود . فهل من موت آخر؟ يقول بولس الرسول ايضاً «نحن الذين متنا عن الخطية فكيف نعيش بعد فيها؟» (رو٦ :٢) ويقول «إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨ :١٢) ويقول «اميتوا أعضاءكم التى على الأرض» (كو٣ :٥) ، هذا الموت ايضاً عن الخطية لا يكفى... هو أمر عام للجميع وإن كان درجات... فهل من موت آخر؟ يتطور بولس الرسول إلى موت أعم فيقول «إن كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم...» (كو٢ :٢٠) نعم مثل هذا الموت عن العالم هو الذى قصده ، السيد المسيح نفسه يقول عن تلاميذه «ليسوا من العالم كما أنى لست من العالم» (يو١٧ :١٤، ١٦) وقد عرفهم هذه الحقيقة واقروا «أنهم غرباء ونزلاء على الأرض» (عب١١ :١٣) فماذا ايضاً «حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع ايضاً فى جسدنا» (٢كو٤ :١٠)

ليس هو موت نموته لحظة وقت المعمودية وينتهى الأمر ، وإنما هو دائم معنا نحمله «كل حين» من أجل هذا يقول بولس «إذاً الموت يعمل فينا» (٢ :١٢) وكما هو مكتوب «من أجلك نموت كل النهار» (رو٨ :٣٦، مز٤٤ :٢٢) . نعم نحن نمارس هذا الموت بإستمرار فى حياتنا «كمائتين وها نحن نحيا» (٢كو٦ :٩) نمات كل النهار وكل حين «لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع لكى تظهر حياة يسوع فى

جسدنا المائت» (٢كو٤ :١١)

ولكن هل هذا الموت الذى نموته دائماً وكل حين وكل النهار والذى يعمل فينا هل هو لازم وضرورى لنا؟ هنا يجيب السيد المسيح نفسه فيقول «من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلى يجدها» (مت١٠ :٣٩) أريدك أن تقف عند هذه الآية وتأخذها مجالاً لتأمل طويل فإنها عميقة ، كما أريدك فى نفس الوقت أن تتأمل قول السيد المسيح «إن لم تقع حبة الخردل فى الأرض وتمت...» (يو١٢ :٢٤) .

هو موت يا أخى عن العالم كله وعن كل ما فيه من مشتهيات ، لأن «العالم يمضى وشهوته» (١يو٢ :١٧) وايضاً لأن «محبة العالم عداوة لله» (يع٤ :٤) «إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب» (١يو٢ :١٥) .

إن الذين صاروا رهباناً ، أحسوا بهذا كله وتيقنوا من قول يوحنا الحبيب «لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة» (١يو٢ :١٦) وهكذا تركوا العالم وكل ما فيه «غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية» (٢كو٤ :١٨) وأصبحوا فى وضع يمكن أن ينطبق عليه قول بولس الرسول «الذين لا يستعملون العالم» (١كو٧ :٣١) .

٥) حياة التأمل

أتسأل يا أخى عن الطريق الأكمل ، هو هذا لأن حياة التأمل أفضل من أنواع الحياة الأخرى المقدسة ، هى طقس السيرافيم (أش٦ :١–٣) ، وطقس الأربعة الحيوانات غير المتجسدين (رؤ٤ :٨، ٩) ، ومعهم الأربعة وعشرون قسيساً ، هى طقس مريم الجالسة عند قدمى المسيح ، التى فضل الرب عملها على مرثا التى تهتم وتضطرب لأجل أمور كثيرة (لو١٠ :٤١) ، لست أريد أن أتحدث عن هذه النقطة فقد شرحت بإسهاب فى كتاب حياة الصلاة فيمكنك الرجوع إليه .

ولكننى أعود لآن إلى السؤال الأصلى: أين يوجد الكمال النسبى؟ إعتماداً على ما ذكرناه وعلى غيره ايضاً أقول لك فى صراحة تامة إن كل من يهدف إلى حياة الكمال هنا لابد له أن ينتهى إلى حياة الرهبنة ، لست من أجل أنى راهب أقول هذا بل على العكس ، لأنى آمنت بهذه أولاً وأنا علمانى لذلك تركت العالم لأصير راهباً ، لا يوجد

يا أخى الحبيب أكمل ولا أجمل من هذ الطريق...

وأقول ـ وأنا متألم ـ أنه للأسف الشديد كثير من المؤهلين له أحجموا عنه قليلاً فى هذه الأيام ، أو ترددوا فى قلوبهم ، تخوفاً من بعض المتاعب التى لا يعرفون تفاصيلها ، ولست أريد أن أخوض فى هذه التفاصيل ، ولكنى أقول أن بستان الرهبان لم يذكر للقديس العظيم الأنبا بولا السائح غير جملة واحدة هى:

«الذى يهرب من الضيقة ، يهرب من الله ، إن الرجل المتواضع الحكيم لا يوقع نفسه فى ضيقة ، وإن أتته يقبلها ـ كما من يد الله ـ بفرح ، ويأخذ منها بركاتها».

خطاب من مرشد روحاني (*)

حول حياة الكمال المسيحي (٢)

السؤال الثانى:

ما هى الرهبنة؟ وهل هى رهبنة توحدية فقط؟ وكيف تثبت أن التوحد أسمى درجات الرهبنة؟ وكيف تثبت وجود وأهمية الرهبنة التوحدية من الكتاب المقدس؟ وهل على كل راهب أن يبدأ جهاده بحياة المجمع ويصل فى النهاية إلى حياة التوحد إن كان إستعداده مناسباً؟

ما هى الرهبنة؟

أفضل إجابة بهذا السؤال هو قول ماراسحق عن الرهبنة أنها «إنحلال من الكل للإرتباط بالواحد» هى إنحلال من الكل: العالم وكل ما فيه ، وكل من فيه . إنحلال من جميع الماديات والبشريات ، ولعل هذا يظهر واضحاً من الطقس الذى يجرى للراهب عند رسامته: صلاة موتى! لأنه مات عن العالم ولماذا مات؟ «للإرتباط بالواحد» ليتفرغ لله وحده ، ليربط عقله وقلبه بالله فى كل وقت.

من أجل هذا ترك الراهب العالم ـ ترك كل ما فيه من مشاغل وإهتمامات ، ومن روابط وصلات حتى لا يشغله شئ عن الله ، فيستطيع أن يحب الرب إلهه «من كل قلبه ومن كل فكره» ولكن كيف يمكن له أن ينفذ كلمة «كل» هذه؟ معروف أن الحواس هى أبواب للفكر فيما يراه الإنسان ويلمسه ويسمعه لابد أن يجلب له فكراً ، والفكر يأتى ايضاً عن طريق الخلطة بالناس والتحدث معهم فتختلط أفكار الإنسان بأفكارهم ، وهكذا قال ماراسحق «ما دامت خلطتك كثيرة فأفكارك تائهة» .

لأنه حسب ما يختلط الجسد كذلك يختلط العقل... إن كنا مع كثيرين أفكار

*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الرابع ـ السنة السادسة عشر ـ مايو ١٩٦٢م ـ صـ ٧.

كثيرين تحدث لنا ، وإن إنفردنا من الكل خيراً منفرداً نقتنى ، فما الذى يفعله الإنسان لكى يحفظ فكره صافياً لله؟ عليه إذاً بالوحدة ففيها تحفظ حواسه ويحفظ فكره ، ومن هنا كانت الرهبنة هى «حياة الوحدة» أو يسمونها «حياة السكون والهدوء» فالسكون معناه أعم ، وبدونه لا يكون للوحدة ثمرة ، وكما قال ماراسحق «نقتنى من سكون الجسد سكون النفس» .

وفى هذا السكون يعمل الراهب عمله الإلهى ، وهذا العمل يشمل عنصرين وهما: نقاوة القلب ، والتأمل فى الله ، فمن جهة الأول: يجلس الراهب فى سكونه مع نفسه ويفحصها فحصاً دقيقاً فى غير محاباة ، ليرى حقيقتها فى ضوء الوصايا الإلهية وتعليم وسير الآباء ، فأول شئ يكتشفه هو أنه خاطئ وضعيف وأكثر خطية وضعفاً من جميع الناس وهو محتاج إلى صلوات جميع الناس عنه وبركتهم له ، وهكذا تتضع نفسه وتنسحق وتبكى وينوح على خطاياه ، وفى كل يوم يكتشف فى نفسه ضعفاً جديداً وخطايا جديدة أو متكررة أو قديمة تحتاج كلها إلى ندم وتوبة ودموع وتحتاج إلى تنقية وتطهير ، ومن كل ذلك كان الإنسحاق والتوبة ركنين أساسيين فى الرهبنة يوصلان إلى حياة النقاوة التى بدونها لا يعاين أحد الرب .

أما عمل الراهب الآخر فى وحدته فهو أن يجمع فكره من الطياشة فى أمور كثيرة ، لكى يربطه بهذيذ واحد إلهى وهكذا يصلب عقله لله طارداً عنه كل فكرة غير إلهية وكل مسبباتها ومن هنا يمكن أن تسمى الرهبنة «حياة الصلاة الدائمة» وإن كان هذا الأمر ليس سهلاً وليس للمبتدئين إذ يحتاج إلى تدريب لزمن طويل .

أتسأل ما هى الرهبنة؟ هى يا أخى هذا كله: هى الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد ، هى الموت عن العالم بقصد حياة الصلاة الدائمة ، هى حياة الوحدة وحياة السكون وحياة التوبة الحقيقية والإتضاع .

هل هى رهبنة توحدية فقط؟

إن كلمة «موناخوس» معناها متوحد ، وهى مشتقة من «مونو» أى «وحيد» ولكن الترجمة العربية غير دقيقة وهى التى دفعت إلى هذا السؤال. الرهبنة إذاً فى معناها اللغوى الأصلى هى التوحد ، وهى ايضاً فى هدفها الروحى لا يمكن أن تستقيم بغير التوحد ،

إذ كيف يمكن أن يمارس الإنسان الإنحلال من الكل أو الإرتباط بالواحد إلا بالوحدة؟؟ وكيف يمكن أن يصلب الإنسان عقله أو يمارس الصلاة الدائمة إلا بالوحدة؟ على أن الوحدة درجات: تبدأ بالحياة فى المجمع ـ الذى هو مجموعة توحد عن العالم ـ ثم إلى حبس أسبوعى ، إلى وحدة مطلقة على قدر الإمكان ، وهى تحتاج إلى إنتقال حكيم من خطوة إلى أخرى ، وتحتاج إلى إحتراس كبير حتى لا يحبس الراهب نفسه على أخطائه وإنما عليه أن يمارس أولاً ما يسمونه «فضائل المجمع» أى الفضائل التى يمكن ممارستها وسط الناس من وداعة ومحبة وإحتمال وتواضع وخدمة الآخرين وحسن التعامل معهم وآداب الكلام والصمت وحفظ نظام المجمع وقوانينه والطاعة إلخ .

وقد قامت فى مصر أنظمة رهبانية كثيرة ، أعلاها فى الوحدة نظام القديس أنطونيوس حيث كان يعيش فى مغارات أو قلالى متفرقة قد تبعد الواحدة عن الآخرى أميالاً ، ثم نظام القديس مقاريوس حيث كانت الوحدة الأنطونية موجودة وإلى جوارها أنظمة المجمع حيث يجتمع الرهبان كلهم عشية السبت فيصلون معاً ويأكلون معاً ويجلسون جلسة روحية فيها أسئلة وأجوبة ، واحياناً كان بعض الرهبان يحيون معاً فى شركة «كينونيون» وكانت تحدث بينهم احياناً مشاكل سجلها بستان الرهبان ، وأقل هذه الأنظمة من جهة الوحدة كان نظام القديس باخوميوس ، حيث كان مئات الرهبان يعيشون معاً فى دير تحت رئاسة واحدة وبنظام دقيق ، ولكن هذا لا يمنع أن الوحدة فى تلك الأديرة المزدحمة كانت محفوظة ، بل كانت محفوظة بفرض نظام دقيق لحفظ الصمت وعدم الخلطة إلا فى الضرورة وتحديد أوقات العمل والإجتماع وحفظ السكون فيما عداها... وكان القديس باخوميوس حازماً جداً وشديداً ومع ذلك بدأ الإنحلال يدب فى أديرته فى أواخر حياته وتنيح القديس باخوميوس حزيناً ، ولم تعش أديرته طويلاً بعده ، ولا يوجد الآن فى مصر دير باخومى واحد ، على أن النظام الباخومى انتقل إلى الغرب، وبعض الغربيين لم يفهموا روح الرهبنة ففقدوا حياة الوحدة السكون ، وبعضهم حافظ عليها ، والرهبنة حالياً تجمع كل هذا معاً .

ومع ذلك أقول لك أنه بدون حياة الوحدة لا يمكن للرهبنة أن تمارس هدفها الروحى الأصلى الذى هو «الإنحلال من الكل للإرتباط بالواحد» ولا يمكنها أن تمارس

الصلاة الدائمة ولا كل ما ذكرناه سابقاً .

هل لابد لكل راهب أن ينتهى إلى الوحدة بعد فترة المجمع؟

أقول نعم ، إن كان هذا الراهب يفهم الرهبنة على حقيقتها ويسير حسناً فى فترة حياته فى المجمع ، وإن كان مؤهلاً لحياة الوحدة ويستطيع أن يحياها ويثمر فيها وإن لم يسمح الله بمعطلات إلى حين .

وحتى مع كل ذلك إن لم يستطع أن يدرك الوحدة فى معناها الكامل فليدرك كل ما يمكن أن يناله منها .

كيف نثبت أن التوحد هو أسمى درجات الرهبنة؟

كثيرة هى أقوال الآباء التى قيلت فى هذا الصدد ، لا أستطيع أن أحصرها وواضح هذا الأمر جداً فى سير الآباء القديسين حتى أن الأنبا أنطونيوس يشبّه الراهب فى قلايته ـ وليس فى الدير ـ بالسمكة فى البحر؟ وكان الآباء يسمون كثرة الخروج من القلاية «طياشة الجسد» .

ولكن لنتناول الأمر من الناحية المنطقية البحتة ، فنقول أن التوحد هو الوسيلة التى بها يحقق الراهب هدفه من الرهبنة ، وبقدر ما ينمو فيها يستطيع أن ينمو فى عمله الإلهى ، لأن الراهب إذا ترك قلايته ماذا يستفيد سوى أن يجمع لعقله أخباراً يطيش فيها، ولقلبه إهتمامات ينشغل بها ويضيع وقته ويبعد عن صلاته وهذيذه ويهدم ما بناه فى وحدته؟ ولماذا إذاً ترهب؟ أليس لكى ينحل من الكل؟ وكيف يمكن ذلك بدون الوحدة؟ بل هو كلما ينمو فى الوحدة يتفرغ عقله من الإهتمامات الكثيرة لينشغل بما لله وحده ويتفرغ قلبه من العزاء البشرى ليحظى بالعزاء الإلهى ويجد لنفسه وقتاً لهذيذه بالإلهيات .

الوحدة من الكتاب المقدس

نشأت الرهبنة فى النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى ، ومع ذلك فللوحدة أصول فى الكتاب المقدس ، إن يوحنا العمدان الذى قال عنه السيد المسيح أنه أعظم من ولد من النساء قال عنه الكتاب المقدس «أما الصبى فكان ينمو ويتقوى بالروح وكان فى

البرارى إلى يوم ظهوره لإسرائيل» (لو١ :٨٠) لقد قضى يوحنا ما يقرب من ثلاثين سنة فى البرية وحده لذلك استحق أن يكون الملاك الذى ينير الطريق أمام المسيح... وقبله كان إليشع وإيليا يعيشان فى الجبال (٢مل١ :٩، ٤ :٢٥) وكثير من رجال الإيمان قال عنهم الكتاب المقدس أنهم طافوا «فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين... وهم لم يكن العالم مستحقا لهم ، تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الأرض» (عب١١ :٧-٣٩) وقال أرميا النبى «جيد للرجل أن يحمل النير منذ صباه ، يجلس وحده ويسكت» (مرا ٣ :٢٧) والسيد المسيح نفسه كان يتوحد كثيراً فى الجبل ، جرب على هذا الجبل حيث قضى أربعين يوماً صامتاً وسط الوحوش (مر ١ :١٢، ١٣) وعندما عرض عليه الملك «انصرف ايضاً إلى الجبل وحده» (يو٦ :١٥) وكان جبل الزيتون مكاناً مختاراً له يقضى فيه أوقاتاً كثيرة ويبيت فيه (لو٢١ :٣٧) وما أجمل قول يوحنا الرسول «فمضى كل واحد إلى بيته أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون» (يو٧ :٥٣، ٨ :١) ويقول لوقا: «وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى وقضى الليلى كله فى الصلاة لله» (لو٦ :٢٢) حاول أن تتبع بنفسك علاقة السيد المسيح بالجبل فستجد شواهد كثيرة .

على أن الوحدة بمعناها الحالى بدأت فيما بعد ، وإن كانت لها أصول راسخة فى القديم ، وقبل أن نترك هذه النقطة لا يليق أن ننسى مثلاً عالياً فى الوحدة هو حنة النبية التى يقول عنها الكتاب المقدس بأنها «أرملة نحو أربعة وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً» (لو٢ :٣٧) .

خطاب من مرشد روحاني (*)

حول حياة الكمال المسيحي (٣)

السؤال الثالث:

هل يمكن للإنسان أن يعيش روحياً ويصل إلى الكمال وهو فى العالم وأن تكون خدمته خدمة التكريس؟

... **نعم** ، يمكن أن يعيش الإنسان روحياً فى العالم ، فكلنا كمسيحيين مفروض فينا أن نكون كلنا روحيين ، نسلك حسب الروح وليس حسب الجسد (رو٨) فإن كان المسيحى الروحى يضيف إلى حياته البارة «خدمة التكريس» فهذا أحسن جداً.

وأما ، هل يصل الإنسان ـ وهو بعد فى العالم ـ إلى الكمال فهذا ممكن ، وأعنى بالكمال الكمال النسبى طبعاً ، ولكنه ليس الكمال النسبى فى أعلى درجاته ، عندما قال بولس الرسول «ولكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين» (١كو٢ :٦) لم يكن طبعاً يقصد الرهبان ، وإنما المسيحيين القديسين فى العالم ، هذا السلوك الروحى وهذا الكمال النسبى عاش بهما فى العالم آباؤنا الرسل والأنبياء والشهداء والقديسون من الأساقفة والاكليروس وكل الشعب ، عاش بهما بتوليون وايضاً متزوجون ، عاش بهما مكرسون وعلمانيون... ولكن لكل واحد من هؤلاء جميعاً درجته الخاصة ، إن السيد المسيح يا أخى المحبوب قال ـ حتى عن الزرع الذى أتى بثلاثين فقط ـ أنه «زرع جيد» ولكن لا شك أن هناك فرقاً بينه وبين الذى أتى بستين والذى أتى بمائة! «لأن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد» (١كو١٥ :٤١) .

كمال الرهبنة

الكمال النسبى إذاً على درجات ، أعلاها تساعد عليه الرهبنة ، فما يمكن أن يصل إليه الراهب القديس هو بلا شك أعلى مما يمكن أن يصل إليه العلمانى القديس ، لأن

(*) مجلة مدارس الأحد ـ العدد الخامس ـ السنة السادسة عشر ـ يونيو ١٩٦٢م ـ صـ٨.

الإمكانيات الموجودة لدى الراهب أكثر جداً من الإمكانيات الموجودة لدى العلمانى:

فالراهب عنده وقت كاف للعبادة ـ وقت للجلوس مع نفسه وفحصها وتفتيشها وتبكيتها وتثقيفها ، عنده وقت للقراءة والحفظ ، وقت للهذيذ والتأمل ، ووقت للميطانيات وللبكاء على خطاياه .... عنده فرص لحياة الصلاة الدائمة ، لا أعنى فقط الساعات السبع جميعاً ولا ما يمكن أن يضاف إليها من مزامير وصلوات الأنبياء والقديسين والصلوات الخاصة به إنما أعنى الصلاة الدائمة ، الصلة الدائمة بالله ، حتى فى وقت عمله فى الدير يستطيع أن يحفظ قلبه وعقله متصلين بالله ، ومن ضمن إمكانيات الراهب ايضاً أنه يعيش بعيداً عن العالم وسياسته وأخباره وإهتماماته ومشاكله وضجيجه وأعصابه المضطربة ، وهو ايضاً بعيد عن كثير من العثرات والمشتهيات وأسباب الخطية ، يعيش منعزلاً فى بيئة دينية منعزلة... عنده فرصة للتناول كل يوم ، وللإعتراف كل يوم أو كل وقت ، عنده فرص للسهر الهادئ المنتج ، وفرصة بل فرصاً للصمت ، وفرص للصوم بدون مانع وفى الخفاء ، عنده خلوة ومسكن منفرد ، وله فرصة للتمتع بالطبيعة وبالجبل وبالقفر وبالخلاء... وكما يقول ماراسحق «إن مجرد نظر القفر يميت من القلب الحركات العالمية» والراهب ايضاً أمامه حياة السكون وهدوء ولديه فرص لتنفيذ وصايا وممارسة فضائل ليست فى مقدور من هم فى العالم!!

وماذا أقول لكم ايضاً؟ هناك أمر هام أقوله لك: إن الشيطان مستعد أن يتساهل معنا فى كل شئ ، ما عدا أمرين لا يحتملهما ، وهما جلوس الإنسان مع نفسه وجلوسه مع الله ، هو لا يريدنا أن نجلس مع أنفسنا حتى لا نعرف حقيقتها وخباياها ونقائصها وأمراضها الخفية والظاهرة وشهواتها وأهدافها وإنحرافاتها ، لا يريدنا أن نجلس مع أنفسنا حتى لا نكتشف خطايانا ونبكت ذواتنا عليها ، ونندم بسببها ونبكى ، وحتى لا نفكر فيما يمكننا أن نعمله لإصلاح ذواتنا وتغيير سبلنا الردية ، كما لا يريدنا أن نمكث مع الله حتى لا تكون لأنفسنا صلة به ، وحتى لا نأخذ منه مغفرة ، وحتى لا ننال منه معونة للسير فى طريقه ، فخطة الشيطان الخبيثة هى هذه: أن يكون الإنسان بإستمرار فى متاهة عن نفسه ، وهذه الحرب يستخدمها ايضاً مع الذين تفرغوا لأجل «خدمة التكريس» ، هو يريد بالنسبة لكل منهم أن تشغله الخدمة ايضاً عن نفسه وأن تكثر مشاغله ومسئولياته وإهتمامه وأعباؤه حتى لا يجد وسط كل ذلك وقتاً يجلس فيه مع

نفسه أو يقف فيه أمام الله!!

قد يخطئ العلمانى والراهب ايضاً قد يخطئ ، فكلا الإثنين تحت الآلام ، ولكن بينهما فرقاً ، هو أن الراهب يملك وقتاً طويلاً يستطيع أن يجلس فيه مع نفسه ويكتشف خطاياه ويبكى عليها ويتوب ، أما العلمانى فمشكلته فى هذه الناحية أنه مشغول ، مشغول فى عالم تعب منه لوط البار الذى كان «مغلوباً من سيرة الأردياء فى الدعارة ، إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة» (٢بط٢ :٧، ٨) .

السؤال الرابع:

كيف يعرف الإنسان أنه مدعو من الله للرهبنة؟ وما هى العلامات الواضحة؟ وما هى الشروط الأساسية الواجب توافرها؟

الدعوة

ما هو المقصود بكلمة «دعوة»؟ فإن كثيرين يرددون هذه الكلمة وربما تكون مبهمة غامضة عندهم . هل المقصود بها إعلان برؤيا أو حلم أو ملاك أو صوت إلهى؟ أخشى إن كان هذا هو المقصود أن يقع الشخص المعتقد فى:

١) أنه يعقد الأمر على نفسه ولا ينفذ لأن هذه ليست هى الطريق الطبيعية التى يرشد بها الله أولاده ، أقصد طريقة المعجزة والأمور الخارقة للطبيعة وليس الجميع مؤهلين لإحتمال مثل هذه الإعلانات الإلهية .

٢) هذه الطريقة عرضة لخداع الشيطان ـ لأن الشيطان ـ إذا عرف أن الإنسان منقاد وراء هذه الأمور ـ يظهر له رؤى وأحلام كذبة «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور» (٢كو١١ :١٤) .

وقد ورد فى البستان أن إخوة زاروا الأب أنطونيوس ليسألوه عن الأحلام والرؤى ومات حمارهم فى الطريق ، فلما وصلوا إلى القديس سألهم عن حمارهم الذى مات ، فقالوا له وكيف عرفت هذا؟ فأجابهم «أتانى الشياطين فى حلم وقالوا لى» ، وفى البستان

فصل طويل جداً عن الأحلام والرؤى والمناظر الكاذبة وقصص الذين خُدعوا بها وأضلتهم الشياطين .

+) فما المقصود إذاً بكلمة «الدعوة»؟ وهل فى كل أمر من أمور حياتنا نصر على مثل تلك الدعوة؟ ألا يحدث أن نتخذ قرارات خطيرة تغير مجرى حياتنا ونفعل ذلك بضمير مرتاح دون أن نفكر فى هذه الدعوة؟ فلماذا إذاً نقف أمامنا هذه الكلمة فى موضوع الرهبنة لتعقد الأمر علينا وتمنعنا من عملنا المقدس؟ ثم ما هى الرهبنة؟ أهى حياة بتولية؟ الجميع يدعوهم بولس الرسول إلى هذا الأمر ويحثهم عليه «ألا يمس الرجل إمرأة» «وأريد أن يكون جميع الناس كما أنا» «...ومن لا يزوج يفعل أحسن» (١كو٧)... أهى حياة تجرد؟ جميع الناس مدعوون إلى التجرد (مت١٩ :٢١ ، لو١٢ :٣٣، ٣٤).. أهى حياة صلاة دائمة؟ الجميع مدعوون إلى الصلاة الدائمة «صلوا كل حين ولاتملوا» «صلوا بلا إنقطاع» (٢تس٥ :١٧)... أهى حياة موت عن العالم؟ المسيحيون كلهم مفروض فيهم أنهم موتى عن العالم كما شرحنا... أهى طريق الكمال؟ الجميع مدعوون إلى الكمال... أهى جلوس عند قدمى المسيح فى تأمل؟ لقد مدح السيد مريم عندما فعلت ذلك ولم يقل لها «من دعاك إلى هذا؟» الناس يقبلون على الخدمة بضمير مستريح ، وعند الرهبنة يسألون عن الدعوة! بينما العكس هو الصحيح!! الخدمة هى التى تحتاج إلى دعوة أكثر من حياة الصلاة ، وما جاء فى الكتاب المقدس عن الدعوة قيل عن الخدمة .

والآن فلنلق نظرة على حياة بعض آباء الرهبنة الكبار! لنعرف ماذا كانت الدعوة فى حياتهم... الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان ، كيف دعى؟ ذهب إلى الكنيسة فسمع الآية «اذهب بع كل ما لك» فأثرت فيه فمضى وباع كل ما له ، وهكذا أثرت فيه الآية «لا تهتموا بما للغد» وأثر فيه موت أبيه ، فزهد العالم وترهب ، ماذا كانت دعوته غير هذا؟

أنبا بولا أول السواح: رأى ميتاً ـ وهو فى طريقه ليحتكم عند الوالى بشأن الميراث وسمع كلاماً ، فأثر فيه الموت وما سمع فيه من كلام فترك أخاه والميراث والبيت وترهب ، فماذا كانت دعوته هو ايضاً غير هذا الاقتناع الداخلى بفناء العالم والزهد فيه؟؟

والأنبا باخوميوس أب الشركة ، أثر فيه ما لقيه من معاملة حسنة من المسيحيين وهو رجل وثنى فتعمد وترهب ، فماذا كانت دعوته؟

يعوزنى الوقت إن حدثتك عن تادرس تلميذ باخوميوس وبولس البسيط تلميذ أنطونيوس وآمون أب جبل نتريا ويحنس كاما وشنوده رئيس المتوحدين... إلخ ، تأمل أنت يا أخى فى سير هؤلاء القديسين وغيرهم وابصر بنفسك ماذا كانت دعوتهم...

فما هى الدعوة إلى الرهبنة إذاً؟ وما هى الشروط اللازمة؟ أول كل شئ فى هذه «الدعوة» إقتناع قلبى كامل بتفاهة هذا العالم وزهد حقيقى فيه ، مع إشتياق للتفرغ لله والحياة له وحده ، إن حدث هذا لإنسان سيسلك فى العالم سلوك شخص مات العالم فى قلبه!!

وأن يموت هو ايضاً عن العالم أى يحل من روابطه ، والناس فى هذا الأمر الأخير على نوعين: نوع تمكنه ظروفه من الإنحلال من هذه الروابط دفعة واحدة ، ونوع آخر يتدرج فى هذا الأمر ويصلى من أجله حتى يدبره له الله ، وعندما يتم له هذا ينطلق بسلام ، تسألنى «وماذا كانت دعوته؟» أقول لك: إن هذا الإنسان مات عن العالم؟ ترهب فى قلبه رهبنة حقيقية ولم يبق له إلا الشكل .

عندما يترهب أحد فى الدير ، لا نقول أنهم رهبنوا فلان وإنما الأصح أن نقول أنهم اعترفوا برهبنته أو على حسب تعبير الكتب القديمة «ألبسوه إسكيم الرهبنة» وما هى الشروط الأساسية اللازمة إذاً؟ هى هذا الذى قلناه: موت للعالم فى القلب وظروف تساعد على هذا الإنحلال من ربطه .

السؤال الخامس:

كيف نعرف الوقت الذى ينطلق فيه الإنسان من العالم؟
وهل لابد من وقت معين للإنطلاق؟

ينطلق الإنسان من العالم عندما يموت العالم كلية فى قلبه ، فلا يبق فى قلبه أى شهوة ولو صغيرة من جهة العالم وما فيه ومن فيه ، وايضاً حينما تكون قد تقطعت جميع الرباطات التى تربطه بالعالم ، والمهم فى ذلك أن يكون ضميره مستريحاً راحة تامة

حقيقية من جهة هذا الأمر فلا تكون متخلفة وراءه إشكالات تزعجه فى بدء رهبنته... إن كانت هناك إشكالات فإما أن ينتظر حتى تحل ثم يترهب ، أو يبدأ عملياً فى وضع حلول لها منذ مضيه على الرهبنة ، وإما أن يذهب إلى الرهبنة ووراءه بعض الإشكاليات فيجب أن يكون لديه الإيمان الكافى بأنها ستحل بنعمة الله ، وبهذا الإيمان يترهب وبهذا الإيمان تحل مشاكله ، على أن كلمة «مشاكل» قد تفهم فى الواقع فهماً نسبياً: فما يبدو مشكلة لشخص ما قد لا يراه غيره أنه مشكلة...

الواقع ، الذى يتعب الراهب ـ من جهة هذا الأمر ـ فى بدء رهبنته أمران:
١) حروب الشيطان لإقلاقه كما حاولوا مع أنبا أنطونيوس .
٢) أو أى يكون الإنسان لم يمت موتاً كلياً عن العالم فما زال قلبه متصلاً به فى نقطة ما .

السؤال السادس:

هل يجوز للراهب أن يقبل رتباً كنسية؟ وهل له حق المعارضة فى ذلك؟

يجوز للراهب أن يقبل رتباً كنسية (داخل الرهبنة) ، ولكن البعد عن هذه الرتب أفضل من جهة حياة الإنسحاق ، ومن جهة البعد عما تتطلبه من مسئوليات ومشغوليات قد تعكر حياة الوحدة التى يشتهيها... وقد قبل بعض آباء الرهبنة الكبار رتباً كهنوتية مثل الأنبا إيسيذروس قس الأسقيط (القلالى) ، والأنبا موسى الأسود ، والأنبا يؤانس القصير قمص شيهيت ، وأنبا دانيال القمص ، وأنبا يحنس كاما القس.. إلخ وكانت ضرورة الإعتراف والخدمة الكنسية فى البرية هى التى إضطرتهم إلى ذلك ، أما عن الرتب الكنسية الكبيرة مثل الأسقفية بفروعها التى تخرج الراهب ليس من الوحدة فقط بل من البرية كلها ، فإن من يريد أن يحيا حياة الوحدة وإنحلال من الكل عليه أن يرفضها رفضاً باتاً وأن يهرب منها.

من حق الراهب أن يهرب من هذه الرتب ، وقد روى التاريخ أن القديس باخوميوس هرب من البابا أثناسيوس ، فلم يغضب البابا أثناسيوس من ذلك وفى رجوعه وعد بإعفاء باخوميوس من هذا الأمر وقابله وتباركا...

أما متى يعرف الراهب الوقت الذى يقبل فيه الكهنوت ـ إن قبل ـ فهذا فى الواقع أمر شخصى جداً من الصعب تحديده ويتوقف على حالة الراهب ذاته وظروفه المحيطة ، ونتائج هذا القبول على حياته وحياة غيره...

ختاماً أرجو لك كل خير. كن معافي في الرب . وصل عني .

١٩٦١/٣/٢٤

تذكار القديسة الراهبة الأم سارة

راهب بشيهيت

الفصل الثالث

من كتابات الأنبا شنوده أسقف التعليم

١) تأمل
٢) بدلاً من أن تلعنوا اظلام أضيئوا شمعة
٣) قصة: أبونا أنسطاسى
٤) حبيب جرجس
٥) تأمل
٦) احياناً نُدان على صمتنا
٧) تأمل
٨) وحدة... لكن فى الإيمان
٩) تأمل
١٠) الأحوال الشخصية
١١) تأمل
١٢) تأمل
١٣) تأمل
١٤) تأمل
١٥) تأمل
١٦) حياة التوبة
١٧) فى طريق كنعان

تأمـــل.... (*)

عندما وعد الرب يسوع أن يذهب إلى بيت قائد المئة ليشفى غلامه ، أجاب «لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى ، ولكن قل كلمة واحدة فيبرأ» وإذ دعا نفسه «غير مستحق» أظهر أنه مستحق ـ ليس فقط أن يدخل المسيح بيته ـ وإنما أن يدخل إلى قلبه، لأنه ما كان يمكن له أن يتكلم بذلك الإيمان والإتضاع ما لم يكن يحمل فى قلبه ذلك الذى خاف من دخوله البيت ، والرب يسوع ما كان يسعده أن يدخل بيت الرجل دون أن يدخل قلبه ، إنه إتكأ فى بيت فريسى متكبر اسمه سمعان ، وعلى الرغم من إتكائه فى بيته ، لم يكن هناك موضع فى قلب الفريسى يسند فيه ابن الإنسان رأسه.

إن إعتماد أشخاص على قوتهم الخاصة يجعلهم بعيدين عن القوة (الحقيقية) لا يأخذ أحد قوة من الله إلا الذى يشعر فى ذاته أنه ضعيف .

القديس أغسطينوس

(*) مجلة الكرازة: العدد الأول ـ السنة الأولى ـ يناير ١٩٦٥م ـ صـ ١.

بدلاً من أن تلعنوا الظلام... أضيئوا شمعة

لعل البعض سيسأل: ما هى سياسة المجلة؟

إننا سنسير بطريقة الله تمجد اسمه ، كما شرحها فى سفر التكوين (١ :٢ـ٤) «كان على وجه الغمر ظلمة» فماذا فعل الله؟ رفّ روحه على وجه المياه ، لم يقل الله «لا تكون ظلمة» وإنما قال «ليكن نور» «وكان نور ، ورأى الله النور أنه حسن» هكذا نحن ـ بنعمة الرب وفعل روحه القدوس ـ سوف نضع هذا المثل أمامنا «بدلاً من أن تلعنوا الظلام أضيئوا شمعة»... سنشعل الشموع فى كل مكان ، وفى كل مناسبة ، وفى كل مشكلة ، سنظل نردد عبارة الرب «ليكن نور» .

إنها سياسة حكيمة ، أعلنها لنا الرب فى مثل الزوان (مت١٣) ، لقد قال لعبيده «أتريد أن نذهب ونجمعه؟» فقال «لا ، لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه ، دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد»... سيظل الزوان إذن إلى يوم الحصاد ، ليس عملنا أن نقلعه ـ هكذا قال لنا الرب ـ إنما عملنا أن ننمو كحنطة ، حتى إذا جاء الحاصد العظيم ، يجد سنبلاً مملوءً قمحاً ، فيجمع منها ثلاثين وستين ومئة ، وتمتلئ أهراؤه حنطة .

إن كنت يا أخانا العزيز قد تعبت من قلع الزوان ، وما يزال فى الأرض تعبك ، وإن كنت قد خسرت روحياتك فى نزع الزوان ، وما نزعته ، وما ربحت نفسك ، بل وجدت حنطتك قد اقتلعت معه... إن كنت كذلك ، فتعال أيها المحبوب معنا ، نزرع الحنطة معاً ، تعال بنا نلق البذار فى كل مكان ، لعل البعض يسقط على الأرض الجيدة فيثمر ثمراً ، فلنغرس ولنسق ، ولندع الله أن ينمى غروسنا ، ويضعفها كمقدارها كنعمته ويفرح وجه الأرض ليروى حرثها ولتكثر أثمارها .

إننا نؤمن بالعمل الإيجابى البنائى ، ونود أن تكرس كل جهودنا له .

ونحن نؤمن ايضاً أنه «إن لم يبن الرب البيت فباطلاً تعب البناءون» لذلك وسيلتنا هى

أن نمسك بالله ، وندخله فى العمل ونجعله يمسك السفينة ، يقودها كيفما يشاء إلى حيثما يشاء ، أما نحن فليتنا نكون أدوات صالحة طيعة فى يديه الطوباويتين ، يعمل فينا وبنا حسب وفرة حكمة مشيئته .

نقول ايضاً إن عملنا الإيجابى لا يمنع مطلقاً أن ندافع عن الحق ونظهره ، لذلك سنقول الحق ، ونشهد له فى قوة ، ولكننا سنقوله ايضاً فى أدب ، وفى إتضاع ، وفى حكمة ، لأننا إن لم نفعل هكذا لا يرضى الحق عنا ، وفى قولنا الحق سوف لا نجامل أحداً ، ولا نتملق أحداً ، إن المجاملة والتملق أضاعا كثيرين ، وليسا هما من صفات القديسين .

ونحن عندما نعمل ، ونعمل من أجل الرب وحده ، سنضع أمامنا حياة الآباء القديسين وسيرهم العطرة وأقوالهم المقدسة ، إننا لا نؤمن بالإبتداع فى الدين ، وإنما سنسير على الأصول الثابتة التى وضعها لنا الآباء الأولون بإرشاد الروح القدس ، كل ما يخالف تعاليمهم سنرفضه ، ندعو الناس إلى رفضه ، جاعلين أمامنا قول بولس الرسول «إن بشرناكم نحن أو ملاك بغير ما بشرناكم فليكن محروماً» (غل١ :٨) .

نضع أيدينا فى يدك أيها القارئ العزيز ، اكتب لنا كل ما يجول بخاطرك ، واتصل بنا ولنتفاهم كلنا معاً من أجل الرب وكنيسته ، وصلّ عنا كثيراً ليشترك الرب معنا فى كل كلمة نكتبها ، ولنبدء بدءً حسناً بنعمته .

أبونا أنسطاسى

.... اندهش أبونا أنسطاسى جداً عندما استيقظ فأحس أن لفافة فوق وجهه ، فرفع يديه ليبعدها عنه ، فسقط شئ من يده ، فتحسسه فإذا هو صليب .

كان الظلام يسود المكان ، وتعجب أبونا أنسطاسى من هذا جداً ، لأنه تذكر أن نافذة قلايته كانت مفتوحة عندما رقد لينام ، وأن نور القمر كان يتخلل المكان ويضئ الغرفة!! ثم ما هذه الرائحة العجيبة التى يشمها؟ حاول أن يعرف سرها فلم يستطع ، رائحة تشبه رائحة الموت....!

وكان بعض الوقت قد مر عليه ، وقد ألفت عيناه الظلام ، فدقق النظر جيداً لعله يبصر ، وهنا وقف شعر رأسه فى خوف وفزع ، واضطرب جسده كله ، فوضع كفيه على عينيه لعله يزيل المنظر من أمامهما ، ولكنه لما رفع يديه وجد المنظر كما هو: أكوام من عظام فى بعض الأركان ، وأجساد مسجاة حواليه على الأرض ، وكل جسد منها يرتدى «تونية» بيضاء ، وعلى وجهه لفافة وفى يده صليب...

لاشك أنه فى طافوس [1] الدير!!

وهنا تملكه خاطر عجيب ، حاول أن يبعده عن نفسه فلم يستطع... وبحركة لا شعورية نظر إلى ذاته ، فوجد أنه هو ايضاً يلبس تونية بيضاء ، وكان ما استطاع أن يراه من شعر لحيته ابيضاً كله ، ولم تكن فيها من قبل سوى ثلاث أو أربع شعرات بيضاء ..

أدرك الحقيقة المذهلة ، وهى أنه فى طافوس الدير... فما الذى حدث له؟

هل مات حقاً؟ وأقامه الله من الأموات؟.... أم وقع الرهبان فى خطأ وظنوه ميتاً فدفنوه؟.... أم هناك تعليل ثالث؟

إنه لا يعرف... ومع ذلك فهناك حقيقة خطيرة واضحة أمامه ، وهى أنه على الأقل

١) «طافوس» كلمة يونانية معناها مقبرة .

ميت فى نظر الناس.... وعرف ايضاً حقيقة أخرى ، وهى أنه لا يستطيع أن يخرج من هذا الوضع ، إذ كيف يمكن للناس أن يروا أمامهم ميتاً قد دفنوه بأنفسهم!! أعصابهم لا تحتمل وعقولهم ايضاً لا تحتمل .

إذن عليه أن يقضى بقية حياته كميت داخل الطافوس...

كانت هذه تجربة جديدة عليه فى الحياة ، كيف يمكن أن يحيا هكذا؟

فى أول يوم تعب تعباً شديداً ، كانت الرائحة كريهة ومنتنة لا يستطيع أن يحتملها ولكنه قال لنفسه «المفروض أننى تركت تنعمات العالم وعلىّ أن أحيا هكذا» ، وتذكر قصة الأنبا أرسانيوس عندما كان ترك الماء الذى يبل فيه الخوص دون تغيير حتى ينتن ، ويقول أن تلك النتونة عوض عن الروائح الطيبة التى كان يتمتع بها فى القصر الإمبراطورى..، وما لبث أبونا أنسطاسى أن تعود هذا الوضع: أن يحيا وسط العظام ، وأن يحتمل تلك الرائحة ويألفها .

بقيت أمامه مشكلة الطعام... كيف يأكل؟

لم يكن لديه فى الطافوس أى نوع من الطعام ، وما كان ممكناً أن يجلب أطعمة من الدير ويحفظها!! إنما كان يخرج كل ليلة فى الظلام حوالى منتصف الليل ، ويأكل بعضاً من الثمار أو الخضروات الموجودة فى حديقة الدير ، أو بقية أكل فى إناء نسى الطباخ أن يغسله ، أو مجرد خبزة وقليلاً من الملح ، وذلك يكفى... ثم يقضى اليوم كله صائماً حتى يحين منتصف الليل مرة أخرى ، وهكذا قضى سنوات طويلة لم تبصره الشمس فيها آكلاً ، وفى الواقع لم تبصره الشمس على الإطلاق .

وطبعاً لم يكن لديه فى الطافوس أية أدوات أو أوان... وهنا تذكر أبونا أنسطاسى كيف كان يحتفظ فى قلايته بعشرات المعدات فى المطبخ وبألوان من الأطعمة والأوانى ، أما الآن فليس لدى شئ منها ، وهو يعيش من غيرها جميعاً كما كان يعيش القديس الأنبا بيجيمى السائح بدون أدوات على الإطلاق فى مغارته ، وهنا شعر أبونا أنسطاسى بخجل من حياته الماضية .

بدأ ضميره يوبخه ، كيف كان ـ وهو راهب ـ يحتفظ بأشياء كثيرة كانت تبدو ضرورية أمامه فى ذلك الحين!! وقد ثبت الآن عملياً انه استطاع أن يعيش من غيرها...

وهنا تذكر عشرات الأدوات الأخرى التى كان يستخدمها فى قلايته فى ذلك الزمان: من أدوات مكتب ، وأثاثات وصور وملابس وأغطية ونشريات عديدة لا تدخل تحت حصر. وأنبه ضميره كثيراً على ذلك كله ، ما معنى الفقر الذى كان قد نذره يوم رسامته؟ أين فضيلة التجرد؟ وهنا بحث مع نفسه مشكلة «الضروريات والكماليات» إنها ولاشك مسألة نسبية تتوقف على مدى تجرد الشخص وتقييمه للإحتياجات .

أما الآن فقد استطاع أبونا أنسطاسى أن يحيا فى الدير وهو لا يملك شيئاً على الإطلاق فى حياة تجرد كامل .

حتى القلاية ، المسكن الخاص ، إنه يحيا الآن فى الطافوس ، ولا يستطيع أن يعتبره قلايته الخاصة ، إنه غريب ايضاً حتى فى هذا المكان ، كانت له قلاية ومحبسة ، لا يستطيع أحد أن يدخلها بدون إذنه ، يغلقها ويفتحها كما يشاء بمفتاح يحتفظ به معه ، أما الآن فإنه لا يملك التصرف فى المكان الذى يعيش فيه ، لو أدخلوا عليه شخصاً جديداً ، لا يمكنه أن يحتج ولا أن يفتح فمه ، بل بمجرد أن يسمع دقات حزينة من جرس الدير ، يسرع إلى وضعه كميت ويرقد نفس الرقدة ويغطى وجهه بلفافة ، حتى إن فتحوا الطافوس لدفن الميت الجديد يجدون كل شئ كما تركوه .

حتى الكتب لم يكن يملك منها أبونا أنسطاسى شيئاً...

إذن كيف كان يقضى وقته؟ وهنا أحس خطأه القديم ، فى ذلك الزمان كان هدفه أن يملأ عقله بالمعلومات: يقرأ عشرات الكتب ، ويصبح دائرة معارف ، وربما لا يجد وقتاً يتأمل فيه ما قرأ... أما الآن فإذ لا توجد لديه كتب ، بدأ يجتر المعلومات المخزونة فى ذاكرته ، ويتأمل.. أحياناً كان يستغرق فى آية واحدة بضعة أيام ، يغوص فى أعماقها ويكشف له الروح أسراراً عجيبة ، حتى كان يصرخ فى فرح مع داود «لكل كمال رأيت منتهى أما وصاياك فواسعة جداً» ، عرف أنه كان يعيش قديماً على القشور ، قشور المعرفة السطحية ، وعندما كانت تضغطه الرغبة فى القراءة ، كان يذهب فى الظلام إلى الكنيسة ويقرأ قليلاً فى هدوء ويرجع .

وعاش أبونا أنسطاسى حياة عزلة كاملة وصمت...

لم يكن يزور أحداً طبعاً ، ولم يكن أحد يزوره ، وطبعاً عاش فى صمت كامل لا

يتحدث إلى أحد... فى إحدى المرات كان بعض الرهبان يتكلمون خارج الطافوس ، وكان يسمع أصواتهم ولا يعلق بشئ... هل المعلومات التى يقولونها صحيحة أم خاطئة؟ هل هى ناقصة أم كاملة؟ ليس له أن يتدخل ما شأنه؟... وفى مرة أخرى سمع رهباناً خارج الطافوس يتحدثون فى أخبار الآباء الأولين ثم ورد اسمه على ألسنتهم ، ذكره البعض بالخير وانتقده آخرون ، أما هو فصامت ، لا يشكر المادح ، ولايجادل المنتقد ، إنه ميت .

وفى ذات ليلة مرة مرض أبونا أنسطاسى ، وطبعاً لم يزره طبيب ، ولم يأخذ دواء ولا أى نوع من العلاج... ولا تغذية ولا تقوية ، احتمل فى هدوء وصمت ، حتى كلمة العزاء لم تصل إليه ، إذ لم يفتقده أحد... بل كان احياناً لا يستطيع حتى مجرد التأوه عندما يحس أحداً خارج الطافوس... وظل هكذا حتى شفى .

وفى إحدى المرات ، وهو يمشى ليلاً رآه راهبان ، فصاح أحدهما وهرب ، أما الآخر فظنه أحد السواح أو أحد القديسين القدامى ، فتقدم إليه وركع ، وطلب إليه أن يباركه، فلم يجادل وإنما أطاع ، وضع يده عليه وباركه ، ومضى مسرعاً نحو الطافوس... وأشيع فى الدير أن قديساً ظهر لبعض الرهبان ، واعتكف أبونا أنسطاسى جملة أيام لا يخرج إطلاقاً ، لم يأكل فيها ولم يشرب .

عاش أبونا أنسطاسى بعيداً بالكلية عن العالم وأهله ، كان فى ذلك الزمان يكتب رسائل لكثيرين وتصله الرسائل منهم ، أما الآن فإنه ميت... وهكذا بعد عن الخطابات وايضاً عن المجلات والجرائد ، وعن الأخبار عموماً ، لا تصله أخبار العالم ، ولا أخبار الكنيسة ولا حتى أخبار الدير ، وبمرور الوقت بدأ ينسى الأخبار القديمة ايضاً .كان قديماً يشعر أن الدير محتاج إليه ، وأنه عمود من أعمدة الدير ، شخص مهم يقوم بمسئوليات عديدة! أما الآن فعرف أن الدير ما يزال ديراً بدونه...

وكذلك الكنيسة ، تخلو فيها أحياناً بعض المناصب والمسئوليات ، فلا يرشحه أحد لشئ منها ، إنه ميت... وهو ايضاً لا يفكر فى هذه الأمور ولا يعلم بها .... وإذ لم يكن له ما يشغله سوى الله ، عاش حياة الصلاة الدائمة...

فى ذلك الزمان ـ قبل موته ـ كان يقضى ليالى كثيرة فى القراءة ، وفى الكتابة ،

وفى الترجمة ، وفى التأليف ، وفى النساخة ، وفى أمور خارجة عن نفسه ، أما الآن، فإنه لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب بالليل إذ لا توجد كتب ، ولا إضاءة ، فأصبح يقضى الليل كله فى الصلاة وتذكر قول ماراسحق «الليل مفروز لعمل الصلاة» وكان يعمل فيه ايضاً أعماله الضرورية فى الدير .

ونما فى الصلاة كثيراً ، حتى تحولت حياته إلى صلاة ، لم يعد فى عقله إلا الله ، وبمرور الوقت نسيت التذكارات القديمة إذ ليس شئ جديد عالمى يضاف إليها ، بدأ عقله الباطن يتنقى من كل ما فيه من أخبار العالم وذكرياته وإهتماماته ، وهكذا زالت الطياشة من صلاته ، وبدأ يصل إلى نقاوة القلب وإلى نقاوة الفكر ، وإلى الإنحلال من الكل والإتباط بالواحد .

تنقى من الأفكار الخاطئة... ولكن فكراً واحداً ظل يحاربه...

قال لنفسه: هأنذا قد عرفت الرهبنة الحقيقية ، ومارست الموت الكلى عن العالم والإتصال الكامل بالله ، فماذا يمنع أن أظهر للدير وأحيا هكذا؟

شجعه على هذا الفكر طول المدة التى قضاها فى الطافوس بحيث نسيه الناس ، كثير من زملائه القدامى رآهم يدفنون معه فى الطافوس ، وغالبية رهبان الدير الآن من الجدد الذين لم يعاشروه ، والباقون من زملائه قليلون ، ولا يتوقعون رؤيته ، وإن رأوه لا يتعرفون عليه ، فقد تغيرت هيئته من فعل الشيخوخة ومن النسك .

وحاول أبونا أنسطاسى أن يطرد هذا الفكر ويقول لنفسه «... وما جدوى أن يرانى الناس ... لقد كنت أشتهى فى ذلك الزمان أن أحيا وحيداً بعيداً عن الناس متفرغاً لله وحده وها أنا قد نلت ما أريد ، فلماذا أفكر فى تغيير حالتى!» ثم تعود الأفكار فتحاربه قائلة «إنك فعلت هذا مضطراً ، وما أجمل أن تفعله بإرادتك» ومرت عليه فترة طويلة فى مقاتلة الأفكار .

واخيراً جاءت ليلة خطيرة جداً فى حياته...

وفى تلك الليلة ، اشتدت عليه الأفكار جداً ، فركع أبونا أنسطاسى ، وسكب نفسه أمام الله فى حرارة شديدة ، وقال «مبارك أنت يا رب فى جميع إحساناتك إلىّ،... أنت يا رب حنون وشفوق علىّ جداً ، وقد عاملتنى بما لا استحق ، ووهبتنى هذه الحياة

المنعزلة ، حللتنى من الكل وربطتنى بك ، غير أنى أشعر أننى عشت فى هذا الطقس مضطراً ، أريد أن أحيا فيه بإرادتى ، من أجل حبك ، إنها فكرة ، أو إنها شهوة ، قد تكون جيدة وقد تكون رديئة ، ولكننى على أية الحالات أعرضها عليك ، لأننى لا أستطيع أن أخفى عنك شيئاً ولتكن إرادتك» .

وأحنى أبونا أنسطاسى رأسه وبكى ، لم يسمع أحد صوته ، ولكن السماء سمعت ، فتقدم واحد من الأربعة والعشرين قسيساً الجلوس حول عرش الله ، وأخذ هذه الصلاة فى مجمرته الذهبى وصعد بها إلى فوق ، ونام أبونا أنسطاسى والدمع يبلل لحيته البيضاء.

إنه لا يدرى كم مر عليه من الوقت وهو نائم ، أهى ساعة أو دهر؟ كل ما يدريه أن جرساً دق دقات عنيفة ، إنه جرس منتصف الليل الذى يسمعه كل ليلة وهو فى الطافوس... وفتح أبونا أنسطاسى عينيه واندهش جداً ، وقال فى نفسه «ما هذا الذى أراه؟» ودارات رأسه فنام ، ثم استيقظ على صوت جرس آخر ، لعله جرس باكر ، ففتح عينيه وإذا هو أمام المنظر الأول ، فإندهش وزاد تعجبه: وجد أمامه نافذة مفتوحة ، ونور القمر يدخل المكان ويضيئه كله! ونظر إلى ذاته فوجد أنه يلبس رداء أسود ، وتأمل المنظر كله فوجده يشبه تلك القلاية التى كان يعيش فيها فى ذلك الزمان ، فوضع يده على رأسه وأخذ يفكر! واخيراً عرف السر.. هل كان ما حدث له حلماً أم رؤيا أو درساً فى الرهبنة؟ ليس يدرى ولكنه أدرك الهدف منه... منذ ذلك الحين تغيرت حياته كلية .

بدأ حياة الوحدة والنسك التى تعودها خلال «عشرات السنوات» وأخذ يمارس الصلاة الدائمة كما كان يمارسها فى طافوس الدير ، وعندما كانت الضرورة تدعوه للخروج من قلايته لعمل خاص بالمجمع ، كان يسير فى هدوء ، لا يتلفت يمنة ولا يسرة... وكان الرهبان يميزونه بصمته وبجسمه النحيل ، وبأدبه الغزير وتواضعه... وبرأسه المنكس إلى الأرض... وكان بين الحين والحين يرفع رأسه قليلاً ويهزها هزة بسيطة ، لكى ينفض عن عينيه قطرات من الدموع تمنعه من رؤية ما هو قدام .

الأنبا شنوده

حبيب جرجس

كاد العصر الذى نشأ فيه أن يكون خالياً من التعليم على الإطلاق ، حتى أنه عندما أفتتحت الكلية الإكليريكية لم يجدوا لها مدرساً للدين ، فبقى الطلبة أكثر من ثلاث سنوات لا يدرسون الدين ، ولم يكن هناك وعاظ ، وكانت الطوائف قد بدأت تغزو الكنيسة .

«كانت الأرض خربة وخاوية وعلى وجه الغمر ظلمة... ثم قال الله ليكن نور.. فكان نور» وكان النور هو حبيب جرجس ، بدأ نوراً خافتاً ، ثم ما لبث أن أشتعل وتوهج، وملأ الكرازة كلها .

كان أول طالب التحق بالكلية الإكليريكية ، وإلتحق معه أحد عشر آخرون ولم يستمر منهم سوى واحد فقط ، ولم يجد من يعلمه الدين ، فإنكب على مكتبة البطريركية يلتهم المعرفة من كتبها إلتهاماً ، وكان يسترشد بالعلامة القمص فيلوثيؤس ابراهيم الذى كان شيخاً مهدماً فى تلك الأيام ، لما عينوه للتدريس بالإكليريكية لم يقم بعمله سوى أسبوعين ثم أغمى عليه وحمل إلى بيته ولم يرجع للكلية مرة أخرى .

وعُين حبيب جرجس مدرساً للدين بالكلية الإكليريكية وهو ما يزال طالباً بالسنة النهائية ، ولم يكن هناك تخصص فى علوم الدين وقتذاك ، فقام بتدريس كل شئ ، حتى أوجد هو هذا التخصص فيما بعد عندما أعد مدرسين لشتى العلوم الدينية .

وكان حبيب جرجس يؤمن بالعمل الإيجابى ، لم يضيع وقته وجهده فى إنتقاد الضعف الموجود فى أيامه ، وإنما بدأ يعمل ويبنى ، حفر أساساً ووضع حجرين أساسيين فيه هما الكلية الإكليريكية ومدارس الأحد ، وظل البناء ينمو وهو ينشد «وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات ، يصنعون مشيئتك...» .

طاف أقاليم الكرازة يعظ ويبشر ، وينشر النور فى كل مكان ، وأخرج مئات الوعاظ من تلاميذه يعظون ويكرزون... وجمع بنفسه التبرعات التى أسس بها الكلية الإكليريكية

وأوقف عليها الأوقاف... وبنى مدرسة العرفاء لتخريج مرتلين للكنيسة .

ولم يكتف حبيب جرجس بعمل التدريس والوعظ وتأسيس المعاهد ، وإنما كان له نشاط واسع فى التأليف.. وضع كتباً روحية مثل: سر التقوى ، ونظرات روحية ، وعزاء المؤمنين ، وروح التضرعات ، وكتباً لاهوتية مثل خلاصة الأصول الإيمانية ، والصخرة الأرثوذكسية ، وأسرار الكنيسة السبعة ، وكتباً طقسية ثم الخولاجى المقدس وثلاث كتب للترانيم ، وأخذ على عاتقه ايضاً وضع كتب للتعليم الدينى فى المدارس فى كل المراحل التعليمية ، فوضع كتاب «المبادئ المسيحية الأرثوذكسية» (٨ أجزاء) والكنز الأنفس فى التاريخ المقدس (٣ أجزاء) وعمل فى ميدان النشر ، فنشر كتاب «سلم السماء» وكتاب «برلام وبواصف» وسيرة القديسين أنطونيوس وبولا ، وكان عضوا عاملاً فى لجنة التاريخ القبطى ، وقد اشترك فى وضع كتاب عن مارمرقس ، كما وضع كتاباً عن الكلية الإكليريكية ، وفى ميدان الإصلاح وضع كتاباً نافعاً بنائياً أسماه «الوسائل العملية للإصلاحات القبطية» واشتغل فى ميدان الصحافة وأصدر مجلة «الكرمة» التى نالت مركزاً كبيراً بين المجلات القبطية واستمرت ١٧ عاماً .

وكان حبيب جرجس رجلاً روحياً عميقاً ، عف اللسان ، هادئ القلب ، يمتاز بروح الأبوة الصادقة ، وكان يشجع العاملين بكل ما عنده من قوة ويسهل لهم السبل ، وكان محبوباً من الجميع ، نال ثقة قداسة البابا كيرلس الخامس وكان شماسه الخاص ، كما نال ثقة خلفائه من الآباء البطاركة ، وتمتع بمحبة وتأييد أحبار الكنيسة جميعاً من مطارنة وأساقفة ، وفى نفس الوقت كان عضواً نشيطاً بالمجلس الملى العام ، وفى بعض الدورات كان يحصل على أكبر عدد من أصوات الناخبين .

بهذه المحبة والثقة ، وبهذا النشاط والتفانى ، وبهذه الروح الوديعة الهادئة ، كان يعمل عمله البنائى دون أن يجرح شعور أحد ، وقد قيل فى يوم تأبينه:

يا قوياً ليس فى طبعه ضعف ... ووديعاً ليس فى ذاته عنف
يا حكيماً أدب الناس وفى ... زجره حب وفى صوته عطف
لك أسلوب نزيه «طاهر» ... ولسان أبيض الألفاظ عف

تأمـــل.... (*)

فلنفرح بالرب كل حين ، ولنشكره فى الضيقات والأحزان تماماً كما نشكره على نعمته وعطاياه ، نشكره حين يحمد اللحن فى أفواهنا ، وتبقى قيثاراتنا معلقة على الصفصاف ، فهو قادر أن يضع فى أفواهنا تسبيحة جديدة ، يكفى أنه أوجدنا ، وأن العمر ما زالت فيه بقية نسبح فيها تسبيحة للرب

الشكر فى الضيقات يحتاج إلى حياة الإيمان: إيمان بمحبة الله الذى سمح بالضيقة لفائدتنا ، وإيمان بوقوفه معنا أثناء الضيقة ، ليحمينا من شيطان الضجر ومن شيطان الكآبة .

قد يحزن البعض لأسباب روحية ، يشتهى درجات روحية ليست له ، ويحزن فى إشتهائه على الرغم من النعمة الكثيرة التى يغدقها الرب عليه!

فلماذا ننسى القليل الذى معنا ونمتد بآمالنا إلى الكثير الذى لا نملكه؟ هذا الكثير الذى نطلبه ، سيعطيه لنا الرب فى حينه ، فإن كان الوقت قد حان ، سنأخذه حتماً من يد الله المملوءة حنواً ، وإن لم يكن قد حان الوقت ، فلنفرح بما معنا ، فإنه كثير جداً وأكثر مما نستحق ، وفى إيمان فلننتظر الوقت ، ناظرين إلى غير الموجود كأنه موجود .

مع كل ضيقة همسة من الله ورسالة منه إليك ، امل أذنيك ، واسمع همسة الله ، وأفهم ما يريد أن يقول لك ، حينئذ تصبح الضيقة أمامك نعمة .

لا تنظر إلى الضيقة ، وإنما إلى اليد التى تقدمها ، من غير الضيقة كيف تصبح يا أخى رجل صلاة ورجل إيمان؟ وكيف تصل إلى حياة الإختبار وحياة الشكر؟!

(*) مجلة الكرازة: العدد الثانى والثالث ـ السنة الأولى ـ فبراير ومارس ١٩٦٥م .

احياناً نُدان على صمتنا

فضيلة الصمت

كثير من الكتب الروحية تتحدث عن «فضيلة الصمت» وتدعو إليها ، وكثيراً ما يكون الصمت فضيلة يتخلص بها الإنسان من أخطاء اللسان وهى عديدة ، كل هذا حق فقد قال الكتاب «لتكن كلماتك قليلة» (جا٥ :٢) وقد مارس آباء البرية فضيلة الصمت فى وحدتهم ، وفى ذلك قال القديس أرسانيوس «كثيراً ما تكلمت فندمت أما عن سكوتى فقط ما ندمت» على أن الآباء فى صمتهم ، لم يكن هدفهم الوحيد هو التخلص من خطايا اللسان ، بقدر ما كان هدفهم هو التفرغ للصلاة ، فالكلام مع الناس يعطلهم عن الكلام مع الله .

كلام المنفعة

ولكن السؤال الآن هو هذا: هل كل صمت فضيلة؟ وهل كل كلام خطية؟

قطعاً ليس كل كلام خطية ، فداود النبى يقول «فاض قلبى بكلام صالح» (مز٤٥ :١) .

وكان السيد المسيح يتكلم ، والناس «يتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه» (لو٤ :٢٢) ، والشهيد إسطفانوس تكلم فأفحم المجامع الخاطئة «ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح والذى كان يتكلم به» (أع٦ :١٠) .

قال داود النبى «فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق» (مز٣٧ :٣٠) وقال سليمان «فم الصديق ينبوع حياة» (أم١٠ :١١) وكان سليمان نفسه يفيض حكمة ، حتى أن الرب طوب ملكة سبأ لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع حكمة سليمان .

وقد كان الناس يجوبون البر والبحر ليسمعوا كلمة منفعة من رهبان مصر ، حتى أن البابا ثيؤفيلوس (٢٣) كان يأتى خصيصاً ليسمع فينتفع ، ذهب مرة إلى أرسانيوس

ليطلب منه كلمة منفعة ، وفى مرة أخرى زار الأسقيط ، فمضى الرهبان إلى القديس الأنبا بفنوتيوس وقالوا له «قل كلمة لينتفع البابا» ، وفى مرة ثالثة طلب البابا نفس الطلب من أب جبل نتريا ، فأجابه «صدقنى يا أبى لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ» ... بالعظم كلام المنفعة هذا ، الذى ينتفع به رجل قديس كالبابا ثيؤفيلوس الذى نذكر اسمه فى المجمع ، ونأخذ من فمه الحل فى «تحليل الخدام» إذن ليس كل كلام خطية ، بل يوجد كلام للمنفعة .

كلام المنفعة هذا هو كلام من الله ، يضعه فى أفواه أحبائه ليبلغوه للآخرين هادئاً كان أم شديداً ، هكذا قال الرب لعبده أشعياء «روحى الذى عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك لا يزول من فمك ولا فم نسلك» (أش٥٩ :٢١) .

وهذا ايضاً يرويه أرميا عن نفسه فيقول «ومد الرب يده ولمس فمى ، وقال الرب لى ها قد جعلت كلامى فى فمك» (أر١ :٩) ، ويقول بولس الرسول «المسيح المتكلم فىّ» (٢كو١٣ :٣) وهكذا يقول لنا الرب «لأن لست أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم» (مت١٠ :٢٠) .

كلام المنفعة هذا ، يضعه بولس الرسول ضمن مواهب الروح ، إذ يقول «فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد» (١كو١٢ :٨) .

الصمت الخاطئ

يتضح من كل هذا أنه كما يكون الصمت فضيلة فى بعض الأحيان ، كذلك يمكن ـ فى أحيان أخرى ـ أن يكون الكلام فضيلة ، بأن يكون كلام منفعة ، وأن يكون من الله... يبقى سؤال بعد هذا:

هل يمكن أحياناً أن يعتبر الصمت خطية ، تماماً كما يحسب الكلام الشرير خطية؟ وهل يمكن أن نُدان على صمتنا ، كما نُدان على كلامنا؟

نعم ، احياناً نُدان على صمتنا .

إن لكل شئ تحت السماء وقتاً ، وقد قال الحكيم «للسكوت وقت وللتكلم وقت» (جا٣ :٧) فإن كان للتكلم وقت ، فلاشك أننا ندان إذا صمتنا فيه ، فالبار لا يتكلم

حين يحسن الصمت ، ولا يصمت حين يحسن الكلام ، قال القديس أمبروسيوس «إذا كان لابد أن نعطى حساباً عن الكلمة البطالة ، فيجب أن نحترس حتى لا نضطر أن نعطى حساباً كذلك عن الصمت البطال» .

إن الله عندما خلق اللسان ، لم يخلقه عبثاً ، وإنما لهدف روحى ، وليس الهدف من وجود اللسان سلبياً فقط ، أى مجرد أنه لا يخطئ فى الكلام ، وإنما له هدف إيجابى: أن يتكلم بالصالحات ، وأن يقولها حين يجب أن تقال ، قال الوحى الإلهى على لسان سليمان الحكيم «تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى موضعها» (أم٢٥: ١١)

الله يأمرنا أحياناً أن نتكلم ، فيقول فى سفر أرمياء النبى «والذى معه كلمتى ، فليتكلم بكلمتى بالحق» (أر١٣: ٢٨) وقد قال الرب لبولس الرسول «لا تخف بل تكلم ولا تسكت» (أع١٨: ٩، ١٠) وقد أرسل عبده يوحنا المعمدان صوتاً يصرخ فى البرية «أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة» (مر١: ٣) وقد تكلم يوحنا المعمدان كلاماً شديداً حقاً ، ولكن الكلام كان من الله ، وأمر الله موسى أن يتكلم بكلمة الحق ، فلما طلب إعفاءه من هذه المهمة معتذراً بأنه ليس صاحب كلام ، أصر الله على أمره وقال لموسى «اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به» (خر٤: ١٢) .

إن الله لا يكلم الناس مباشرة ، وإنما عن طريق أولاده ، هو يريدنا أن نعلن وصاياه للناس ، إن الله لم يذهب بنفسه إلى هيرودس ليقول له «لا يحل لك» إنما وصلت كلمة الله إلى هيرودس عن طريق يوحنا ، والرب قد قال ذلك لتلاميذه «وتكونون لى شهوداً» (أع١: ٨) ولم يقصد التلاميذ فقط ، وإنما هو على مدى الأجيال ، كما يقول عنه بولس الرسول «لم يترك نفسه بلا شاهد» (أع١٤: ١٧) ولما احتج بعض الفريسيين على تلاميذه لشهادتهم له ، أجاب «إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ» (لو١٩: ٤٠) .

قال داود النبى «آمنت لذلك تكلمت» (مز١١٦: ١٠) وقد أثرت هذه الآية فى بولس الرسول ، فاقتبسها مدللاً على أن الكلام ثمرة من ثمار الإيمان ، فقال «فإذ لنا روح الإيمان عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت ، فنحن ايضاً نؤمن ، ولذلك نتكلم ايضاً» (٢كو٤: ١٣)

إننا إن صمتنا عن الكرازة والمناداة باسم الرب ، ندان ولا شك على صمتنا .

كذلك إن لم نعترف باسم الرب ، ندان على صمتنا .

وإن صمتنا عن الشهادة بالحق ، ندان على صمتنا .

كذلك إن قصرنا فى إنذار المخطئين ، فاستمروا فى خطئهم ، وأضروا أنفسهم وغيرهم، ندان على صمتنا .فإن رأيت إنساناً سيسقط فى حفرة وهو لا يدرى ، هل تقول أن الصمت فضيلة أم تحذره؟ وإذا لم تحذره ، ألا تدان على صمتك ، ويطالبك الرب بدمه؟ ما الذى يوضحه لنا سفر حزقيال النبى؟ يقول الرب «إن لم تتكلم لتحذر الخاطئ من طريقه ، يموت بذنبه ، وأما دمه من يدك أطلبه» (حز٣٣: ٧-٩) أما إن أنذرته ولم يرجع فإنه «يموت بإثمه ، أما أنت فقد نجيت نفسك» (حز٣: ٢٠) ، لذلك على الرعاة ألا يقصروا فى إنذار رعيتهم ، وعلينا جميعاً بروح المحبة أن نسند بعضنا بعضاً فى أيام غربتنا.

تأمـــل.... (*)

كل عمل من أعمالنا لابد أن يقع تحت دينونة ، والله يريدنا أن ندين أنفسنا بدلاً من أن يدينا هو «إن دنا أنفسنا ، رضى الديان عنا» كما يقول أحد القديسين لأن فى إدانتنا لنزواتنا عدم رضى منا على أخطائنا ، واعتراف منا باستحقاق العقوبة ، وطلب رحمة الله، الذى لا يدين ذاته ، فى أعماقه كبرياء ترفض الاعتراف بالخطأ يحطمها عندما يعترف بأخطائه .

البعض ـ حتى إن ظهرت لهم أخطاؤهم ـ يحاولون تبريرها والإعتذار عنها أو إلباسها ثوب البر بنوع من التحايل ، لكى يبدوا أمام الناس بلا عيب ، وفى حقيقتهم عيوب... ماذا يستفيد هؤلاء من فكرة الناس عنهم ـ صالحة كانت أم رديئة ـ؟ ألعل الله سيحاكمهم فى اليوم الأخير بناء على فكرة الناس؟

الخجل الذى نتحمله الآن من أجل خطايانا ، خير من العقوبة الأبدية فى العالم الآخر .

قال القديس مقاريوس لشاب خاطئ «احكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك» .

فى إعترافنا بخطئنا رغبة فى ألا نكرر الخطأ ، لأن أنفسنا ثائرة ضده ، أما عدم إعترافنا ففيه إصرار على الخطأ وفيه عناد .

يخشى البعض من القول أنه أخطأ ، ظاناً أن ذلك ضد كرامته ، بينما يسئ هذا العناد إلى كرامته حتى فى نظر الناس ، وعلى العكس من هذا من يعترف بأنه أخطأ ، يحبه الناس ويكرمونه بالأكثر ، وقد يخففون عنه ويلتمسون له الأعذار .

لا تكن يا أخى كآدم وحواء ، اللذين حاولا تبرير ذاتيهما ، ولا كأبنيهما قايين...

(*) مجلة الكرازة: العدد الرابع ـ السنة الأولى ـ أبريل ١٩٦٥م .

ولانكن كالفريسى الذى حاول أن يبدو باراً حتى أمام الله ، بينما تبرر العشار الذى اعترف بخطئه .

كلنا أخطأنا ، فلا تخجل من الاعتراف بخطئك ومن تغيير مسلكك ، وثق أن كرامتك ستزداد فى أعين الناس ، إن هيرودس لم تزد كرامته عندما أصر على موقفه ، وثبت على كلمته ، وقتل يوحنا المعمدان . ليته رجع عن كلامه ، إذن لكان أفضل .

وحدة... لكن في الإيمان

١) إننا نؤمن بالوحدة ، وقد نادى بها السيد المسيح ورسله

إننا نؤمن بكنيسة واحدة جامعة ، أى تشمل جميع المؤمنين فى العالم كله ، هذه هى الكنيسة وصفها الكتاب المقدس بأنها جسد المسيح ، وللمسيح جسد واحد ، هو رأسه .

وقد أراد الرب هذه الوحدة وعلم بها فقال «وتكون رعية واحدة لراع واحد» (يو١٠ :١٦) ومن أجلها صلى وهو فى طريقه إلى الصليب ، قائلاً «أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك الذين اعطيتنى ، ليكونوا واحداً كما نحن» واستطرد مكرراً نفس المعنى «وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد» (يو١٧ :١-٢٢) . لاشك أنه لا يمكن أن توجد وحدة فى الوجود أقوى من هذه الوحدة التى تشبه بوحدة الآب والابن «كما أننا نحن واحد» .

وهذه الوحدة عاشها الرسل ، إذ يقول الكتاب «وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة» (أع٤ :٣٢) ، ونادى الرسل بهذه الوحدة وعلموا بها ، فقال يوحنا عن السيد المسيح «ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد» (يو١ :٥٢) ، وقال بولس الرسول «لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع» (غل٣ :٢٨) ، وفى رسالته الأولى إلى كورنثوس قال أننا «أعضاء كثيرة ولكن الجسد واحد» وأنا «اعتمدنا بروح واحد... وسقينا جميعاً روحاً واحداً» (١كو١٢ :٢٠ ، ١٣) .

ليس هذا فى العهد الجديد فحسب ، وإنما منذ القديم ايضاً ، قد تكلم الرب على لسان نبيه أرميا فقال «وأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافونى كل الأيام» (أر٣٢ :٢٩) .

٢) ما هى الوحدة فى المسيحية؟

إنها ليست إجتماعات مشتركة ، وليست تعاوناً فى نواح معينة إجتماعية أو تربوية ما إلى ذلك ، وإنما هى قبل كل شئ إيمان واحد ، وفكر واحد فى المسيح ، هى «وحدانية الروح» كما وصفها بولس الرسول «جسد واحد وروح واحد ، كما دعيتم ايضاً فى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد ، إيمان واحد ، معمودية واحدة» (أف٤ :٣-٥) .

إن الصداقة والمجاملة والتزاور والخلطة ، كل هذه مقدمات ، ومقدمات طيبة ، ولكنها ليست الوحدة المسيحية ، لا يمكن أن نعتبر أنفسنا قد إتحدنا إلا إذا أمكننا أن نصلى معاً على مذبح واحد ، ونتناول معاً من ذبيحة واحدة ، بإيمان واحد ، وكل منا معترف بكهنوت الآخر ، إذا حدث هذا تكون الوحدة قد تمت... ولكن هذا لم يحدث بعد .

ولكى يتم هذا ، يحتاج الأمر إلى تفاهم ، وإجتماعات جادة بين اللاهوتيين ، للوصول إلى حل واحد يتفق عليه الجميع ، على أن يوافق هذا الحل ضمائرنا ، ويوافق الإيمان المسلم لنا من القديسين ، بجهاد ودماء .

٣) شكلية الإتحاد ضارة وليست نافعة

لكى نصل إلى نتيجة سليمة علينا أن نتكلم بصراحة ، إن المهتمين بالوحدة الآن يعملون جهدهم للأسف الشديد مبتدئين بالوحدة الشكلية مثال ذلك:

توحيد الأعياد ، هل تؤدى إلى وحدة؟

لقد قرر الأقباط الكاثوليك فى مصر ـ وحدهم دون سائر الكاثوليك فى مصر من أرمن وأروام إلخ ـ قرروا أن يعيدوا عيد القيامة المجيد مع الأقباط الأرثوذكس فى نفس اليوم ، وفى نفس الوقت تكونت لجنة بابوية قبطية أرثوذكسية لبحث موضوع التقويم القبطى والنظر فى إمكانية توحيد الأعياد وبالأخص عيد الميلاد: هل يكون فى ٢٥ سبتمبر أو يبقى كما هو يوم ٧ يناير؟

ونحن لا نريد ـ فى هذا المجال ـ أن ندخل فى التفاصيل الخاصة بالتقويم وإنما نقول أنها مسألة علمية بحتة لا دخل لها بالعقيدة فى شئ ، ولنفرض أن الجميع اتفقوا على يوم واحد لعيد الميلاد ، فهل يكونون قد وصلوا إلى الوحدة المطلوبة؟ أم هى شكلية

توهم الناس بأن الأقباط الأرثوذكس قد اتحدوا مع الكاثوليك وأصبح لا فرق بينهما ، وفى سبيل هذه الشكلية يتناسى الجميع ـ وخاصة البسطاء من العامة ـ ما بيننا وبين الكاثوليك من فروق خطيرة فى الإيمان؟

شكليات أخرى... فى القداس مثلاً..

ليس الجميع يفهمون الخلافات الإيمانية العميقة بيننا وبين المذاهب المسيحية الأخرى ولكن الكثيرين ـ وخاصة العامة والبسطاء ـ يرون فروقاً ظاهرة فى الطقوس والأعياد ، فمثلاً كانوا لا يرون أن الكاثوليك يستخدمون فى قداساتهم اللغة اللاتينية التى لا يعرفها الشعب ، بينما لغتنا قبطية ، وكانوا يرونهم لا يستخدمون القربان فى الأسرار الإلهية ـ بل يستعملون شيئاً آخر... كما كانت موسيقاهم وألحانهم مختلفة وكذلك قراءاتهم الكنسية وملابسهم .

أما الآن فقد استخدم الكاثوليك نفس الطقس القبطى بقداسه وألحانه ولغته وقربانه حتى ظن البعض أنه لا فرق!! طبعاً ما تزال هناك فروق حتى فى نفس القداس يمكن أن يكشفها «المجمع» مثلاً: فنحن نذكر بعد اسم مارمرقس مباشرة أبانا القديس ساويرس بطريرك أنطاكية ومعلمنا القديس ديسقوروس بابا الاسكندرية الذى حدث فى عهده الإنقسام عام ٤٥١م ، وهذان فى نظر الكاثوليك هرطوقيان لا يصح ذكرهما فى مجمع القديسين ، ومن أمثلة هذين ايضاً كل القديسين الذين أتوا بعد الإنقسام أو أثناءه ، كالقديس دانيال القمص ، والأنبا يؤانس كاما القس ، والأنبا صموئيل المعترف ، والقديس العظيم الأنبا مكاريوس الأسقف أحد الثلاثة المقارات القديسين .

وايضاً فى لحن بينشتى لا يذكرون اسم القديس برسوم العريان ولا اسم الأنبا رويس لأنهما هرطوقيان فى نظرهم!!

وفى نفس الوقت هم يعترفون بقداسة لاون «الكبير» صاحب «طومس لاون» الذى ابتدع الإيمان الخلقيدونى الذى رفضه الأقباط بإصرار فى القرن الخامس واستشهد فى سبيل ذلك مئات الالاف من القديسين فى مصر وأنطاكية .

على أن العامة من البسطاء والمساكين قد لا يدركون هذا إطلاقاً ، مخدوعين بشكليات من اللغة والألحان ، فما داموا يسمعون فى القداس لحن طاى شورى ،

وهيتين نى ابرسفيا... فإنهم يقولون «قداس الكاثوليك مثلنا تماماً ولا فرق ، لقد إتحدنا».

أمور أخرى لها دلالتها

ومن الأمور الخطيرة التى لها دلالتها أن بطريرك الأقباط الكاثوليك السابق للأنبا اسطفانوس البطريرك الحالى كان يلقب بالأنبا مرقس الثانى ، أى أنه أول بطريرك باسم مرقس بعد القديس مارمرقس ، ناسياً أنه كان لنا بطريرك باسم أنبا مرقس الثامن (١٠٨) ، ولكن هؤلاء البطاركة جميعاً لم يعترف بهم الأقباط الكاثوليك كبطاركة ، وعلى هذا النحو ايضاً جميع البطاركة بعد القديس ديسقوروس (٢٥) ويقيناً أنه لو كان قد رسم لهم بطريرك باسم كيرلس لأسموه كيرلس الثانى..! أى الاسم الذى أتى مباشرة بعد كيرلس الكبير السابق للإنقسام!

هل يجوز إذن أن نبدأ بالشكليات ونترك الأمور الخاصة بالإيمان؟

فما هى الخلافات الإيمانية إذن؟

كثيرة هى الخلافات إن حاولنا أن نحصرها عداً ، وسنعالجها فى أعداد قادمة إن أحب الرب وعشنا ، ويكفى الآن أن نضرب مثلاً ببعض الأمور تتعارض مع الإيمان المسيحى:

١) طبيعة المسيح
٢) الحبل بلا دنس
٣) المطهر
٤) رئاسة بطرس
٥) هبات الغفرانات
٦) زوائد فضائل القديسين
٧) خلافات فى الطقوس لها دلالتها .

يجب البدء بهذه الأمور وأمثالها قبل أن نهتم بشكليات خارجية فى موضوع الإتحاد كالتقويم وما إليه ، حتى يعرف الشعب حقيقة الموقف واضحة .

تأمـــل.... (*)

اغفروا يغفر لكم...

إن كنا لا نغفر للغير ، ونحفظ فى قلبنا غضباً من جهتهم ، فبأى شعور نردد فى صلاتنا الربية عبارة «اغفر لنا.. كما نغفر نحن ايضاً»؟! عندما علمنا السيد الرب هذه الصلاة ترك طلباتها كلها دون تعليق ، إلا هذه الطلبة وحدها الخاصة بالمغفرة ، فقال: «إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوى ، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم ايضاً زلاتكم» (مت٦: ١٤، ١٥) .

إنها إتفاقية ـ كما يقول القديس أغسطينوس ـ بيننا وبين الله: إن غفرنا يغفر لنا ، وإن لم نغفر لا يغفر لنا .

معنى هذا أننا إذا لم نغفر لغيرنا فإننا لا نضره هو ، وإنما نغلق أبواب الملكوت أمام أنفسنا .

حتى المغفرة التى نلناها سابقاً نعود فنفقدها مرة أخرى بعدم مغفرتنا كما حدث فى قصة العبد الذى لم يغفر لزميله: غضب سيده عليه وسلمه إلى المعذبين بعد أن كان قد ترك له دينه من قبل (مت١٨: ٢١-٣٥) .

إذن يا أخانا اسرع واغفر ، إن لم يكن من أجل محبتك لأخيك ، فمن أجل نفسك، حتى يغفر الرب لك ، وتخلص نفسك .

(*) مجلة الكرازة: العدد الخامس ـ السنة الأولى ـ يونيو ١٩٦٥م .

الأحوال الشخصية

قبل أن نبحث أسباب التطليق التى يعرضها البعض ، ينبغى أن نسأل سؤالاً خطيراً ، ونضعه أمام ضمائرنا ، وهو: **هل من حقنا أن نسن قوانين ضد شريعة المسيح؟**

فى هذا الموضوع بالذات ترك لنا السيد الرب شريعة لازمة ، هذه الشريعة التى شرحها الإنجيليون بكلام لا يحتمل اللبس أو التأويل ، من فم المسيح ذاته: إنجيل مرقس ٥: ٣١-٣٢ ، ١٩: ٣-٩ / إنجيل مرقس١٠: ٢-١٢ / إنجيل لوقا ١٦: ١٨

وخلاصة شريعة السيد المسيح هى: **لا طلاق إلا لعلة الزنا**

فما موقفنا من شريعة الرب؟ هل نجرؤ أن نقول للسيد الرب أن شريعتك لا تصلح لأيامنا ، وأنها شريعة قاسية صعبة ، وأنك لم تقدر تماماً الظروف العائلية ومشاكل الأسر ، لذلك فقد وضعنا شريعة أخرى أكثر موافقة: ترضى من يريد السير فى الطريق الرحب ومن يريد أن يدخل من الباب الواسع؟!

سؤال آخر وهو: **من منا يملك سلطاناً يضع به مثل هذا التشريع الجديد؟**

حقاً أن الرب قد أعطى سلطاناً لرجال الدين أن يحلوا ويربطوا ، ولكن هذا السلطان محدود فى نطاق وصاياه ، لهم أن يحلوا ويربطوا بما يتفق وشريعته ، وليس لهم سلطان أن يكسروا وصاياه ويبدلوا دينه بدين جديد .

خطير هذا الأمر جداً.. من منا يحتمل الضربات التى يفرضها الكتاب فى حالة كهذه؟

«إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة ، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة» (رؤ٢٢: ١٨-١٩) .

أيمكننا ـ فى موضوع التطليق ـ أن نبشر بإنجيل غير الذى وضعه المسيح؟ إذن فلنسمع الحكم الذى قاله بولس الرسول «إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما

بشرناكم به فليكن أناثيما (محروماً)» (غل١ :٨) .

أيها الإخوة الأحباء... إن الطريق الرحب الواسع موجود وسهل ، يمكن لأى إنسان أن يفلت من وصية المسيح ، وأن يطلق كما يريد ، ولكن مثل هذا الطلاق باطل من أساسه لأنه ضد الإنجيل ، الشخص الذى يطلق مدان ، وما تزال زوجته المطلقة لغير علة الزنا زوجة شرعية له لا يجوز له مطلقاً أن يتزوج عليها أخرى فى حياتها ، مهما استتر وراء إجراءات كنسية هى حسب شريعة المسيح باطلة ، والكاهن الذى يزوج شخصاً طلق زوجته مثل هذا الطلاق الباطل ، هو كاهن مدان أمام الله لكسره وصاياه ، وإجراءاته الكنسية فى هذا الزواج هى إجراءات باطلة لأن الزواج الأول ما يزال قائماً .

أما أنتم يا رجال الدين: فلا تظنوا أنكم أحن على الناس من المسيح... ولا تحلوا مشاكل الأسرات بإيقاع أنفسكم فى مشاكل تخسرون بسببها الملكوت ، إن وصية السيد المسيح واضحة «من طلق إمرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى» (مت١٩ :٩) .

كيف الهروب من هذه الآية؟ على أن البعض يقول: إننا نسمح له بالطلاق حتى لا يغير دينه! إنك يا هذا تخاف على ذلك الإنسان من فقد الملكوت إذا غير دينه ، أفلا تخاف عليه من فقد الملكوت إن عاش حياة زنا لأن مثل هذا الزواج الجديد يعتبر زنا فى المسيحية؟

فى تغيير دينه أو مذهبه يعيش متعباً مثقل الضمير شاعراً بأنه قد أخطأ ، وقد يتوب ويرجع ، أما بتزويجك له هذا الزواج الباطل ، فإن زناه يأخذ شرعية كنسية تخدر ضميره فينام على وسادة من الطقوس الكنسية وينام ضميرك ايضاً معه على وسادة أخرى من حنان زائف تظن فيه نفسك أحن من المسيح ...

أتستطيع أيها الأب المبارك أن تكون حنوناً ايضاً ، وتلغى كذلك الآيات التى تقول «من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر ايضاً ، من سخرك ميلاً فإمش معه ميلين ، من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً» ....

تأمـــل.... (*)

اغفروا يغفر لكم...

ما أجمل الطاعة ، وما أجمل الخضوع! إنهما ثمرتان من ثمار الإتضاع ومن ثمار التأدب ، وهما دليلان على الوداعة والمحبة... وفى الطاعة ايضاً نكران للذات ، وجحود للمشيئة الخاصة ، ولاشك أن الطاعة تكبر وتعظم كلما أطاع الإنسان فيما هو ضد مشيئته ، وأخضع مشيئته لغيره .... السيد المسيح نفسه أطاع الآب ، أطاع حتى الموت ، موت الصليب ، وقال «ما جئت لأفعل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى» وقال ايضاً «لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك» .

ما هى حدود الطاعة

ولكن إلى أى حد يطيع الإنسان ويخضع؟ وهل هى طاعة مطلقة؟ وماذا يفعل إذا إصطدمت الطاعة بضميره؟ هل يخضع ـ تواضعاً ـ أم يطيع ضميره ، حتى إن وصفوه بالكبرياء؟

وهنا نقول أن الطاعة ينبغى أن تفهم فى حكمة ، الطاعة أولاً ـ وقبل كل شئ وقبل كل أحد ـ موجهة إلى الله ، ثم بعد ذلك نطيع الناس فى نطاق طاعتنا لله ، أما إذا اصطدمت الطاعتان ، فلاشك أن ضمير الإنسان يصغى حينئذ إلى قول بطرس الرسول «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس» (أع٥ :٢١) .

وهكذا قال بطرس الرسول «أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب ، لأن هذا حق» (أف٦ :١) حقاً إذن ما أجمل الطاعة والخضوع ، ولكن فى الرب . إن أطعت أباً أو مرشداً فيما يخالف وصايا الله ، فإنكما كليكما تسقطان فى حفرة... هذا إذا كانت المخالفة واضحة .

كن مطيعاً يا أخى واخضع فى كل شئ ، بكل إتضاع ، حتى الموت ، إنكر ذاتك ، وإنكر مشيئتك ، وإنكر كرامتك ، ولكن لا تنكر ضميرك .

(*) مجلة الكرازة: العدد السادس ـ السنة الأولى ـ أغسطس ١٩٦٥م .

تأمـــل.... (*)

لوم النفس

قال أنبا موسى: «الذى يعتقد فى نفسه أنه بلا عيب ، فقد حوى فى ذاته سائر العيوب» لذلك يا أخى اجلس كثيراً إلى ذاتك ، وافحص عيوبك ، واعترف أنك مخطئ... إن لم تجرؤ أن تعترف علناً أمام جميع الناس بأنك مخطأ ، فعلى الأقل بينك وبين نفسك ، وأمام أبيك الروحى ، وتب ، وإلا... فإن منارتك تزحزح من مكانها .

وإن كنت لا تستطيع أن تعرف ذاتك وتدرك أخطاءك وتلوم نفسك عليها ، فعلى الأقل إن لامك غيرك عليها ، لا تغضب ، الذى يكشف لك أخطاءك ، اعتبره طبيباً يكشف لك مرضك ، لكى تبحث عن علاج له قبل أن تنهار صحتك ، فبدلاً من أن تلومه ، اشكره وصل أن يكافئه الرب .

قال القديس الأنبا أنطونيوس «عندما يوبخك أحد من الخارج ، وبخ نفسك من الداخل ، ليكون هناك توافق بين داخلك وخارجك» .

ما أعظم فضيلة لوم النفس ، يقول أحد شيوخ البرية فى بستان الرهبان «صدقنى يا أبى ، لا يوجد أفضل من أن يرجع الإنسان بالملامة على نفسه فى كل شئ» .

ما أحكم تلك النصيحة الخالدة التى قالها القديس مكاريوس: «احكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك» .

إن حكمنا على أنفسنا نصل إلى الإتضاع ، وإلى التوبة... وإن بررنا ذواتنا نقع فيما وقع فيه آدم والفريسى المتكبر....

(*) مجلة الكرازة: العدد السابع ـ السنة الأولى ـ أغسطس ١٩٦٥م .

تأمـــل.... (*)

مقاييس خاطئة فى القوة والضعف ، والنصرة والهزيمة

إحتفلنا من أيام بعيد الصليب ، وقبله بعيد الشهداء ، ومن العيدين نخرج بمعنى جميل عن القوة ، وبمقاييس أخرى غير ما يعرفه الناس...

أيهما كان أقوى: المسيح المصلوب أم اليهود الذين صلبوه؟ لقد أهين السيد المسيح وضرب وعلقوه على خشبة ، ولكنه كان قوياً فى صلبه ، استطاع أن يقهر الخطية والشيطان ، وكان أقوى من صالبيه الذين غلبتهم خطايا الظلم والمجد الباطل والقسوة والشهادة بالزور...إلخ .

أيهما كان أقوى: قايين أم هابيل؟ استطاع قايين أن يطرح هابيل أرضاً ويقتله ، ومع ذلك لم يكن قايين قوياً ، لقد غلبته خطايا الحسد والقسوة والكراهية... أما هابيل المقتول فكان أسمى بكثير .

كثيراً ما يحسب الإنسان أنه منتصر ، ويزهو بذلك فى خيلاء وإعجاب بنفسه ، ويكون فى حقيقة أمره مهزوماً: مهزوماً من نفسه التى لم يستطع الإنتصار على أهوائها ، ومهزوماً من خطايا أخرى ، ومن مقاييسه الخاطئة التى بواسطتها يتخيل النصرة حيث توجد الهزيمة!!

وذلك الذى يلطمك على خدك الأيمن فتدير له الآخر: هل تظن أنه قد انتصر عليك؟ كلا ، لقد هزمه غضبه وغيظه ، فسقط بضربك ، كذلك الذى يشتمك ويهينك ، مسكين إن ظن أنه أقوى منك! لقد هزمه لسانك وقلبك... كل إنسان فى الدنيا يمكنه أن يغضب وأن يشتم وأن يعتدى على الآخرين ، ولكن الشخص القوى هو الذى يستطيع أن يضبط لسانه ، أو أن يحتمل . إن الذى يحتمل هو الأقوى ، لذلك قال الرسول «يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء» (رو١٥ :١) .

(*) مجلة الكرازة: العدد الثامن ـ السنة الأولى ـ أكتوبر ١٩٦٥م .

هل يظن هيرودس أنه كان أقوى من يوحنا المعمدان لأنه قدم رأس يوحنا على طبق؟ كلا بلا شك ، لقد كان المقتول أقوى ، وظل هيرودس يخشى يوحنا حتى بعد مقتله ، ولما ظهر المسيح ظن هيرودس أنه يوحنا قد قام من الأموات .

ما أعجب مقاييس الناس!! يظنون القوة حيث يوجد الضعف ، والنصرة حيث توجد الهزيمة.. مقاييس خاطئة .

انتصر يا أخى على نفسك ، فقاهر نفسه خير من قاهر مدينة .

تأمـــل.... (*)

ونحن دائماً فرحون

ما أعجب السلام القلبى الذى كان يتمتع به الرسول القديس وسط ضيقاته الكثيرة وسوء معاملات الناس له هو وزملائه ومعاونيه .

إنه يسجل بعضاً من ذلك فيقول «كمضلين ونحن صادقون.. كمائتين وها نحن نحيا... كحزانى ونحن دائماً فرحون. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ» (٢كو٦: ٨-١٠) «مكتئبين فى كل شئ ، ولكن غير متضايقين... مضطهدين لكن غير متروكين» (٢كو٤: ٨-٩) .

ولم تكن متاعب قليلة تلك التى تعرض لها بولس العجيب ، وإنما كان «فى الأتعاب أكثر ، فى الضربات أوفر» تحيط به الأخطار من كل ناحية: من اليهود ، من الأمم ، من إخوة كذبة (٢كو١١) ، وهو يقابل كل ذلك بالفرح والسرور قائلاً «لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والإضطهادات والضيقات لأجل المسيح لأن «حيثما أنا ضعيف حينئذ أنا قوى» (٢كو١٢: ١٠) .

هذا الفرح العجيب هو ثمر الروح القدس الساكن فى بولس ، لأن من ثمار الروح «محبة وفرح وسلام» (غل٥: ٢٢) هذا الفرح يعطيه الرب لكل العاملين معه ، فهكذا وعدهم «... تفرح قلوبكم ، ولا ينزع أحد فرحكم منكم» (يو١٦: ٢٢) وقال لهم ايضاً: «سلاماً اترك لكم ، سلامى أنا أعطيكم... لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع» (يو١٤: ٢٧) .

إن أهل العالم تقلقهم الضيقات وتزعجهم لأنهم لا يشعرون بوجود الله معهم ، أما أولاد الله فهم دائماً فرحون ، ولا ينزع أحد فرحهم منهم .

إن المتاعب تعصف خارجهم دون أن تقوى على الدخول إلى أعماقهم ، إنهم

(*) مجلة الكرازة: العدد التاسع ـ السنة الأولى ـ نوفمبر ١٩٦٥م .

كالسفن الكبيرة التى تمخر عباب المحيط ، تضطرب الأمواج حولها ، وهى سائرة فى رصانة حول هدفها ، طالما المياه لا تزال فى الخارج .

احذروا يا إخوتى من أن تدخل المياه إلى أنفسكم «كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين في عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب» (١كو ١٥ :٥٨) .

تأمـــل.... (*)

عام مضى...!

جميل بنا ونحن نودع هذا العام ، أن نجلس قليلاً إلى ذواتنا ، ونحاسب أنفسنا: فى أى طريق نحن نسير؟ وإلى أين يوصل؟ وأية الطرق يجب تركها وتغييرها فى حياتنا.. ونحاسب أنفسنا ايضاً عن جميع أخطائنا ضد أنفسنا ، وضد الناس وضد الله .

إن محاسبة النفس فضيلة عظيمة بها يصحو الضمير ويستيقظ ، وبها تعرف النفس حقيقتها ، بقدر ما هى صريحة ودقيقة فى حسابها .

ولكن متى يحاسب الإنسان ذاته؟ هناك إنسان يجلس إلى نفسه طويلاً أخر كل عام ، كل عام ميلادى أو كل عام قبطى ، أو كل عام من عمره ، أو كل عام من توليه عمله .

وهناك من يحاسب نفسه قبل كل اعتراف ، وهناك من يحاسب نفسه آخر كل يوم قبل أن ينام ، وهناك من يحاسب نفسه بعد كل عمل يعمله ، ويوبخها إن لزم الأمر .

وأفضل من كل هؤلاء من يحاسب نفسه على العمل قبل أن يعمله: فيفكر كثيراً فقبل أن يتصرف وقبل أن يلفظ كلمة وقبل أن يتخذ قراراً يمس حياته أو حياة غيره .

يمكنك يا أخى أن تلوم نفسك وتوبخها على كل خطأ يصدر منك ، وهذا حسن جداً ، ولكن هل هذا يمنع أن الخطأ قد حدث وتم؟

الأفضل أنك لا تخطئ ، وإن أخطأت فحسن أن يستيقظ ضميرك بسرعة وتندم وتتوب ، وإن تبت فخير لك ألا تعود إلى الخطأ مرة أخرى .

كن شديداً يا أخى على نفسك ، وحازماً ، واحذر كل الحذر من تبرير ذاتك

(*) مجلة الكرازة: العدد العاشر ـ السنة الأولى ـ ديسمبر ١٩٦٥م .

والتماس الأعذار لها .

من يوبخك ، إتخذه لك صديقاً ، لأنه ينقذ أبديتك من الهلاك .

ومن يتملقك ، ابعده عنك ، إنه يغطى الحفر التى أمامك بباقات من الورود ، وإن سقطت لا يستطيع أن ينقذك .

حياة التوبة (*)

من عظة ألقاها نيافة الحبر الجليل الأنبا شنوده أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية

ما هى الخطية؟

قبل أن نتكلم عن التوبة يحسن بنا أن نعرف ما هى الخطية... الخطية هى إنفصال عن الله ، كما أنها ايضاً موت ، الابن الضال عندما أخطأ إنفصل عن أبيه ، ترك أباه ومضى وسكن فى كورة بعيدة وقال عنه الأب «ابنى هذا كان ميتاً فعاش» ، إذن الخطية هى موت وهى إنفصال عن الله ، وصدق القديس أغسطينوس عندما قال: «موت الجسد هو إنفصال النفس عن الجسد ، أما موت النفس فهو إنفصال النفس عن الله» ، لذلك فالخاطئ يعتبر ميتاً ـ وإن كان يحيا ـ لأن الخطية ذاتها وحياة الخاطئ تعتبر موتاً أبدى ، ولكن الموت نفسه يمكن أن يطلق على الخطية ذاتها ، حياة الخاطئ تعتبر موتاً لأنه قد انفصل عن الحياة ، قيل عن المسيح «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» وقال عن نفسه: «أنا هو الطريق والحق والحياة»... فإذا كان المسيح هو الحياة ، وفيه الحياة ، فإن الإنسان الذى انفصل عن المسيح يكون قد إنفصل عن الحياة نفسها أى مات!! وعلى الرغم من كل هذا فالله مستعد أن ينسى لنا الخطية إذا تبنا!!

وما هى التوبة؟

ما هى التوبة؟ لأن كثيرين يفكرون أنهم تابوا ، وهم فى حقيقة الأمر لم يتوبوا! نريد أن نعرف ما هى التوبة ، ونعرف ايضاً كيف يتوب الإنسان ، وما هى صفات التائب الحقيقى..

الشعور بسوء الحالة

التوبة لها درجات كثيرة... أول درجة فيها هى الشعور بسوء الحالة والندم على

(*) مجلة مدارس الأحد: العدد الخامس والسادس ـ السنة ١٧ ـ مايو ويونيو ١٩٦٣م ـ صـ ١٩.

الخطية ثم التفكير فى تغيير هذه الحالة ، ثم تغييرها وكل هذه درجة واحدة من درجات التوبة... الابن الضال شعر بسوء حالته «كم من أجير عند أبى يفضل عنه الخبز وأنا هنا أهلك جوعاً» إنه شعر بسوء حالته ، ولكنه لم يشعر بسوء حالته إلا بعد أن جلس جلسة صريحة مع نفسه وحاسب نفسه جيداً فرأى أن حالته سيئة وأنها تحتاج إلى تغيير ، كثيرون حالتهم سيئة ولكن ليس لديهم وقت للجلوس مع أنفسهم ليعرفوا سوء حالتهم ، لذلك فهم لا يتوبون لأنهم لا يحسون بأخطائهم ، لم يجلسوا بعد مع أنفسهم...

الإنسان فى بدء إرتكابه للخطية تجرفه لذتها ، وفى لذة الخطية لا يحس بنفسه ولا يشعر بسوء حالته لأنه لم يتفرغ للتفكير فى هذا الأمر ، هو فى دوامة من الخطية ، ولذلك عندما تاب الابن الضال يقول عنه الكتاب أنه: «رجع إلى نفسه» أى أنه لم يكن يحس من قبل بحالته وما حدث له ، هذا هو حال الإنسان الذى لا يدرى حال نفسه ولا يعرف ما هى خطاياه . تماماً كان هذا أمر الابن الضال الكبير ، الابن الكبير كان ايضا ابناً ضالاً مشكلته تزيد عن الأصغر فى أنه لم يعرف حالته ولم يحس بنقائصه... الابن الكبير حالته أسوأ ، لأن خطيته ملفوفة فى البر الذاتى ، ملفوفة فى ثياب الكبرياء ، لذا فهو لا يعلم أنه ابن ضال ايضاً!!

كثير من الناس تشغلهم أمور الحياة عن الجلوس إلى أنفسهم ، تقول له اجلس مع نفسك لكى تبحث حالتك ، فيجيب بأنه مشغول بأمر كثير ، لذا فالخطية تجرفه فى تيارها دون أن يحس .

داود النبى لما أخطأ لم يكن يحس أولاً بسوء حالته مطلقاً ، فهو بعد ما زنى دبر تدبيراً ليقبل الزواج ، فلو أحس داود بخطيئته وندم عليها وبكى عليها بكاءً مراً لما فكر فى خطية ثانية هى خطية القتل ، وبعدما قتل الزوج استدعى المرأة وأحضرها فى بيته وكأنه لم يحدث شئ... معنى هذا أنه لم يكن يحس بنفسه ابداً!! وعندما أتاه ناثان الكاهن ، أراد أن يشعره بسوء حالته... لم يجد ناثان أمامه شخصاً مستعداً ، لم ير شخصاً تائباً ، لم يجد شخصاً مبكتاً من الداخل ، فبذل مجهوداً لكى يوصله إلى حالة الإحساس بسوء الحال والندم. قال له: ما رأيك فى إنسان عنده غنم كثير وبجانبه واحد فقير ليس لديه سوى نعجة واحدة إلى نهاية هذه القصة... فأجاب داود: لو عرفت هذا الإنسان لقتلته، فواجهه ناثان : أنت هو الرجل! «أنت هو الرجل» معنى هذا أن داود لم يكن يحس

بنفسه وحاله... ثم أفاق داود وقال «أخطأت إلى الرب» وبعد ما أحس داود بسوء حالته بدأت قصة توبته ، ولكن قبل هذا الإحساس لم تكن هناك توبة .

التفكير فى العلاج

أول خطوة فى التوبة أن يحس الإنسان بسوء حالته ويسبق ذلك خطوة أخرى هى أن يجلس الإنسان جلسة هادئة مع نفسه لمحاسبتها... لذا أنصح أن يقتنى كل واحد فضيلة محاسبة النفس ، ولو حاسب كل واحد نفسه حساباً صريحاً صحيحاً فى ضوء وصاياه وبميزان حر دقيق لوجد أنه خاطئ... من منا لم يخطئ؟ كلنا خطاة ، لكننا ننسى أنفسنا ولا نجلس معها لنبكتها ، من فرط إنشغالنا فى إرتكاب خطايا جديدة .

الابن الضال جلس أولاً مع نفسه ، وثانياً أحس بسوء حالته «كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعاً» الابن الضال كان رجلاً حكيماً ، فكر فى سوء حالته ثم فكر فى العلاج «أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له يا أبى أخطأت فى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً» إذن يلزم الشخص الذى يشعر بمرارة نفسه ، أن يقوم بعمل إيجابى ويعمل حلاً عملياً.. «أقوم وأذهب إلى أبى وأقول له أخطأت...» هذا هو الاعتراف.. «وأقول له لست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً» هذا هو إنسحاق النفس «إجعلنى كأحد أجرائك» إنسحاق ايضاً... إذن من شروط التوبة الاعتراف بالخطية وإنسحاق النفس فى الاعتراف . شبان كثيرون يعترفون بلا إنسحاق أو ندم ، وبدون شعور بسوء حالتهم ، وكأنهم يقصون قصصاً على أب الاعتراف... من أجل هذا لا يصلح اعترافهم كثيراً فى تنقية قلوبهم من الداخل ، لأنه اعتراف بدون إنسحاق ، مجرد كلام... الإنسحاق ينبغى أن يكون صفة دائمة فى الإنسان الخاطئ حتى بعد أخذ الحل .

الإنسحاق

الإنسحاق صفة دائمة يتميز بها الإنسان التائب ، كل إنسان يعتقد أنه تائب بغير إنسحاق ، لا يمكن أن يأخذ بركات التوبة ، بل سريعاً ما يرجع إلى خطاياه الأولى لأنه لم يف التوبة حقها من الإنسحاق ، على رأى مارإسحق «لم يأخذ مؤنته من الدموع فى طريقه إلى الله» . الإنسحاق يا إخوتى صفة ليست فقط للتائبين وإنما لنا نحن

المسيحيين عموماً إذا كنا نعيش فى حياة التوبة وإذا أحسسنا بسوء حالتنا .

يقف الكاهن شفيعاً بين الله والناس ، يقدم عنهم ذبيحة... هذا الكاهن الطاهر البار الذى يقف يتشفع فى الشعب... ما هى الصلاة التى يقولها قبل أن يبدأ القداس؟ هناك صلاة تسمى صلاة الإستعداد يقولها الكاهن سراً عندما يفرش المذبح باللفائف ، إسمعوا هذه الصلاة وانظروا ما فيها من إنسحاق... يقول «أيها الرب العارف قلب كل أحد ، القدوس المستريح فى قديسيه ، الذى بلا خطية وحده ، القادر على مغفرة الخطايا ، أنت تعرف يا رب أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه الخدمة المقدسة التى لك ، وليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى أمام مجدك الأقدس» «أنت تعلم أنى غير مستحق ولا مستعد ولا متسوجب وليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى!!» هذا كلام الكاهن الذى يتشفع فيك! ثم يكمل «بل ككثرة رأفتك إغفر لى أنا الخاطئ وإمنحنى أن أجد نعمة ورأفة فى هذه الساعة... وأرسل لى قوة من الأعالى لكى ابتدئ وأهيئ وأكمل خدمتك..». هذه هى النفس المنسحقة التى تقف أمام الله ، وعندما يقدم الكاهن الحمل ومسحه بالماء يقول: إعط أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطاياى وجهالات شعبك ، هذا اعتراف آخر... وقبل أن يتناول يقول لله: من أجل خطاياى ونجاسات قلبى لا تمنع شعبك من نعمة روحك القدوس.. أليس هذا الكاهن تائباً؟ وإن لم يكن تائباً فكيف يتقرب للأسرار الإلهية... هو إنسان تائب يتقرب للأسرار ويتشفع فى الناس ، ومع ذلك يقول «خطاياى ونجاسات قلبى» «وليس لى وجه أن أقف وأفتح فاى»... هذه هى التوبة الحقيقية... فإن كان الكاهن الذى يقف شفيعاً فىّ أنا الإنسان المصلى بالكنيسة ينسحق هكذا ، فكم تكون حالة كل واحد فينا فى داخل الكنيسة؟ إذا كان الكاهن ليس له وجه أن يقف ويفتح فاه ، فأى وجوه لنا نقف بها أمام الله!! إننا فى توبتنا قد فقدنا حياة الإنسحاق ، لذلك توبتنا ليست توبة ، ولهذا فنحن نتوب ونرجع للخطية مرة أخرى ، الإنسان المنسحق ليس له وجه أن يقف ويفتح فاه أمام الله بل ليس وجه أن يدخل إلى الكنيسة لأن الكنيسة مكان للقديسين ، الكنيسة بيت الملائكة... الكنيسة يحل فيها الروح القدس ، الكنيسة يوجد فيها المسيح ، كيف يدخل إنسان خاطئ إليها؟

فى أيام أبائنا القديسين كان الخطاة يمنعون من دخول الكنيسة بالسنوات إلى أن يتوبوا ، لأن الكتاب المقدس يقول «إعزلوا الخبيث من وسطكم»... فكيف يكون خاطئ

فى بيت الله!! مستحيل . هذا ينجس الكنيسة ، يحتمل أن يحل غضب الله على الكنيسة بسبب وجود إنسان خاطئ فيها ، كما كانت السفينة موشكة على الغرق لأن يونان الخاطئ كان فى داخلها ـ مرة دخل يوحنا الحبيب بيتاً وقيل له أن إنساناً هرطوقياً موجوداً فى البيت ، فخرج مسرعاً ولم يبت الليلة فى ذلك البيت ، خاف لئلا يحل غضب الله على البيت فيدركه شئ من الغضب!

النفوس الملتحفة التائبة عندما تدخل إلى بيت الله تدخل بهذا الشعور المنسحق الذى يقول فيه داود «وأما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك...» تأمل «بكثرة رحمتك» المسألة تحتاج إلى رحمة كثيرة لكى استحق دخول بيت الله ، الابن الضال كان ابناً منسحقاً شاعراً بأنه غير مستحق أن يدعى ابناً ، ولماذا شعر بأنه غير مستحق أن يدعى ابناً؟ هل هذا مجرد كلام تواضع؟ لا صدقونى هذا كلام حقيقى... الكتاب يقول «المولود من الله لا يخطئ» فإذا أنا أخطأت فماذا يكون حكمى؟ أقول لله «أنا يارب لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً» لأن المولود منك لا يخطئ وأنا أخطأت ، إن اعتبرتنى ابناً فهذا تنازل منك وتواضع ولكننى أنا غير مستحق ، لأن ابنك مفروض أن يكون على شبهك كصورتك ومثالك ، وأنا لست على شبهك ولا صورتك ولا مثالك ، أنا إنسان خاطئ وأنت قدوس ، فلا يوجد شبه بينى وبينك ، فكيف أدعى لك ابناً؟ أنا لست مستحقاً أن أدعى لك ابناً ، اجعلنى كأحد أجرائك ، الإنسان المتواضع حقاً والمنسحق النفس حقاً عندما يقول: «أبانا الذى فى السموات...» ويدعو الله أباه تسقط نفسه فى داخله ويشعر أن هذا التعبير كبير عليه جداً وأنه غير مستحق له ، كيف وهو خاطئ يدعو القدوس أباه؟

من مراحم الله علينا أنه دعانا أبناء ، ولكن المفروض أن نشعر بأننا غير مستحقين أن ندعى أولاداً له... انظروا أى عار يكون عندما ينظر أهل العالم إلى أولاد الله فيجدونهم فى الخطية والنجاسة وفى تصرفات تشبه أهل العالم تماماً ، بقولهم أنهم أولاد الله يجدف على الاسم الحسن بسببهم... الابن الناجح يشرف أباه والابن الفاشل فضيحة لأبيه وعار لأمه.. هكذا نحن إذاكنا خطاة .

جلسة هادئة مع النفس

مفروض أن الإنسان يجلس إلى نفسه ويشعر بسوء حالته ويندم ويشعر بأنه غير مستحق للبنوة ويفكر فى إيجاد حل وينفذ هذا الحل ، هذه الجلسة بينه وبين نفسه جلسة خطيرة ولها أهمية كبيرة ، كثير من القديسين الذين صاروا قديسين كباراً ، كانت نقطة فى حياتهم جلسة هادئة مع أنفسهم .

القديس موسى الأسود كان رجلاً سارقاً وقاتلاً وجلسة مع نفسه حولته إلى قديس صانع معجزات بار وعمود عظيم من أعمدة الرهبنة!! القديس أغسطينوس كان فاجراً وزانياً وكانت له نجاسات شنيعة جداً ، وكانت أمه القديسة تبكى بدموع من أجله ، وفى جلسة هادئة مع نفسه تحول أغسطينوس إلى الرجل البار العظيم ينبوع الروحيات للعالم كله... ومريم القبطية ، المرأة الخاطئة الشريرة على قدر ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، أسقطت كثيرين وأهلكت كثيرين ، وفيما هى فى خطيتها ونجاساتها أدركها روح الله ، وفى جلسة هادئة مع نفسها تحولت إلى قديسة من السواح!!

كم نحتاج نحن إلى هذه الجلسة التى تتغير فيها الحياة تغييراً كلياً بحيث يصبح الإنسان بعدها شخصاً جديداً فى كل شئ... الذى يراه يجد فيه إنساناً غير الأنسان الأول، تغير فى كل شئ ، فى حديثه ، فى معاملاته ، فى تصرفاته ، فى بيته ، فى عمله ، فى نظراته ، فى كل شئ ، ومن داخله ايضاً فتغير فى أفكاره ومشاعر قلبه بحيث أن الذى يراه يشعر أن عملاً كبيراً قد حدث معه .

أحياناً نجلس إلى أنفسنا ولكن ليس بنفس الروح ، ليس بنفس الدقة ولا بنفس الإنسحاق... جلسات بسيطة نشعر فيها أنه توجد خطايا ، ولكن لا نبكت ذواتنا عليها ولا نشعر بقيمة الخطية ولا بأنها فصلتنا عن الله وأذهبتنا إلى كورة بعيدة ...

فى طريق كنعان (*)

بقلم حضرة صاحب النيافة الأنبا شنوده

أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية (١)

إن كان الجزء الأول من «بستان الروح» قد حدثك عن كيفية الهروب من عبودية فرعون فإن الجزء الثانى يحدثك عن كيفية الوصول إلى كنعان ، إن كان ذاك قد شرح لك كيف تنهض من جوار أنهار بابل وتترك أرض السبى ، فإن هذا يشرح لك كيف تبنى هيكلاً للرب وتسبح فيه تسبحة جديدة .

الحياة الروحية ليست مجرد جهاد سلبى ضد الخطية ، وإنما لها عنصر إيجابى وهو النمو فى الروح حتى يصل الإنسان إلى الملء ، مسكين ذلك المجاهد الذى يقضى حياته فى صراع مع الخطية يشتهى ويقاوم شهوته ، ويقع ويقوم ، ثم يقع ويقوم... إلى غير إستقرار ، دون أن ينظر ويذوق ما أطيب الرب .

الذى لم تدخل محبة الله إلى قلبه ، ولم يلتصق إنسانه الداخلى بالرب ، لا ينتظر أن يقف على قدميه فى طريق الملكوت ، فهو متعثر ابداً ، زرعه الروحى لا يمتص عصارة الحياة الحقيقية فسرعان ما يذبل ويموت ، وبناؤه الروحى على غير أساس لا يحتمل أن يقاوم صدمات الريح وسيول الأمطار .

لذلك كان لابد لكل أحد أن ينمو فى محبة الله ، وتكون هذه المحبة هى الأساس الذى يرتكز عليه كل عمله الروحى ، وكلما تنمو محبة الله فى قلبه تطرد محبة العالم من داخله ، فإذا كملت محبته لله كمل جحدانه للعالم ، وحينئذ يصل إلى عبارة معلمنا بولس الرسول الذى قال فيها «صُلبت للعالم وصُلب العالم لى» (غل٦ :٤) .

ولكن الإنسان لا يمكنه مطلقاً أن يسلك فى طريق الروح بدون معونة من الله ، الذى

*) مجلة مدارس الأحد: العدد الخامس والسادس - السنة ١٧ - مايو ويونيو ١٩٦٣م - صـ ٣٧.
١) مقدمة كتاب بستان الروح - الجزء الثانى - تأليف قداسة الأب القمص شنوده السريانى - ظهر حديثاً

يحمله فى حنو على جناحى نعمته طوال مدة غربته على الأرض ، وبدون النعمة يكون كل عمل الإنسان هو إتكال باطل على ذراعه البشرى ، وملعون من يتكل على ذراع بشرى كما يقول الكتاب .

ولما كانت للنعمة وسائط روحية خاصة تعمل بها وعن طريقها تقدم عطاياها لمحبى الله ، لذلك ينبغى لكل سائر فى طريق الله أن يمارس وسائط النعمة هذه وينال بركتها وفاعليتها فى حياته .

فما هى وسائط النعمة هذه؟

الصلاة

أول واسطة من وسائط النعمة هى الصلاة ، والصلاة لها فروع كثيرة:

منها صلوات الساعات بما فيها من مزامير وقطع وأناجيل وتحاليل... وليست هذه الصلوات عمل خاص بالرهبان كما يخيل للبعض بل هى على الأخص طقس العلمانيين أما الرهبان فعملهم هو الصلاة الدائمة التى لا تنقطع والتى صلوات الساعات مجرد فرع منها .

وهناك صلوات المناسبات التى تتلوها فى أية مناسبة تخلطها بصلاتك لتأخذ فيها نعمة، فى دخولك وخروجك ، قبل الأكل وبعده ، قبل القراءة وأثناءها وبعدها ، قبل البدء بأى عمل أياً كان وأثناءه وبعد إكماله ، فى الضيقات والمشاكل ، فى مقابلاتك للناس ونقاشك معهم فى مصادمتك للعثرات... الخ ، وهكذا تصحب الله فى كل ما تمتد إليه يدك حتى تنجح فى كل ما تعمله ، وهناك الصلوات القصيرة المتكررة مثل صلاة «يا رب يسوع المسيح ارحمنى» أو «اللهم إلتفت إلى معونتى يا رب اسرع وأعنى» أو أية صلاة أخرى تترك فى قلبك تأثيراً وتنفعل بها عاطفتك ، يضاف إلى كل هذا صلواتك الخاصة التى تنسكب فيها نفسك أمام الله ، حيث لا تتلو شيئاً محفوظاً ، وإنما تعبر عن مشاعرك فى طلاقة حسبما تعطيك النعمة أن تنطق .

والصلوات ايضاً على أنواع: منها صلوات الطلب وهى أقلها نوعاً وإن كانت أشهرها ، والقديس باسيليوس يحذر من البدء بها لئلا يظن أنه لولا الطلب ما كنت تتحدث إلى الله .

ثم صلوات الشكر ، والكنيسة تضعها فى مقدمة صلواتها عموماً ، وصلوات الإنسحاق والندم والاعتراف بالخطايا وتبكيت النفس أمام الله ، وهى صلوات قوية المفعول جداً أمام الله تستطيع ـ فى ضعف ـ أن تجاهد مع الله وتغلب ، وهناك ايضاً صلوات التسبيح والتمجيد ، وهى أسمى أنواع الصلوات جميعاً ، فيها يتغنى الإنسان فى صلاته بصفات الله الجميلة ، إنها طقس السيرافيم والأربعة والعشرين قسيساً ، ومن أمثالها قطع كثيرة جداً من القداس الغريغورى كصلاة الصلح و«مستحق وعادل»... والفقرات الأولى من «ارحمنا يا الله ثم ارحمنا» .

وأنت أيها الأخ المحبوب تمسك بالصلاة بقدر ما تستطيع ، شاعراً أنها سلاحك القوى الذى به تحارب وتنتصر وإن كان السيد له المجد قد قال «بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو١٥ :٥) فإحرص إذاً أن تدخل الرب فى كل عمل تعمله . إلتصق به طول يومك وخذ منه معونة خاصة فى كل ما تقدم عليه من أمور .

قد تُحارب بأنه ليس لديك وقت كاف وفى الواقع سامحنى إذا قلت لك إننى لا أستطيع أن أوافقك على هذا . أمل إلىّ قلبك لأتفاهم معه ، هناك ضروريات لاشك أنك مطالب بها... ولكن هل عملك طول اليوم هو فى ضروريات فقط ، ألا توجد كماليات تشغلك؟ ألا توجد خطايا تشغلك؟ ألا تشعر أنه لابد يوجد وقت ضائع تفقده فيما لا يفيد ، إننى أتوسل إليك من أجل تحويل هذا الوقت الضائع إلى عمل روحى على قدر ما تساعدك النعمة فى التنفيذ .

نقطة أخرى لا شك أنك تدركها وهى أن عقلك آلة دائبة العمل لا تتوقف لحظة عن التفكير ، إن لم تشغله فى الروحيات إنشغل ولا شك فى أمور أخرى ، فالذى أريده منك هو عملية تحويل لمجرى تفكيرك عندما يكون منشغلاً بأمور غير لازمة جوهرياً لحياتك ، مثال ذلك ، وأنت سائر فى الطريق ، وأنت فى طرق المواصلات ، وأنت فى زحمة الخلطة مع الناس لاشك أن عقلك يعمل ، لماذا لا تشغله فى عمل روحى فتستفيد روحياً وتنجو من عثرات وأخطاء كثيرة؟

لقد نجح داود النبى فى أمر الصلاة نجاحاً عجيباً ، كان ملكاً ، وكان قائداً للجيش ، وكان قاضياً للشعب وكانت له أسرة كبيرة وزوجات كثيرات.... وعلى الرغم من كل

هذا استطاع أن يقول «محبوب هو اسمك يا رب فهو طول النهار تلاوتى» وكان يسبح الله «عشية وباكر ووقت الظهر» وعندما يمضى إلى النوم يقول كنت أذكرك على فراشى وفى أوقات السحر كنت أرتل لك» وقبل الأسحار كان يصلى «سبقت عيناى وقت السحر لأتلو فى جميع أقوالك» وفى نصف الليل ايضاً يقول «فى نصف اليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك» وفى النهار يقول «سبع مرات فى النهار سبحتك» فمن أين كان الوقت لداود ليثبت فى كل هذا؟ إن من يكون له القلب يكون له الوقت ايضاً، من يشتعل قلبه بمحبة الله ، لاشك أنه سيجد وقتاً للرب ، سيعرف كيف ينظم أوقاته ، ويلغى ما يمكن إلغاؤه ويقصر ما يمكن تقصيره ، ويدخر من كل ذلك وقتاً من أجل صلته المباشرة بالرب ، وبالإضافة إلى هذا يخلط أعماله الأخرى بعنصر الصلاة فتتخللها الصلاة وتعطيها حياة وقوة وروحانية .

القراءات الروحية

بالصلاة تتحدث إلى الله وبقراءة الكتاب المقدس تستمع إلى صوت الله المتحدث إليك ، ومن هنا كان الكتاب المقدس واسطة هامة من وسائط النعمة تتلمس بها مشيئة الله وتعرف مقصده ، وتحصل على القوة الكامنة فى كلامه «لأن كلمة الرب حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين...» (عب٤ :١٢) وبها يحيا الإنسان فى الرب لأنه يحيا «بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت٤ :٤) لا يقل أحد «إننى أقرأ ولا أنمو فى الروح» ففى الغالب أن هذا الإنسان لم يعرف بعدكيف يقرأ الكتاب ، وكيف يتكشف الروح الذى تحمله الألفاظ فى داخلها ، أخشى أن يكون واقفاً يتأمل جمال الألفاظ من الخارج ولا علاقة له بالروح الذى فيها .

أما أنت أيها الأخ المبارك فإقرأ الكتاب بالروح ، أطلب من الله أن يعطيك نعمة لتفهم كلامه المحيى ، قل له مع داود «إكشف يا رب عن عينى فأتأمل عجائب من ناموسك ، غريب أنا على الأرض فلاتخف عنى وصاياك» وحاول أن تتفهم روح الكلام الذى تقرأه وتستخلص المعانى الروحية ، وتتأملها وتطبق على نفسك ، وتخرج بنتيجة عملية تنمى صلتك الله ، وتختم قراءتك بالصلاة طالباً من الرب معونة لتنفيذ وصاياه ومعترفاً أمامه بنقائصك وخطاياك التى كشفتها القراءة... فى كل مرة تقرأ ، اخلط القراءة بحياتك ، وخذ منها قوة ؛ واخرج بحل عملى وعزم جديد اعرضه على الله فى صلاة حارة

ولتكن روحه معك أن تشاء وتسعى .

وإن كانت قراءتك للكتاب لازمة هكذا لنموك ، فكذلك ايضاً تغذى روحك بالحب الإلهى قراءة الكتب الروحية وسير القديسين ، لست أقصد القراءة التى تحشو ذهنك بالمعلومات ، إنما التى تملأ قلبك بالحب والنعمة والغيرة ، إختر إذن نوع القراءة الروحية النافع ، وإقرأها بطريقة روحية نافعة .

وسائط روحية أخرى

إن كانت القراءة الروحية واسطة أساسية للنمو فى النعمة ، فينبغى أن نضع إلى جوارها التأمل ، التأمل فى آيات الكتاب القدس نوع ، وهناك أنواع أخرى تتدرج من التأمل فى الطبيعيات بتكشف الروحيات الموجودة فى المادة أو تناول الماديات بطريقة روحية إلى تأمل فى موضوعات روحية معينة أو فى فضيلة من الفضائل ، أو قد يكون التأمل فى سير القديسين أو فى طقس الملائكة الروحانيين ، حتى يصل الإنسان إلى تأمل فى الثالوث الأقدس ذاته ، وفى صفات الله الذاتية والنسبية .

من الوسائط الروحية ايضاً الميطانيات ، وهى ليست مجرد سجود وإلا كانت مجرد عمل جسدانى ، إنما الميطانيات هى سجدات متوالية مصحوبة بصلوات قصيرة ، قد تكون هذه الصلوات صرخات قلب نادم على خطاياه ، يعترف أمام الله بالميطانيات بنقائصه وعيوبه ويبكت ذاته أمامه... وقد تكون صلوات أخرى حسب حالة قلبه .

يعوزنا الوقت إن تكلمنا بالتفصيل عن الوسائط الأخرى ، واحدة فواحدة:

كالصوم ومحاسبة النفس والتداريب الروحية والاعتراف والتناول والمواظبة على حضور الكنيسة فى القداسات والإجتماعات الروحية والخدمة... إلخ ، إنما نترك هذا الجزء من بستان الروح يحدثك عنها فى شرح وإسهاب .

كل هذه الوسائط لها فائدتها العظمى ، ولكنها لا يمكن أن تفيد إذا أخذت بطريقة جافة أو حرفية ، أو إذا تحولت إلى مجرد عادات أو ممارسات أو فروض ، إنها تفيد إذا كانت تمارس بطريقة روحية ، وإذا كانت النعمة تعمل بها ، حينئذ تؤتى ثمارها فى حينه ، وتقدم المرء يوماً فيوماً إلى قلب الله .

ولقد شرح لك هذا الكتاب كثيراً من وسائط النعمة ، وعليك أن تمارسها بنفسك وتختبر ، وفى كل خطوة تخطوها ارفع قلبك إلى الله واطلب منه نعمة تعينك ، فليست الواسطة الروحية بذاتها هى التى تقدمك ، وإنما النعمة التى تعمل فيك بها هى التى تستخدم الواسطة الروحية لخلاصك ، لذلك سميت «واسطة روحية» .

تقدم إذن فى طريق الله ، والرب معك يصنع بك عجائب ، أرجو منك أن يكون هذا الكتاب واسطة من وسائط النعمة بالنسبة إليك ، يستخدمه الله لينير محبته فى قلبك ، ويجعل هذه المحبة تختلط بكل عمل روحى تعمله ، فترتبط به روحك ، على الدوام وإلى غير إنفصال .

ومن كل قلبى أشكر قداسة الأب العزيز القمص شنوده السريانى على المجهود الكبير الذى بذله فى هذا الكتاب على الرغم من أمراضه ومشاغله ، إلهنا الصالح يكافئه خيراً فى ملكوته .

الفصل الرابع

من كتابات قداسة البابا شنوده الثالث

١) السمات العامة لكتابات قداسة البابا المعلم

٢) القائمة الكاملة بكتابات قداسة البابا

كتابات قداسة البابا شنوده الثالث

السمات العامة لكتابات البابا المعلم

هناك سمات عامة لهذه الكتابات نتحدث عنها فيما يلى:

١) البساطة

إنها كتابات بسيطة فى الأسلوب يسهل على الإنسان العادى أن يقرأها ولها جاذبية تشجع من يبدأ فى قراءة الكتاب أن يكمله حتى النهاية .

٢) العمق:

رغم بساطة الأسلوب إلا أنها تحوى عمقاً فى الفكرة وتسلسلاً فى الأفكار ، وتقسيم موضوع فى الكتاب دائماً يعطى تركيزاً فى القراءة .

٣) الواقعية

إن الكتب الروحية للبابا المعلم تمتاز بالواقعية لأنها تمس كيان الإنسان وواقعيته فى تشخيص المرض وتقديم الحلول والعلاج .

٤) الشمولية

تمتاز الكتابات بالشمولية والتحليل حيث يقرأ الإنسان كل ما يحتاجه فى الموضوع ومن يبحث عن أى فرع يخص الموضوع لابد أن يجده فى الكتاب .

٥) التنوع

ولو أننا نتحدث الآن عن التخصص فى موضوع الكتابة ، إلا أننا أمام ظاهرة فريدة من نوعها ، وهى دائرة المعارف المتنوعة التى يحملها البابا المعلم فى فكره وكيانه ، لقد كتب عن اللاهوت وعن التاريخ وعن العقيدة الأرثوذكسية وعن الخدمة والرعاية وعن شخصيات الكتاب وعن تفسير مزامير الكتاب وعن الإنسان الروحى ، ومعالم الطريق الروحى ، وعن الحروب الروحية وعن مشاكل الناس وحلولها وعن خبرات فى الحياة .

إنه نوع من التنوع والتعدد فى الكتابات لم نجده فى كتابات أى كاتب آخر .

٦) بقيت ثلاث صفات أخرى إنفرد بها البابا المعلم فى جميع كتاباته وهى: كتابية الكتب ، آبائية الكتب ، لاهوتية الكتب .

أ ـ كتابية الكتب: آيات كثيرة من الكتاب المقدس قلما تخلو صفحة واحدة منها ، بحكمة وذكاء توضع كل آية فى مكانها الصحيح ، بالحق إن قراءة كتب البابا المعلم هى جولة فى الكتاب المقدس ، ولذلك هى كتابات تحملها القوة الإلهية والكاريزما المؤثرة .

ب ـ آبائية الكتب: إن كتابات البابا المعلم تحسب مع كتابات الآباء ، فهى شرح وإمتداد لفكر الآباء ، وكثيراً ما يدلل البابا على كتاباته ببعض من أقوال الآباء ولو لم ينص على ذلك صراحة إلا أن الكتابات لها روح الآباء وفكرهم وإمتداد لرسالتهم .

جـ ـ لاهوتية الكتب: علاوة على الكتب العقائدية فهناك الفكر اللاهوتى الذى تشتمل عليه بقية الكتابات . إنها طريقة وأسلوب جديد أن يدخل اللاهوت والعقيدة الأرثوذكسية داخل الكتابات الروحية .

وقد صدر لقداسة البابا حتى الآن ٨٧ كتاباً وهى :

كتب روحية:

١) إنطلاق الروح
٢) معالم الطريق الروحى
٣) الإنسان الروحى
٤) الوسائط الروحية
٥) حياة الإيمان
٦) حياة الرجاء
٧) المحبة قمة الفضائل
٨) مفاهيم
٩) خبرات روحية (١)
١٠) خبرات روحية (٢)
١١) الروح القدس وعمله فينا
١٢) العظة على الجبل
١٣) مقالات روحية بالجمهورية
١٤) الدموع
١٥) الهدوء
١٦) الوجود مع الله
١٧) الله وكفى
١٨) حياة الشكر
١٩) حياة الفضيلة والبر
٢٠) من هو الإنسان

صلوات

٢١) صلاة الشكر والمزمور الخمسين
٢٢) أبانا الذى
٢٣) مزامير الغروب
٢٤) يستجيب له الرب
٢٥) يا رب لماذا
٢٦) يا رب لا تبكتنى (مز٦)
٢٧) تأملات فى مزامير باكر

حروب روحية

٢٨) حروب الشياطين
٢٩) الحروب الروحية
٣٠) الغضب
٣١) الإدانة

من الميلاد إلي القيامة

٣٢) كيف نبدأ عاماً جديداً
٣٣) تأملات فى الميلاد
٣٤) من وحى الميلاد
٣٥) روحانية الصوم
٣٦) التجربة على الجبل
٣٧) تسبحة البصخة
٣٨) أسبوع الآلام
٣٩) خميس العهد
٤٠) الجمعة الكبيرة
٤١) كلمات المسيح على الصليب
٤٢) تأملات فى القيامة

الخدمة

٤٣) التلمذة
٤٤) الغيرة المقدسة
٤٥) كيف نعامل الأطفال
٤٦) آيات للحفظ (أبجدية)
٤٧) مسابقات فى الكتاب المقدس
٤٨) الخدمة الروحية (ج١)
٤٩) الخدمة الروحية (ج٢)
٥٠) الخدمة الروحية (ج٣)

لاهوت وعقائد

٥١) الزوجة الواحدة
٥٢) الخلاص
٥٣) بدعة الخلاص فى لحظة
٥٤) المطهر
٥٥) الكهنوت
٥٦) لاهوت المسيح
٥٧) اللاهوت المقارن
٥٨) طبيعة المسيح

الوصايا العشر

٥٩ إلى ٦٢ (٤ كتب)

شخصيات

٦٣) آدم وحواء ـ قايين وهابيل
٦٤) يعقوب ويوسف
٦٥) موسى وفرعون
٦٦) يونان
٦٧) مارمرقس
٦٨) الأنبا أنطونيوس
٦٩) القمص ميخائيل ابراهيم

حياة التوبة

٧٠) حياة التوبة والنقاوة
٧١) اليقظة الروحية
٧٢) السهر الروحى
٧٣) الرجوع إلى الله
٧٤) مخافة الله

كلمة منفعة

من ٧٥ إلى ٧٨ (٤ كتب)

سنوات مع اسئلة الناس

من ٧٩ إلى ٨٧ (٩ كتب)

تحت الطبع

١) الرعاية
٢) الأناجيل الأربعة
٣) الأجبية
٤) حياة داود
٥) الله والإنسان
٦) دم ونار
٧) مصطلحات الكتاب المقدس
٨) الخدمة (ج٤)
٩) حول لاهوت المسيح (ج٢)

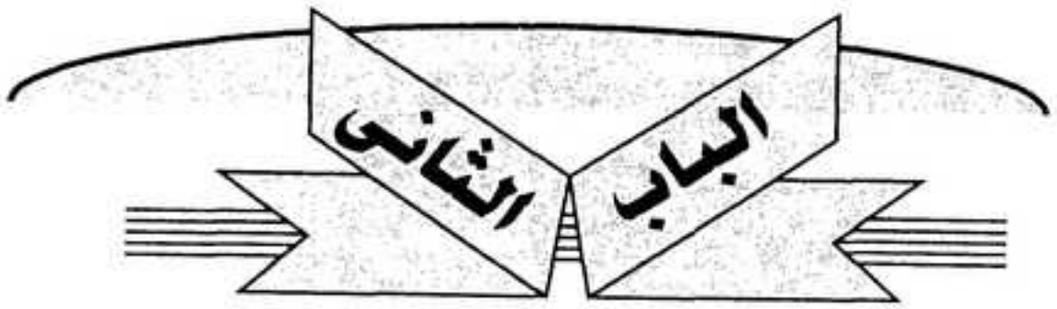

البابا شنوده الثالث

فى موكب الآباء الأولين

مقدمـة

الفصل الأول : البُعد النسكى

الفصل الثانى : البُعد اللاهوتى

الفصل الثالث : البُعد التربوى

الفصل الرابع : البُعد الوطنى

الفصل الخامس : البُعد الإجتماعى

الفصل السادس : البُعد الوعظى

الفصل السابع : البُعد المسكونى

مقدمة

إن دراسة علم الآباء ـ الباترولوچى ـ خلال سيرهم وفكرهم وحياتهم وأعمالهم وكتاباتهم تمثل نصيباً ثميناً فى التقليد الكنسى ، تتقبله أجيال الكنيسة لتودعه أجيال قادمة ، كطاقة روحية هائلة تتكلم لغة عصرها فيتذوقها ويستمتع بها الجميع .

والدخول إلى خبرة الآباء الأولين يحفظ بالتتابع التسليم ثابتاً خلاقاً بغير تغيير ، من جهة تاريخهم والظروف المحيطة بهم وتفهم شخصياتهم ، ومن ثم نعيش فكر وجو الكنيسة الأولى ، ونتعرف على عذوبة الحياة المسيحية ونقاوة الإيمان الجامع وسلامة التدبير الكنسى بكل جوانبه اللاهوتية والكتابية والليتورچية والروحية والوعظية والكرازية والرعوية والإجتماعية .

وكنيسة الإسكندرية لا تزال تحيا بنفس الروح الآبائية الأصيلة ، وتدعو لإسترجاع الكنيسة فى المسكونة كلها إلى فكرها وحياتها الأولى ، فالرب أعطى والرسل كرزوا والآباء حفظوا .

إن عصر الآباء ممتد مادام روح الرب يرافق الكنيسة ويعمل فيها لهذا لا ينقطع منها آباء قديسون معلمون ، وليس ثمة اسم أب من آباء الكنيسة يمكن أن نقول أن عصر الآباء قد انتهى عنده .

وفى أيامنا هذه نعيش رحلة آبائية يقود فيها قداسة **البابا شنوده الثالث** الكنيسة كلها فى مسيرتها إلى أورشليم السمائية على خطى الآباء وعلى دروب المعلمين الأولين ، فأعاد تعرفها على آبائها فى الماضى البعيد والقريب .

حاملاً تعليم وشهادة آباء الكنيسة بفاعلية وروحانية ، وجعل من فكرهم وأقوالهم نمط عمل وحياة يعيشها الأقباط إمتداداً حياً لعمل الروح القدس فى حياة الكنيسة عبر الأجيال .

إن قداسة البابا شنوده الثالث قدم بسيرته وحياته وفكره وكتاباته وأعماله عصارة آبائية

روت أغصان الكنيسة وأشبعت أعضاءها لتظل حية متأصلة فى روح الآباء ، الأمر الذى يؤكد أن عصر الآباء لم ينته .

وإذا كان التاريخ يتقدم فى حياة الكنيسة إلى الأمام ليربط الزمن بالأبدية ، فإننا نرى دائماً يد الله سيد التاريخ وخالق الزمن تقف مختفية وراء الأحداث تدفع الأيادى البشرية لتصنع المواقف والإنجازات التى هى من إحسانات السيد الرب مفتاح التاريخ كله .

وعندما نحتفل باليوبيل الفضى لأبينا البابا شنوده الثالث إنما ندرس التاريخ حسب فهم آباء الكنيسة له ، كإكتشاف للعمل الرسولى والرعوى والكرازى لحياة الكنيسة القبطية خلال الربع قرن الماضية... وإذا كان موضوع التاريخ الكنسى هو عنصر الكنيسة البشرى وأيقونة حياتها التاريخية ، فإن الخمسة والعشرين عاماً التى تقلد فيها قداسة البابا شنوده الثالث رئاسة الكنيسة إنما هى إضافة جبارة لرصيد الكنيسة الجامعة كلها ولغناها الكرازى والعقيدى والنسكى واللاهوتى والليتورجى والتعليمى والإدارى والتربوى والمسكونى .

إن إحتفالنا باليوبيل إنما هو تسجيل لأعمال الروح القدس فى الكنيسة المعاصرة كما فى كل الأجيال ، وتعتبر هذه المناسبة العظيمة تذكاراً لفهم عمل الله فى وسط كنيسته، وإدراكاً لحقيقة الكنيسة وطبيعتها ورسالتها ، تلك التى يقودها البابا شنوده الثالث خليفة الآباء .

ومن أهم المضامين التى إحتوتها هذه الدراسة الآبائية ، هى الإحاطة بشخصية قداسة البابا شنوده من جوانبها النسكية والوعظية والتربوية والإجتماعية والوطنية والمسكونية ، تلك الجوانب العظيمة التى تشكل الحاضر الكنسى كمصدر دائم للإلهام ولفهم الأحداث والظواهر والأعمال والمدلولات.. وهى لاشك ينبوع قوة روحية وتراث مقدس يحمل ليس فقط رمزاً تاريخياً أو ذاكرة لأعمال وتعاليم غبطته ، إنما كثراء الحياة الذى لن يزول ، بل يمتد إلى ما هو قدام ، ويستمر كتقليد الكنيسة الحى والخلاق والذى يأتى بنا من بدايات إلى بدايات جديدة وبلا نهاية .

وتحتوى هذه الدراسة على رؤية آبائية لشخص قداسة البابا شنوده الثالث بأبعاده المتنوعة من منظور آبائى .

إننا فى يوم عيد جلوس قداسته (١٤ نوفمبر ١٩٩٦م) نعترف بالشكر لله الذى صنع مع كنيسته هذا الصلاح ، إنها مناسبة فرح ومسرة ، مناسبة عمل وطاعة ، مناسبة وفاء وتكريم للجالس على الكرسى المرقسى بابانا البابا شنوده الثالث الذى أكد بأعماله وأقواله وحياته أن دورات التاريخ التى بلا رجاء قد انتهت .

إنه يوم التكريم الذى تترنم به الكنيسة وتفتخر بجلال ووقار وعالمية مناسبة اليوبيل الفضى لقداسة البابا شنوده ، عندما يرى أزهار وأوراق وأثمار تعبه وسهره وجهاده وتعاليمه التى ملئت جزئيات الربع قرن الماضية فجعلت من حبريته عصراً آبائياً ذهبياً جديداً .

إننى أحسب نفسى محظوظاً عندما أقدم هذه الدراسة الآبائية عن أبينا وأبو الآباء البابا شنوده الثالث ضمن سلسلة «**آباء الكنيسة ـ اخثوس** $IX\Theta Y\Sigma$» تأكيداً على أن روح الله الذى أعطى الكنيسة الآباء أثناسيوس وأنطونيوس وكيرلس وديسقوروس لا يزال يعمل ويعمل ، وأن حلقات التاريخ الكنسى لا تنفصل عن بعضها ولا ينقطع تأثيرها ، وها مسيرة العمل يقودها غبطته ويمضى بها قدماً فى أعمال وتعاليم لا تشيخ بل تتجدد وتستمر بنفس حماس وروح البدايات وستظل حاضرة وحية ونامية إلى مدى الدهر وإلى يوم مجئ المسيح .

إننى أقدم هذا العمل الدراسى تقدمة فرح فى يوم عيدك يا سيدى البابا البطريرك الأنبا شنوده الثالث أطال الله حياتك ، وهى فى جملتها شعاع من أشعة شمسك ، وثمرة من ثمار غرسك ، وزهرة من أزهار فردوسك فشخصيتك التأملية جعلتك كما لو كنت قد شُكلت من الرخام الشفاف وشخصيتك المتحدثة فى مختلف المجالات جعلتك وكأنك من الرخام الألباستر المتعدد الألوان ، وشخصيتك المدافعة القوية جعلتك رجل عمل ورعاية وكرازة ونشاط .... فإلى منتهى الأعوام .

أنطون فهمى جورج

اخثوس $IX\Theta Y\Sigma$

٧ نوفمبر ١٩٩٦م

الفصل الأول

البُعد النسكى عند البابا شنوده الثالث

البابا كراهب على خطى الآباء الأولين

البُعد النسكى

لقد إنطلقت شرارة الرهبنة فى حياة العظيم الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبنة فى العالم كله من داخل الكنيسة القبطية ، وجاء آباء البرية فى كل جيل يقدمون لله كل ما عندهم من طاعة وفقر إختيارى وبتولية ، فتزينت الكنيسة بالزهور البيضاء عندما إجتذبت للبرية ملائكة أرضيين من طغمة الرهبان ، كما تزينت تماماً بالزهور الحمراء فى أزمنة الإستشهاد .

لذلك قيل أن الرهبنة القبطية هى هبة مصر العظمى للعالم ، حتى أن القديس يوحنا كاسيان روى عن زيارته لمصر وكيف كان يسمع التسابيح نهاراً وليلاً طوال سفره ، وكأن الأرض تحولت إلى سماء أو السماء قد نزلت إلى الأرض ، الأمر الذى جعل لمصر نظرة قدسية عظيمة فى العالم المسيحى ، بعد أن كسبت شهرتها بكونها أرض التقوى التى زارها السيد المسيح وعاش عليها الرهبان المسيحيون الأول ، وقال عنها القديس يوحنا ذهبى الفم: «إن السماء بكل خوارس كواكبها ليست فى مجد برية مصر» .

وهكذا حافظت الكنيسة القبطية على مكانتها كمهد للرهبنة فى العالم وحفظت الرهبنة الكنيسة فى أحرج فتراتها ، إلى أن جاء يوم ١٨ يوليو ١٩٥٤م (١١ أبيب) ذلك اليوم الذى تمت فيه سيامة الراهب أنطونيوس السريانى (قداسة البابا شنوده) الذى كانت الرهبنة فى قلبه وفكره قبل سيامته راهباً ، فى كتاباته وشعره قبل أن يلتزم بها طقساً وتصير له حياة .

لقد صار دير السريان العامر وللراهب أنطونيوس سماء أرضية وعالم مصغر للمدينة السمائية العتيدة ، فعاش بحسب منهج الآباء وقبل الشكل الملائكى متشبهاً بأنطونيوس الكبير ، وقد عمل فى الدير أميناً للمكتبة ومسئولاً عن المطبعة ونشر المخطوطات وعن الضيوف الأجانب ، وهو من باكورة الرهبان المثقفين الجامعيين الذين تركوا العالم وانضموا لسلك الرهبنة فى ذلك الزمان ، مستهينين بالمجد الأرضى معلنين إعلان ملكوت الله .

ولأن العمل عند الراهب أنطونيوس السريانى هو عمل مبدع مهما كان بسيطاً فقد شارك فى صنع نهضة دير السريان ، ولأن الزمن عنده زمان الله فقد كان سبب بركة كبيرة لجيله من الرهبان ، ولأن المسيرة الروحية عنده دائمة ومتجددة باستمرار ، فقد اشتاق لحياة الوحدة .

فالصحراء التى أبدعت القديس أنطونيوس أبو الرهبان أبدعت الراهب أنطونيوس السريانى المتوحد ، ففاق كثيرين فى التمتع بالهبات الروحية ، حتى اشتهر اسمه فى سماء مصر كمصباح مضئ يقطن مغارة تبعد عن الدير ٣,٥ كيلومتر ، فأتى إليه فيها تلاميذ يطلبون الإرشاد والحكمة لما عرف عنه من روحانية ورجاحة عقل .

إلا أنه أراد أن يحيا فى هدوء وصمت ، فاختار لنفسه مغارة تبعد عن الدير حوالى ١٣ كيلومتر ، مكث فيها أكثر من ست سنوات لا يرى فيها وجه إنسان ، استطاع فيها أن يعيش حياة الوحدة التى إشتاق إليها ، وأن يقرأ فيها آلاف الكتب والمخطوطات وأقوال الآباء القديسين ، وذاق ايضاً فيها لذة النسك ، فذاع صيته ، وهو المكنى عنه فى الإنجيل «أقامه الله على عشرين» .

من ينظر إليه يكفيه النظر إلى وجهه وقد بدت عليه علامات النسك ومعيشة الجبل ، فيلمس قوة معزية ويرى فيه نعمة الله المضيئة ، كعملاق روحانى فى تاريخ رهبنة القرن العشرين .

لقد صار رسولاً فى زماننا ، ذهب إلى البرية يتدرب على النسك والوحدة فصار كاملاً ومعلماً ، فى مشيه على رمال الصحراء كطائر يطير ، يدخل إلى مغارته فى خشوع وإتضاع ويبسط يديه إلى السماء ليصير فيما بعد رأس الكنيسة المنظورة ويحمل ذات الرسالة ، لا كمصباح تحت مكيال بل على المنارة .

وعلى خطى الأنبا بولا أول السواح ارتمى فى حضن الله بعيداً بعيداً عن الناس فى مغارة ، إلا أن الله جعله مدينة على جبل ، وكغصن مستقيم وكبير يعطى ثمرات حلوة معلماً الشعوب الممتدة ، تأتيه لترتوى من الحكمة الروحانية كخليفة للقديس أنطونيوس الكبير .

وكما قيل عن العظيم الأنبا أنطونيوس أنه رجل الحكمة الإلهية المملوء نعمة ولطفاً

هكذا أنطونيوس الجديد ، تمتع بالحكمة العملية والبصيرة التى أهلته ليكون أسقفاً للتعليم بالكنيسة المقدسة ، فكان أول أسقف يقضى نصف الأسبوع بالدير ولم تنقطع صلته بالبرية .

وبصيرورته أسقفاً للتعليم وبتأثير الحرارة الروحية العالية ونمو التعليم اللاهوتى ، أحب كثير من الشباب والشابات حياة البتولية فإنطلقوا إلى البرارى والأديرة ، وعاشوا نذر الرهبنة

وما أن صار الأنبا شنوده أسقف التعليم بطريركاً بصيته الروحى وقداسته المشهورة ، وابتدأ يعلم ويعظ ويكتب وينهض بالتربية الكنسية ، حتى بلغت الشرارة مكان زيت النعمة فأشعلت قلوب الشباب الناشئ بحب النسك ، وفى أقل من ربع قرن كانت أعداد الرهبان تتضاعف كنظام شعبى وكنسى بآن واحد .

فمنذ أن جلس قداسة البابا شنوده الثالث على كرسى البطريركية وقوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين الطوباويتين اللتين لأنطونيوس الجديد ، الوريث لفضائل ونعمة أنطونيوس الكبير ، والذى تركزت فيه خبرات السابقين من آباء البرية ، لتنمو الرهبنة على يديه ، ولتتقوى الوحدة وتمتلئ الديارات بالرهبان وتصير كجنة الله ، وليتمتع سكانها بأبوته ورئاسته وتدبيره .

ولعل أحد ملامح الكنيسة المعاصرة فى حبرية البابا شنوده هو التزايد المستمر فى راغبى الإلتحاق بالحياة الديرية كخبرة معاشة وكإمتداد حى لعمل الروح القدس فى حياة الكنيسة عبر الأجيال واستمرار للتقليد الرهبانى الذى عاشته الكنيسة الأولى بالتتابع من الآباء بغير تغيير ، مع تزايد حركة التكريس البتولى وإنشغال الأديرة بالتعمير وتزايد عدد الرهبان وراغبى الوحدة .

فقد شهدت الرهبنة المعاصرة فى الفترة ١٩٧١م -١٩٩٦م نهضة كبيرة فى السيامات وصارت فى أوج إنتشارها وعظمتها بتضاعف المنتمين للطقس الرهبانى .

ويعتبر دير القديس الأنبا بيشوى بوادى النطرون هو الشرارة الأولى الجديدة التى إنتقلت منها النهضة ، فقد ترهبن به كثير من الرهبان ريثما يعترف المجمع المقدس بالأديرة الجديدة ، سواء تلك التى أُعيدت إليها الحياة الرهبانية أو تلك التى أُنشأت من جديد .

بدأ تعمير الأديرة وإنتشار النهضة الروحية والعمرانية على يد قداسة البابا شنوده الثالث

من وادى النطرون (أديرة الأنبا بيشوى والسريان والبراموس وأنبا مقار) ثم امتدت إلى مريوط (دير مارمينا) وأديرة الصعيد (دير المحرق والأنبا صموئيل) ثم الأديرة الشرقية (دير الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا) ثم تعمير الأديرة القديمة (دير الرزيقات والشايب والأنبا باخوميوس والأنبا شنوده) .

وقد واكب التعمير الرهبانى تعمير عمرانى ، فإنتشرت أعمال الترميم والتوسيع والإنشاءات وأعمال التشييد والبناء من بناء قلالى وبيوت خلوة ومبانى ضيافة وتعمير كنائس ومنارات ومكتبات ومرافق وصهاريج وورش وبناء أسوار وتمهيد طرق واستصلاح وحفر آبار وإدخال شبكات الكهرباء والصرف وغرس الأشجار وعمل مقار للأديرة .

وتعتبر الأعمال العمرانية بالأديرة فى عداد المعجزات ، فهناك أديرة لم تكن امتدت إليها يد الإصلاح منذ عشرات أو مئات السنين ، افتقدها قداسة البابا شنوده ودرس أحوالها على الطبيعة فى زيارات متكررة من أجل النهوض بها ، ومقارنة بسيطة بين ما كانت عليه وما صارت إليه من تعمير واسع شامل لم نقرأ عنه من قبل فى تاريخ البطاركة كله ، تجعلنا ندرك حجم تلك الإنجازات المعمارية الهائلة .

فعمرت الأديرة وأعيد لها مجدها القديم بعد أن كانت قد اندثرت سواء بالضعف أو بالتخريب ، أُعيدت لها الحياة مرة أخرى ودبت فيها روح الآباء من جديد ، فصارت البرارى كالمدن ، والمواضع المهجورة التى بلا إنسان إمتلئت بالرهبان الذين منطقهم البابا شنوده الثالث كالجنود ، فصاروا أبطالاً وجبابرة بأس يعملون ويصلون كخلية النحل التى لا تهدأ .

وبإيمان البابا شنوده الثالث الكبير وتمسكه بنمط قديسى البرية جاهد ليجعل البرية ليس فقط مجرد عودة للفردوس القديم بل عربوناً للفردوس العتيد ، فعبر بها إلى الماضى كما إلى المستقبل ، وقدم حياته وسيرته نموذجاً حياً للقانون الرهبانى بصورة عملية حية وهياً دعوة التبعية للمسيح بإعادة إحياء الأديرة القديمة المندثرة وإعادة الحياة الرهبانية فيها .

ومن جانب آخر سرى تيار نسكى قوى فى أديرة وادى النطرون الأربعة والتى صارت على يدى غبطة البابا شنوده الثالث مثل الأربعة مدن الملجأ ، التى أسسها الملك المسيح

فى هذا الجيل لتكون خلاصاً لأهل العالم ، بعد أن أعطاه الله أن يحمل شيهيت كلها بتدبيره كما يحمل الإنسان نقطة ماء على كفه .

وكما قال العالم الآبائى المشهور جونز كواستن مؤكداً قول كاسيان أن القديس مقاريوس الكبير هو الأب الروحى للأسقيط والمؤسس الحقيقى لبرية شيهيت ، هكذا فى عهد البابا شنوده استمر تاريخ رهبنة شيهيت لا ينفصل عن نهضة الكنيسة باعتبارها الخلفية المحركة للعمل الرعوى كله .

أخذ قداسة البابا شنوده الثالث يقود حركة تعمير الأديرة بالقوة المعطاة له من الله ، عندما تكلم الرب فى قلبه ليعمرها ، فتهللت به أرواح الآباء القديسين أنطونيوس والثلاثة مقارات والأنبا بيشوى مؤسسى هذه المواضع ، إذ أن أرواحهم لم تبارح مساكنهم وبركتهم فى كنائسهم وأولادهم يتتلمذون لهم فى كل الأزمان .

وبينما كانت الأديرة القائمة فى نهضة رهبانية وروحية وعمرانية ، شهدت الأديرة القديمة حركة إحياء وإعادة الحياة الديرية إليها مثل دير الأنبا باخوم بحاجر إدفو، ودير مارجرجس بالرزيقات ، ودير العذراء بجبل أخميم ، ودير الأنبا شنوده بسوهاج ودير الشهيدة دميانة بالبرارى ، كما حدث إمتداد للرهبنة النسائية لتشمل أماكن جديدة: دير أبو سيفين (كرير) ودير مارجرجس (كرير) ودير العذراء (النوبارية)...

وبإحياء الأديرة القديمة يكون قداسة البابا قد جعل من الرهبنة القبطية حركة مسيحية شعبية كما كانت فى عصورها الأولى ، عندما امتدت الخريطة الجغرافية للرهبنة المعاصرة لتشمل صعيد مصر والبرية الشرقية والغربية ومريوط والفيوم والقلمون .

لذا سيجمع التاريخ بين اسمى البابا شنوده والأديرة القبطية ، من أجل نهوضه بها ، وإعادته للحياة الرهبانية واعتراف المجمع المقدس بها ، وتأسيسه لأديرة جديدة ستبقى تعطى أثمارها حتى نهاية الدهور .

فقد تأسس فى عهد قداسة البابا دير مارجرجس بالخطاطبة ، وتأسست ايضاً لأول مرة أديرة قبطية فى بلاد المهجر: دير الأنبا أنطونيوس بكاليفورنيا ودير الأنبا أنطونيوس بكريفلباخ بألمانيا ، وديرين قبطيين باستراليا ، ودير قبطى فى ميلانو بإيطاليا وآخر بأفريقيا ، فكما أن زيارة البابا أثناسيوس للغرب أدخلت الرهبنة إليها ، هكذا أسس البابا شنوده

خليفته تلك المواضع التى صارت كشبكة تصطاد من يصادفها فى طريق الله ، هذا وقد ألبس أبونا البابا ثياب الرهبنة لكثيرين من الأقباط المهاجرين ولزمرة من الأجانب ، جاعلاً من هذه المواضع التى أسسها ميناء خلاص لنفوس كثيرة ، انضموا جنوداً فى جيش المسيح وتتلمذوا متعلمين من زينة فضائله ، ومن نسكيات برارى مصر التى عطرت أربع أرجاء المسكونة .

فمثلما جاء إلى برية مصر كل من القديس جيروم وباولا وروفينوس وبالاديوس وميلانيا الأسبانية وأوغريس وكاسيان وهيلاريون وأوجين ، فإنتقلت الرهبنة من خلالهم إلى فرنسا وأوربا وبيت لحم وفلسطين وبلاد فارس ، هكذا ايضاً يستمر إنتشار النمط الرهبانى فى أنحاء العالم إنطلاقاً من الكنيسة القبطية فى القرن العشرين.

ولعل عقد مؤتمر أرثوذكسى للرهبنة المسكونية بدير الأنبا بيشوى فى مايو ١٩٧٥م والذى شاركت فيه وفود كنائس العالم ، يعد علامة على إستمرار ريادة كنيستنا فى تسليم وصايا ورسوم وخدمة آباء الرهبنة الكبار فى كل ما يليق بزى وقانون هذه الحياة المقدسة ، ومما هو جدير بالذكر أن لقداسة البابا شنوده علاقات طيبة بكل الحركات الرهبانية المعاصرة (الأباء اليسوعيين ، الأباء الدومينيكان ، إلخ...) .

وكما قام البابا أثناسيوس الرسولى بنشر الفكر الرهبانى ، هكذا خلقت الحركة الرهبانية المعاصرة فى عهد قداسة البابا شنوده نوعاً من الأدب المسيحى خلال نشر كتابات آباء البرية وسيرهم وتاريخهم وأقوالهم مما ساهم فى تثقيف وبنيان الأجيال الرهبانية الجديدة .

لقد اصطبغت كتابات وعظات غيطة البابا بسمة نسكية وبمسحة روحانية خاصة ، فمزج اللاهوت بالحياة وتأثرت عظاته وكتاباته بلغة الحياة النسكية ، ولغة النسك لا أن نتحدث عن الله بل نتحدث مع الله ، وكان ثمرة هذا الفكر أنه سجل عملياً أعمال الله الخلاصية المستمرة بغير إنقطاع فى كتابه «إنطلاق الروح» ونال شعره النسكى شهرة عظيمة لا من أجل أقواله وأفكاره ، ولا بواسطة إتقانه لفن الكتابة وإنما لسخاء خدمته لله فى الدير كراهب وفى المغارة كمتوحد (أشعار: غريب ، سائح ، ماذا بعد هذا؟....) .

ويعتبر الفكر النسكى لقداسة البابا من أنفس وأندر الكتابات الصافية الأصيلة المعاصرة،

والتى إتسمت بالروحانية العملية التى تتطابق مع منهج الآباء الأولين ، فكتب عن حروب الشياطين كما كتب القديس مار اوغريس ، وكتب عن حياة القديس أنطونيوس كما كتب البابا أثناسيوس ، وكتب مقالات نسكية عن حياة السكون والدموع فى حياة القديسين وسمات السلوك الرهبانى والهدوء والتلمذة.

وفى تجميع روحى خصب قدم الروح الرهبانية كإمتداد لعظات وميامر ماراسحق ومارفرآم السريانى ونسكيات القديس باسيليوس الكبير وقصص بستان الرهبان لتكون فى متناول أبنائه من الرهبان والمؤمنين كافة .

وقداسة البابا شنوده فيما يعمر الأديرة بالرهبان اهتم بحفظ المكانة الكبيرة التى احتلتها الرهبنة فى ضمير الكنيسة وشعبها فأبقى على علاقته الخاصة كبطريرك لكرسى الاسكندرية بالحياة الديرية ، وأقام مقراً بابوياً فى دير الأنبا بيشوى ، ليسلم السر الرهبانى ويلقنه لأولاده كميراث أبائى ثمين توارثته الكنيسة جيلاً من بعد جيل .

استحسن قداسة البابا البقاء فى الدير ، كما كان بطاركتنا الكبار أمثال أثناسيوس وكيرلس حينما يعودون من المجامع المسكونية يكتبون رسائل للرهبان هكذا أبونا البابا شنوده جعل من الدير خلية عمل ومصدر إشعاع للكنيسة كلها مجتذباً تلاميذاً كثيرين وأبناء بلا عدد ، فأخذ زرعه الروحانى ينمو كأشجار مزروعة فى أرض صالحة حاملة أثمار شهية .

ينتقل دائماً كأب بين جماعات الرهبان من دير إلى دير على منوال أنطونيوس الكبير، كأب يرعى أولاده المخلصين لطريق الرهبنة ، ويذهب غبطته أغلب الاسبوع إلى الدير ليهتم بكرمه لئلا تتلفه الثعالب وبشجرة حياته لئلا تبدد طرحها طيور السماء وبكنزه الذى جمع الصالحات وبمركبته التى وسقت الخيرات لئلا يفسدها العدو .

اهتم قداسة البابا بتعميق الحياة الرهبانية فى جوهرها وفى نسكها الإنجيلى ، فحرص على تعليم طغمة الرهبان على الدوام بكلامه كما بقدوته ، وهو يحب التعب والسهر والحرص فى كل شئ من أجل الله ، وتعب الجسد عنده حلو شهى ، بلا ملل يعمل ويسعى بنشاط وفرح قلب ، فجعل الله باب الفردوس مفتوحاً على يديه ، بعد أن أسس فراديساً وديارات جددها وأحياها .

وفى مناسبة عيد رهبنته يتحدث عن عجائب الله وعن عمل الله معه وعن تضاعف نصف الخبزة ويعلم أولاده الرهبان ويكلمهم من أجل خلاصهم وصحة نفوسهم ، يدخل إلى داخل خزائن قلبه ليعلم السامعين أن يحبوا الله حباً خالصاً تاماً كاملاً مقدماً السلوك والقانون والتدبير الرهبانى ، معتبراً فرصة العيد مناسبة تعليمية وكأن عظاته ومحاضراته لأولاده الرهبان ترجع إلى الجيل الأول لآباء برية مصر .

ولأن الرهبان هم ترمومتر الحركة الروحية فى الكنيسة ، لذا يلقى قداسة البابا فى قاعة المحاضرات بمقره بدير القديس الأنبا بيشوى الكثير من العظات النسكية والسلوكية والتى تختص بالآداب والقوانين الرهبانية ، فصارت الأديرة القبطية زاخرة بالمعرفة الإلهية وبمقومات النهضة اللاهوتية والآبائية بحفظها للنصوص الليتورچية وبالمخطوطات والفن القبطى ، وبحفظها لأنماط الرهبنة وأشكالها الثلاثة (التوحد ـ الشركة ـ الجماعات) فى تكامل وكأن عهد الآباء القديسين أنطونيوس وآمون وشنوده وباخوميوس قد صار الآن .

وإستمراراً لمسيرة الآباء الأولين يعيش الآن فى برارى وجبال مصر آلاف الرهبان بطرق متنوعة ، ولا يزال كل دير يمثل وحدة ذات إكتفاء ذاتى يحتفظ بإدارته المحلية كمؤسسات ومعاهد كاسيان ، وتوج قداسة البابا شنوده إهتمامه بالرهبنة برسامته للآباء الأساقفة الأجلاء رؤساء الأديرة ، الأنبا صرابامون والأنبا متاؤوس والأنبا مينا والأنبا إيسيذروس والأنبا يسطس والأنبا بموا والأنبا ساويرس والأنبا كاراس والأنبا باسيليوس ، هؤلاء الآباء الرؤوس الذين صاروا أشجاراً مثمرة محملة بالثمرات الروحانية ، ومن بينهم شيوخ البرية الكبار الذين أليسهم قداسة البابا الإسكيم المقدس ، ليقودوا المبتدئين من الواقفين على أول درجات سلم المران والتدريب الروحى ، بحسب تقليد الآباء المتواتر... وقد أجاد هؤلاء الآباء المعينين بيد غبطة البابا نعمة الإرشاد والقيادة المختبرة .

إن البابا شنوده الثالث استطاع بصلواته وجهده أن يحيى تراث مصر وتاريخها بأن جعل البرية مدينة لله وحول الصحارى إلى مسكن لله ، زرعها وفلحها وأكل من ثمارها وجعل أولاده يستصلحونها ، بعد أن جعل للأديرة أهمية حضارية فى مساهمتها فى الحفاظ على شخصية مصر فى العمران والإهتمام بالآثار وترميم الأيقونات وفى إحياء التراث والفن القبطى .

فاتقن الرهبان المصنوعات الكنسية ذات الفن المتميز ، وساهموا فى تنمية الإقتصاد المصرى ، حتى أن علماء أجانب يزورون الأديرة ليتعرفوا على أمثلة حية فى تعمير وتخضير الصحراء ونجاح الزراعات على أيديهم .

وبينما الصحراء فى المفهوم المصرى القديم مسكن للشياطين ، استبدلتها المسيحية وحولتها الرهبنة من الصورة السلبية إلى مواضع للصلاة والتعليم والزيارة والبركة والعمران والإنتاج العملى والعلمى والذهنى ، وصناعة الإحتياجات الكنسية من مصنوعات خشبية ومعدنية ومنسوجات .

ويعتبر للبابا شنوده الدور الحق من أدوار تاريخ الرهبنة المصرية المعاصرة وهو علامة تحول فى هذا الجيل ستمتد إلى أجيال كثيرة آتية ، بعد أن كسب غبطته الصحراء للمسيح ، وعمرها بالمذابح والمبانى وازدانت بالرهبان والراهبات وطلبة الرهبنة وصارت مباركة بالصلاة والميطانيات ومدشنة بالعرق والدموع .

يجئ إليها الشعب لطلب البركة وكلمات المنفعة وحضور القداسات وأعياد القديسين والسهرات الروحية وتضميخ أجساد القديسين وتكريمهم ، ويأتى إليها الكهنة الجدد لإستلام الطقس والليتورجيات كمصدر لحفظ تقليد الكنيسة وفكرها ، ويأتى إليها الخدام والشباب لقضاء الخلوات ، فضلاً عن دورها فى خدمة الكنيسة العامة والعمل الرعوى .

ومن التقاليد الرهبانية التى أرساها قداسة البابا شنوده: تخصيص لجنة مجمعية للأديرة ولشئون الرهبان ، رئاسة قداسته لتذكارات أعياد قديسى البرية ، وإفتقاده المتكرر للأديرة ، واعتراف المجمع المقدس فى عهده بالأديرة الجديدة سواء التى أُستحدثت أو التى أُعيدت إليها الحياة ، فضلاً عن اهتمامه برهبنة النساء ووضعه لطقس تعيين رئيسة الدير ، وبتعمير أديرة البنات التى تقاطرت عليها العذراى طالبات طريق الرهبنة ، وإحيائه لطقس لباس الإسكيم .

ولو عاد الزمان لكتب روفينوس فى التاريخ الرهبانى (هستوريا موناخورم) ، ولكتب بالاديوس فى التاريخ اللوزياكى ، ولكتب يوحنا كاسيان من جديد عن المعاهد (الدساتير) والمؤسسات ، وأضافوا إليها إنطباعات قوية عن الأعمال والمنجزات التى قدمها البابا شنوده

للرهبنة فى القرن العشرين .

وليأتى الآباء أنطونيوس ومقاريوس وشنوده رئيس المتوحدين ليروا الأديرة المهجورة لقرون طويلة وقد فتحها البابا شنوده للشعب بحب عملى وتقوى ، وليأتى إليها جيروم وأبيفانيوس ومارفرآم السريانى والقديس باسيليوس الكبير ليروا ثراء وغنى برية مصر فى القرن العشرين ، وإمتدادها إلى قارات عديدة لتنقل أنظمة وقوانين وأقوال وسير وحياة الآباء لرهبان هذا الجيل .

الفصل الثانى

البُعد اللاهوتى

عند

البابا شنوده الثالث

البابا كلاهوتى

على خطى الآباء الأولين

البُعد اللاهوتى

كنيستنا القبطية كنيسة معلمة للمسكونة كلها ، كاروزها مارمرقس الرسول ناظر الإلهيات وأباؤها حفظوا الإيمان وصاغوا العقيدة السليمة وشرحوا اللاهوتيات وقادوا المجامع المسكونية: البابا أثناسيوس الرسولى ، والبابا كيرلس عمود الدين والبابا ديسقوروس بطل الأرثوذكسية .

ويكمل خليفتهم البابا شنوده رسالة تسليم التعليم اللاهوتى الذى بنيت عليه الكنيسة، معلماً أولاده الإيمان الذى أعطاه لنا الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء وتأسست عليها البيعة المقدسة .

علم اللاهوت عند قداسة البابا هو علم معرفة الله ، لذا معرفته اللاهوتية معرفة شركة مع الثالوث القدوس ، معرفة إلهية لاهوتية مقدسة رؤيوية حقيقية وغير كاذبة ، معرفة صحيحة وليست كتلك المعرفة الزائفة التى بحسب الجسد ، معرفة ديالوجية تتجه من الله نحو الإنسان ومن الإنسان نحو الله ، تلك المعرفة الإلهية هى قنية الله التى جعلت بطريركنا البابا شنوده منشغلاً بالله يسعى نحوه متجهاً إليه فى حياة عشرة ، تلامس فيها مع لاهوت الله وقوته ومجده وعمله الخلاصى وغفرانه العجيب ، خلال التلمذة الغالية والنفيسة ، وخلال سياحته الروحية فى البرية التى جعلته ليس عالماً وعلامة لاهوتى فقط بل ناسكاً وراعياً .

اعتبر قداسة البابا أن معرفة الله غير ممكنة بدون عمل نعمته ، فمنْ يرفض نعمة الله ويتجاهل اللوغس يبقى الله بالنسبة له غير معروف ، لذلك يحذر قداسته من التفكير فى الله بطريقة مادية زمنية ، ويرسم طريق معرفة الله كنسمة حياة البشر وأساس الكرازة وجوهر خدمة التعليم الكنسى .

اللاهوت فى فكر وحياة غبطة البابا شنوده هو لاهوت النعمة (نعمة الثالوث) لذلك لا يعرف اللاهوت بالدراسة فقط بل بالعبادة ، لذا ميز قداسته بين العقلانى والروحانى ، بين الزمنى والأبدى ، ووجه الفكر لينعود من الحلولى والأرضى والمادى إلى ما هو طبيعى

وسامى وسماوى... وقدم الفكر الإلهى النقى المستقيم الغير مغشوش لا فى نظريات إنما فى قبول نعمة الله فينا كرؤية شخصية داخلية تحتاج إلى نقاوة القلب .

ولأن القلب هو الذى يصنع اللاهوتى لذلك قلب البابا شنوده يتأمل لاهوتياً ، ويواظب على التسبيح الذى لا يشيخ بل يتجدد فى الأعماق ، يعيش الفضيلة كمنابع تنبع من الماء الحى الذى هو معرفة ربنا يسوع التى حسب أهلاً لنوالها ليتحدث بالإلهيات وهو المتكلم بالحق ، فتدفق اللاهوت من قلبه ، وصار ليس لاهوتياً معاصراً بل عظيماً وسط اللاهوتيين ، استلم موهبة اللاهوت من المخلص الذى بلا خطية ليودعه نفوس شعبه .

اقتنى قداسة البابا شنوده الثالث حياة الفضيلة وربط بين الفضيلة واللاهوت ، وهو القمص أنطونيوس السريانى المتوحد ساكن المغارة الذى عشق الإلهيات وعاشها وأدرك فكر الناطقين بالإلهيات واعتبر أن التقوى والعقيدة أختان وأن اللاهوت تقوى وعشرة مع الثالوث ، وأنه عبادة وليس معرفة ، لذلك غاص فى الأسرار الإلهية وركز على «الحياة فى المسيح» بالفضيلة والبر ، محدداً معالم الطريق الروحى ووسائط الحياة الروحية ، معتبراً أن الإلتصاق بالمسيح هو مركز اللاهوتيات .

ذهنه مملوء من نعمة الله ولسانه ينفتح بالصلاة التى يلقى الآب عليها ضوءً ويعلمها الابن ويعمل الروح القدس فى داخله ، لذا عرّف اللاهوت بأنه إستعلان الثالوث القدوس، فدخل بأولاده ورعيته إلى الخبائية الإلهية يصعد بهم إلى الأمور الإلهية خلال عظاته ومحاضراته وإجاباته على تساؤلاتهم وكتاباته ومقالاته التى يصعب أن تقع تحت حصر ، سواء تلك التى علمها وكتبها وهو «خادم» أو وهو «أسقف التعليم» أو وهو «بابا وبطريرك الاسكندرية» .

ويركز قداسة البابا فى منهجه اللاهوتى على أن كل حكمة هى من الله وأن الشركة مع المسيح هى بحق الحياة الحقيقية ، وأكد على ضرورة إقتران الأعمال الصالحة والجهاد الروحى بالإيمان وبضرورة الإلتصاق بالله والتجاوب مع عمل النعمة الإلهى وهو ما يسميه الآباء «السينرچى» ، فغير الطاهر يبقى فى جهالة من جهة الله ، وغير التائب يحسب غير مستحق لنوال المعرفة الإلهية.

اتسم الفكر اللاهوتى عند قداسة البابا شنوده بأنه عمّد الأدب والفلسفة فى مياه الإستعلان المسيحى ، واستخدم بلاغته وفصاحته وعلمه الغزير كأثمن هبات الله التى يقودنا بها إلى الابن الكلمة المتجسد ، مقدماً اللبن للذين هم أطفال ، والخضروات للضعفاء والغذاء القوى للمجاهدين والمهتمين ، فجاء تعليمه اللاهوتى متدرجاً ، لاهوتاً حياً فى أصالته وأصيل فى معاصرته ، يضع قدماً فى الأرض (قضاياها) وقدماً فى السماء (إعلانها) فاللاهوتى الحقيقى ابن عصره والبابا شنوده شكل وجدان الكنيسة المعاصرة وإنشغل بقضايا ومشاكل شعبه ، لذا جاء لاهوته رعوياً عملياً متفاعلاً مع الظروف وواقع اليوم ، يزود الكنيسة كلها بمبادئ عملية فى زوايا إيمانية وأخلاقية وسلوكية ورحية وإنسانية .

تميز الفكر اللاهوتى لقداسته بأنه لاهوت هادف ، فجاءت كتاباته إيجابية أكثر من أنها مجرد إثبات للعقائد ، جمعت بين التنظير اللاهوتى وبين الممارسة والخبرة ، يكتب ليشرح الحق والحق فقط تاركاً الحق يؤثر بنفسه على السامعين حتى أنه يقول فى مقدمة كتابه «**بدعة الخلاص فى لحظة**» : «وقد رددت على كل النقط التى ظهرت فى بعض الكتب كمجال للشك ، واخيراً أقول لأولادى ، ها أمامكم الطريقان واضحان ، انظروا فى أيهما تسلكون» .

ونظرة مدققة للاهوت البابا شنوده نراه لا يقف فى كتاباته عند حد المفهومات والإصطلاحات والصيغ التعليمية بل يقدم خبرة مسيحية حية وعاملة فى حياة الكنيسة ، ويشرح اللاهوتيات بأسلوب تعليمى أكثر منه جدلى ، فتميزت مؤلفاته بالصبغة العملية وبالصياغة السهلة الواقعية البسيطة والمنطقية والعميقة بآن واحد .

فبينما فكره اللاهوتى كامل ودقيق ، ومنهجه ثابت الأصول والإتجاه من البداية إلى النهاية ، إلا أنه يشرح العقيدة بأبسط أسلوب يتناسب مع شعبه ، كمعلم يشهد للإيمان وكلاهوتى يعلم علم الله ، فصار هو المعلم الذى أعطاه الله لنا ، ليسكب على أولاده من تعاليمه من أجل تثقيفهم ومن أجل تسليمهم الأمور العالية على الأفهام والتى قد تبدو غير معقولة ، ليؤمنوا ويعرفوا ويحيوا ويتأملوا لاهوتياً.

والإنتاج الفكرى اللاهوتى للبابا شنوده إنتاج خصب ، فشملت كتبه ومقالاته وعظاته كل فروع علم اللاهوت: الكريستولوچى (طبيعة المسيح) ، السوتيريولوچى (الخلاصى) ،

الإسخاتولوچى (المجئ) ، الكوزمولوچى (الكونى) ، الأنثربولوچى (الإنسانى) ، المريولوچى (المريمى) ، الإكليسيولوچى (الكنسى) ، الليتورچى (التعبدى) بجوانبها العقيدية والسرائرية والرعوية والسلوكية العملية .

لذا تعتبر كتابات قداسته دليلاً عقيدياً فى تاريخ اللاهوت الأرثوذكسى المعاصر ، ومن أشهر مؤلفاته اللاهوتية:

١) لاهوت السيد المسيح
٢) طبيعة المسيح
٣) الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى
٤) بدعة الخلاص فى لحظة
٥) اللاهوت المقارن
٦) عمل الروح القدس فينا
٧) الكهنوت
٨) المطهر

هذا بالإضافة إلى المقالات والعظات والمحاضرات والحوارات التى أثرت الفكر اللاهوتى المعاصر إستمراراً وإستكمالاً لكتابات الآباء لأولين .

أكدت كتاباته اللاهوتية على أن كنيستنا كنيسة تقليدية *traditional* ومحافظة *conservative* على الإيمان الرسولى ، وأنه لا ابتداع فى اللاهوت ولا نقل للتخم القديم فيه ، وأن الإيمان فى الكنيسة واحد مصدره الكتاب المقدس ثم أقوال الآباء وقوانين المجامع والليتورچيات والطقس الكنسى والتقليد الذى يوافق الإنجيل .

فكما فند أثناسيوس الكبير البدعة الأريوسية والأبوليناوية ، وكما فند البابا كيرلس البدعة النسطورية ، هكذا أكمل البابا شنوده الثالث مسيرتهم التعليمية والدفاعية أمام الشكوك الإيمانية المعاصرة وأمام التيارات الطائفية المنحرفة .

وفى كتاب قداسة البابا عن «لاهوت السيد المسيح» إثبت إيجابياً العقيدة الأساسية لإلوهية المسيح مستنداً إلى فكر القديس أثناسيوس فى كتابه «ضد الأريوسيين *Contra Arians*» وإلى كتاب القديس هيلارى أسقف بواتييه «عن الثالوث *De Trinitate*» وإلى كتابات القديس باسيليوس الكبير واغريغوريوس النيصى والخمس عظات اللاهوتية للقديس اغريغوريوس الثيؤلوغوس وعظات الموعوظين للقديس كيرلس الأورشليمى .

تناول فى هذا الكتاب اللاهوتى القيم «**لاهوت السيد المسيح**» صفاته الإلهية وقدرته

على الخلق وأنه فوق الزمان وموجود فى كل مكان وأنه هو الرب غافر الخطايا وفاحص القلوب وأنه المخلص والفادى والديان وصاحب السلطان المطلق على الطبيعة والملائكة والشياطين والحياة والموت .

كما تناول السيد المسيح اللوغس من حيث مركزه فى الثالوث القدوس وبنوته وعلاقته بالآب وجلوسه عن يمينه وإرساله للروح القدس ، فتركز فكره اللاهوتى حول بؤرتين هما: وحدة الجوهر وتمايز الأقانيم الإلهية الثلاثة .

ويورد قداسة البابا الآيات الكتابية والشواهد الإنجيلية التى تبرهن عقلياً ومنطقياً على لاهوت السيد المسيح ، مستخدماً إقتباسات وأقوال أسلافه الأطهار معلمى البيعة أثناسيوس وكيرلس وديسقوروس ، مشدداً على إتباع العقيدة الحقة وقانون الآباء الأوائل وإلهاماتهم.

ولأن لاهوت البابا شنوده الثالث قائم على شخص المسيح الحى وطبيعته ، إنطلق يعلم عقيدة الكنيسة فى الكريستولوچى وهو ما جعله يفرد كتاباً عن «**طبيعة المسيح**» ، شارحاً أن السيد المسيح هو الإله الكلمة المتجسد له لاهوت كامل وناسوت كامل ، ولاهوته متحد بناسوته بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا تغيير ، إتحاداً كاملاً أقنومياً جوهرياً .

استخدم قداسة البابا الشواهد والآيات بغزارة لإثبات عقيدة الطبيعة الواحدة ، باعتبار أن الحق الإلهى دائماً مستور وراء الرمز والإستعارات بالكتاب المقدس ، وأن اللاهوت الصحيح يصلنا عن طريق الله وحده ، وأعظم وأسمى وسيلة لهذا هى الكتاب المقدس .

ونستطيع أن نقول أن طبيعة السيد المسيح ولاهوته هو قطب الدائرة فى لاهوت البابا شنوده النظرى ، فاستخدم تعبيرات الآباء الكبار كيرلس وأثناسيوس كقمم فى التعليم اللاهوتى على مستوى العالم كله ، «المشيئة الواحدة والفعل الواحد» وتمسك بحرم تعاليم أريوس ونسطور وأوطاخى ، وذكرنا بتشبيهات الآباء (إتحاد الحديد بالنار ، إتحاد النفس بالجسد) ، وبإصطلاحات البابا ديسقوروس والقديس أغسطينوس وعلماء اللاهوت القدامى والمحدثين ليبرهن على طبيعة الإتحاد الأقنومى ، وأنه بغير إختلاط ولا إمتزاج ولا إستحالة.

أكد فى كتابه عن الكريستولوچى «**طبيعة المسيح**» على أن كنيسة الاسكندرية لم تنكر الطبيعة اللاهوتية أو الناسوتية للسيد المسيح «طبيعة الكلمة المتجسد» متمسكاً برفض

القديس كيرلس السكندرى لبدعة إنفصال الطبيعتين ، هذا وقد إستعان غبطته بنصوص القداسات الإلهية والليتورچيات ليبرهن على الإتحاد الأقنومى «طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة» .

وفيما هو يقدم هذا التعليم حول طبيعة المسيح ، حسم الخلاف اللاهوتى الحادث بين الكنائس منذ مئات السنين ، وصحح نظرة العالم لإيمان كنيستنا ، فأعاد إليها مكانتها وريادتها اللاهوتية وأجاب على نقاط الخلاف وعلى الإستفسارات الدائرة بخصوصه .

ربط قداسة البابا فى لاهوتياته بين الكريستولوچى (طبيعة السيد المسيح) بالسوتيريولوچى (الخلاص) فيما يتعلق بالطبيعة الواحدة والآلام ، والطبيعة الواحدة وموضوع الكفارة والفداء ، معتبراً أن لاهوت الخلاص هو رأس ومركز ومبدأ الإيمان ، ويتكرر هذا المفهوم فى كتاباته عن لاهوت الخلاص .

وضع غبطته علمه اللاهوتى فى خدمة الخلاص والإيمان ، وعندما بدأت مفاهيم مغلوطة تنتشر حول عقيدة الخلاص فى بداية الستينيات ، قام قداسته بشرح هذا الموضوع اللاهوتى فى مؤتمرات وإجتماعات تعليمية ومحاضرات متخصصة ، وكتب مقالات عديدة فى مجلة الكرازة وقد وضع مصنفين لاهوتيين فى مجال اللاهوت السوتيريولوچى هما:

١) الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى **٢) بدعة الخلاص فى لحظة**

قدم فيهما العقيدة السليمة من جهة لاهوت الخلاص ، عندما تنبه لوجود مجموعات ضخمة من الشكوك تواجه الإيمان من الداخل ومن الخارج ، فبدأ مواجهتها كرأس للكنيسة وحامى للإيمان ووضعها لتدرس فى مدارس التربية الكنسية وفى الخدمات التعليمية للرد عليها ، حتى وقف زحف هذه التعاليم الغربية الغريبة .

إن الدين عند البابا ليس مجموعة فضائل لكنه عقيدة وإيمان ، فالخلاص وإن كان يتعلق بروحيات الإنسان ، إلا أنه عقيدة لها أساسها ، الأمر الذى جعل قداسة البابا يعمل بجهد خارق فى تعميق مفاهيم العقيدة عند أبنائه منذ بداية طفولتهم خلال مناهج اللجنة العليا للتربية الكنسية ، حتى إذا شبوا لا تتعبهم الشكوك والمحاربات الفكرية ، وبهذا حمى إيمان أجيال الكنيسة الناشئة .

أكد قداسة البابا على ضرورة تقديم الإيمان بأسلوب التسليم للأطفال وفى المراحل المتقدمة بأسلوب التفهيم ، وفى المراحل الأكثر تقدماً بأسلوب الجدل الإيجابى ومناقشة الآراء والشكوك ، فجاءت تعاليمه لتقدم فكراً خلاصياً متكاملاً شاملاً يشمل المنهجين معاً العقيدى والروحى ، الإيمان والفضيلة ، العقل والقلب ، الإنسان كله ، معتبراً أن الإهتمام بالإيمان والعقيدة لا ينسينا الحياة الروحية والسلوك المسيحى ، وفيما يدرس غبطته الإيمانيات لا يقدمها بطريقة عقلانية جافة بل بطريقة روحية وإنسانية ايضاً ربط بها بين اللاهوت والحياة فسد الفجوة بين اللاهوت النظرى وقضايا الإنسان فى كتابه «**من هو الإنسان؟**» وهو من أعظم الكتابات الأنثربولوجية اللاهوتية التى تحتاجها الكنيسة اليوم لتحقيق التناسق بين اللاهوت والإنسانية .

قدم بابا الكنيسة الـ ١١٧ إيمانها حول عقيدة الخلاص كما يظهر فى كتبها المعترف بها ، وكما يظهر فى أقوال آبائها وقوانينها وتقاليدها وصلواتها ، فأبرز خطورة إستخدام الآية الواحدة ، وأوضح مركز دم المسيح ومركز الإيمان والأعمال فى قضية الخلاص وشروط الخلاص بدم المسيح (الإيمان ، المعمودية ، الأسرار الكنسية ، الأعمال الصالحة) الجهاد والنعمة معاً والإيمان والأعمال معاً ، مبيناً لزومية الجهاد والأعمال للخلاص .

وضح قداسة البابا التعليم الأرثوذكسى من جهة أن الحياة الروحية هى شركة مع الروح القدس: الروح يعين والنعمة تعمل والإنسان يجاهد ، ورد قداسته على تركيز البروتستانتية على الجانب الإلهى وحده ، وإهمالهم للجانب البشرى تماماً ، فكانت ردوده وكتاباته اللاهوتية روحية إذ أن كل عقيدة هى متصلة بصميم الحياة الروحية .

ودحض أبونا البابا شنوده بدعة الخلاص فى لحظة ، فأثبت فاعلية المعمودية للذين ينكرون تعليم الكنيسة ويحاولون إلغاءها وهدم أسرارها وعقيدتها: كتب عن المعمودية والتوبة وضرورتها للخلاص وللمغفرة كجزء من الكتاب المقدس ومن أوامر السيد المسيح نفسه ، وجزء من قانون الإيمان الذى قررته الكنيسة الجامعة فى القرن الرابع الميلادى .

فند قداسته الأفكار الخلاصية الخاطئة ، فتحدث عن معمودية الماء ومعمودية الأطفال وعن التوبة وأهميتها للخلاص وكيف أنه لا يوجد لاهوتى واحد فى العالم يقول أنه يمكن أن يخلص إنسان بدون التوبة بينما الخلاص بمعناه السليم هو الخلاص

من الخطية وعقوبتها .

أوضح قداسته مفهوم التوبة فى المفهوم الأرثوذكسى للذين يحاولون أن ينسوها للناس سواء بعدم الحديث عنها أو بتقديم بدائل لها ، وبين قداسته كيف أن الحياة المسيحية حياة إيمان ونعمة وايضاً حياة سلوك وعمل ، وأوضح الأعمال ومركزها فى عقيدة الخلاص وكيف أن تعبير لحظة هو خطأ لاهوتى ولغوى ، إنما الخلاص هو قصة العمر كله: بالإيمان والتوبة والمعمودية والتناول والجهاد المستمر حتى نهاية زمن الغربة «إلى المنتهى» ولا يقف عند مراحل .

قدم قداسة البابا ردوداً تعليمية رد فيها على إعتراض «المغفرة بالدم وحده ، الخلاص قد تم ، قد خلصت ، المغفرة إلى الأبد ، المغفرة بالإيمان...» ورد ايضاً على الإتجاه البلموسى فى عدم صحة الإكتفاء بالإيمان وهل خلص العشار والابن الضال وزكا وسجان فيلبى واللص اليمين فى لحظة؟ .

استفاض قداسة البابا فى برهنة لاهوت السيد المسيح وفى شرح طبيعة السيد المسيح الكريستولوجية وركز بوجه خاص على العمل الخلاصى للمسيح المخلص وعلى لاهوت التدبير *Oikonomia* ، وهو أول لاهوتى معاصر جاهد مجاهدة النور مع الظلمة فى الحفاظ على الإيمان الأرثوذكسى وسط ظروف معاكسة كثيرة ، فصار معياراً للأرثوذكسية الحية ، عندما قدم لاهوتاً منهجياً ، وجد فيه الروح القدس من سيتنفس لحسابه .

وفى كتابيه «**الكهنوت**» و«**المطهر**» دافع عن لاهوت الروح القدس وعن عقيدة الإنبثاق ، ورد على بدعة الزواج بغير المؤمنين ، وخلاص غير المؤمنين ، وتبرئة اليهود من دم المسيح ، الحبلا بلادنس ، وكهنوت المرأة ، ورد على خرافة إنجيل برنابا وغيرها من الإنحرافات الإيمانية .

اهتم قداسته باللاهوت الدفاعى *Apologetic Theology* فجمع كل ما يواجه أعضاء الكنيسة من أفكار وتيارات سواء فى إجتماعاته مع الشعب أو فى إجتماعاته بالقادة والخدام ، حتى جعل تعليمه يتسم بسمة اللاهوت الشعبى ، واضعاً أمامه قول الآباء الرسل فى الدسقولية «امح الذنب بالتعليم» .

أما عن نصيحته لخدام الكلمة ، فقد أوصاهم بعدم السطحية فى التعليم والإهتمام بالإيمان ، ومضاعفة الإتجاه الدفاعى معتبراً أن لكل عصر أفكاره ودراساته التى تناسبه ، فلا يجوز أن يعيش الخدام فى غير جيلهم ، لا يشعرون بالحروب التى يتعرض لها أبناءهم، والشكوك الفكرية التى تهاجمهم .

ونسك البابا الراهب جعله أكثر حساسية فى فهم الأراء المنحرفة وأكثر غيرة فى الحفاظ على وديعة الإيمان كممارسة يومية ، عمدها بأصوامه وصلواته ودموعه ، وجاهد للدفاع عنها ، فانتصر المخلص فيه ، لحساب سلامة إيمان وتقليد الكنيسة وإستمراريته بدون تغيير أو تحوير .

استخدم البابا شنودة لغة قوية فى إيضاح اللاهوت المقارن بالبحث والشرح والتحليل وبالتمسك بما يتناسب مع روح الإنجيل والتقليد ، وهو لم يكن فى دفاعياته هذه كمستحدث بل كوارث للتقليد جوهر الإيمان العقيدى ، يفند الأفكار المغلوطة ويقدم التعليم السليم .

وفى كل مرة يلقى ضوءً جديداً من زاوية جديدة ليزيد العقيدة ترابطاً وإنسجاماً ، وليرسخها فى ذهن الكنيسة ، وهو يشعر دائماً نحو المستقبل بمسئولية إرساء الإيمان بكل دقائقه ، وكأنه ضرورة قد وضعت عليه ، فجاءت كتاباته وعظاته اللاهوتية تاجاً على رأس الكنيسة المعاصرة تشع على كل الأجيال لاهوتاً حياً يُفرح قلب المؤمنين ويحفظهم من الشطط .

وفى ملء الحرص بحث قداسة البابا فى الخلافات العقائدية وفى الأفكار الهرطوقية التى تريد أن تزحف إلى داخل الكنيسة ، وبدقة فى التعبير والتفسير حدد مجمل خلافاتنا مع البروتستانت ، وقدمها فى كتابه المرجعى «**اللاهوت المقارن**» والذى ضم زاد الأرثوذكسية (فاعلية المعمودية ولزومها للخلاص ـ أقدمية التقليد والتمسك بكل ما تركه الآباء الرسل وآباء الكنيسة الأولى والمجامع المقدسة والقوانين للنظم الكنسية من طقوس ونظم وتعليم شفاهى وسلطة الكنيسة فى التشريع ـ الشفاعة ـ إكرام القديسين ـ العذراء ودوام بتوليتها ـ الصوم ـ الحكم الألفى ـ المواهب والألسنة ـ التوبة كسر واعتراف ـ وساطة الكنيسة ـ الطقس الكنسى: الإتجاه إلى الشرق، إكرام الصليب، الأنوار والشموع، البخور ، الهيكل والمذبح ، الأيقونات) ويعتبر هذا الكتاب موسوعة فى اللاهوت السرائرى

العقيدى الكنسى والليتورجى ، سجل فيه قداسة البابا شرحاً ودفاعاً ، وسجل تاريخاً وتعليماً لاهوتياً بمداد قلمه الملهم وبفمه الذهبى النارى وبريشة روحه الخفاقة ، يكتب ما رآه وسمعه من فم الحكمة ذاتها التى أعطته تاج الفطنة ليبدد الشكوك المنحرفة .

لقد سجل البابا بتعليمه اللاهوتى أنه المُعين ليكون حارساً للعقيدة بكل قوته وليمنع عن الإيمان أى تحريف أو فساد... فغيطته كاتب لاهوتى متعلم من ملكوت السموات ، عزز كتاباته بالإجابات على التساؤلات والاستفسارات (سنوات مع أسئلة الناس) ، وأيدها بالآيات والنصوص الكتابية فجاءت منهجية عميقة دفاعية وجزلة .

ومن بين الكتابات الدفاعية لقداسة البابا كتاب «**الكهنوت**» الذى تضمن «إنكار الكهنوت ـ الكهنوت دعوة وإرسالية ـ وظائف الكهنوت وألقابه ـ الكهنوت وخدمة المذبح ـ الكهنوت وسلطان الحل والربط ـ الكهنوت خدمة» يسوق الإثباتات الكتابية ليدعم تعليمه اللاهوتى إنجيلياً ، والنصرة عنده فى العقيدة ليست نزاع ومنطق كلام بل إيمان وإنجيل وتقوى وسلوك ، لذلك دائماً يقول: نحن لا نقاوم شخصاً بل نقاوم فكراً .

إن الذين اتبعوا الأفكار المنحرفة صاروا أمام البابا شنوده كالعصافة التى تذريها الريح بعد أن حاصر قداسته التيارات البلموسية والخمسينية وقاوم شهود يهوه وبدعة الأدفنتست والسبتيين بردود حاضرة وفكر ثابت وواضح ، سرى فى الكنيسة كلها بوجه عام وفى كل ربوع مصر والمهجر .

دحض قداسة البابا بدعة المطهر والغفرانات ورئاسة القديس بطرس ، لينقذ التعليم اللاهوتى من الإنحراف ، ويعد الآن شرحاً لقانون الإيمان النيقاوى ، تلك الأمانة والوديعة التى يسلمها كما هى حافظة للممارسة التعليمية وللممارسة الطقسية العملية داخل الكنيسة... ليدوى صوت الكنيسة ومفهومها العام .

وسيبقى البابا شنوده الصخرة التى لم تقو عليها أبواب الجحيم ، يعيد مجد كنيسة الاسكندرية اللاهوتى كأم كنائس العالم وكمعلمة للمسكونة ، فحق أن يُقال عنه «أسقف الأساقفة» على حد تعبير القديس باسليوس الكبير ، وأن يُقال أن رأس كنيسة الاسكندرية هو رأس كنائس العالم على حد قول القديس اغريغوريوس النزينزى .

الفصل الثالث

البُعد التربوى

عند

البابا شنوده الثالث

البابا كمربى

على خطى الآباء الأولين

البُعد التربوى

إن كان بابا الاسكندرية الأنبا شنوده الثالث ومعظم المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة من خدام التربية الكنسية (مدارس الأحد) ، فالكل يشعر بالدين نحو الأستاذ حبيب جرجس الذى أنشأ مدارس الأحد فى كل القطر ، مؤمناً أن الإصلاح إنما يأتى بالعمل الإيجابى خلال التعليم والتربية الكنسية .

أنشأ المتنيح حبيب جرجس مدارس الأحد فى عام ١٩١٨م ، وحددت اللجنة العليا لمدارس الأحد هدفها الذى تركز فى خلق جيل محب للكتاب المقدس والحياة الكنسية والسلوك المسيحى بروح وطنى مع الإهتمام بدروس الدين المسيحى فى المدارس الأميرية... وتقدمت مدارس الأحد بسرعة فائقة فصار لها فى عام ١٩٣٥م: ٢٠ فرعاً فى القاهرة ، ١٨ فى الوجه البحرى ، ٤٤ فى الوجه القبلى ، ٣ فى السودان .

ابتدأ قداسة البابا شنودة (نظير جيد) يخدم فى مدارس الأحد وسنه ١٦ عاماً ، إذ بدأ خدمته عام ١٩٣٩م فى كنيسة العذراء بمهمشة (وقت أن كانت الإكليريكية بها) وخدم ايضاً فى كنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا ثم عين سكرتيراً للجنة الدائمة لمدارس الأحد ورئيس تحرير مجلتها لعدة سنوات ، واستمرت خدمته فيها خادماً ومدرساً بالكلية الإكليريكية وبمدرسة الرهبان بحلوان ، وعندما حاول أن يهرب من أن يكون أسقفاً اصطادته شباك النعمة المُحكمة وأتت به إلى قلب المدينة لتستمر خدمته كأسقف للتربية الكنسية فى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢م ، وفى الوقت الذى كان فيه بمغارته ببرية شيهيت اختارته العناية الإلهية ليكون أول أسقف للتربية الكنسية ، ليعد أجيالها وناشئيها ويصطادهم للرب ويقودهم إلى الغذاء الروحى ذى الرائحة العطرة ، يغمرهم بالمياه الحية وبالروح يقيمهم ويطعمهم ، إلى أن أقامه الله بابا وبطريركاً وراعياً أكبر لخدمة التربية الكنسية .

نشأ قداسة البابا ـ أدام الله لنا حياته ـ خادماً للتربية الكنسية منذ شبابه المبكر ، وتعتبر رحلة حياته إنما هى تتبع لمسيرة نستمع فيها إلى نبض النهضة التى شهدتها

خدمة مدارس الأحد ونلمس فاعلية هذا النبض التربوى الكنسى فى دفع الحياة إلى كل مجالات العمل الرعوى ، وربما إطلالة على الماضى ونظرة إلى الحاضر تجعلنا نقف على الثمار التى أثمرتها خدمة التربية الكنسية وما أعطته للكنيسة العامة فى كل مواقعها وقطاعاتها .

وحسناً قيل أنه إذا كانت التربية الكنسية هى عقل وقلب الكنيسة فإن البابا شنوده هو عقل وقلب هذه الخدمة ، هو فكرها ونبضها ، عرفته خادماً وعضواً فى لجنتها العليا وأول أسقف لها ، ثم بطريركاً للكرازة المرقسية ، وكأن التربية الكنسية قد جلست على الكرسى المرقسى الرسولى .

فمثلت التربية الكنسية فى عهد حبريته إتجاهاً فكرياً وتربوياً متميزاً ، أثرى الكنيسة كلها بالطاقات وجعل منها مدرسة شعبية قوية بنظامها ومناهجها وإنتشارها وأنشطتها وطاقاتها التربوية والبشرية ، وخير دليل على ذلك أن معظم من سامهم غبطته من مطارنة وأساقفة ورهبان وكهنة ومكرسين ومكرسات هم من ثمار مدارس الأحد .

ويقول أحد المؤرخين المحدثين: «إن نظير جيد من أكثر الشخصيات الهامة والمؤثرة فى تاريخ التربية الكنسية باعتباره أحد روادها المؤسسين الذين لعبوا دوراً هاماً فى تشكيلها وصياغتها ، وعندما صار أول أسقف لها قادها فى فترة تكوينية وتشكيلية ، افتقد فروعها وروى حقولها ، وفى كل مكان يلتف حوله الخدام والمخدومين ينهلوا من تعليمه وينتفعوا من خبرته التربوية ، ولما أعتلى كرسى مارمرقس الرسول ، انتشرت فروع التربية الكنسية فى مصر والمهجر لتعم أرجاء الكنيسة الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها ولتخدم كل القطعان وكل الشعوب» .

ويستكمل هذا المؤرخ الأبائى حديثه عن البابا شنوده كقائد للتربية الكنسية ، فيقول عنه «إنه مثل باقى أعظم شخصيات التاريخ: مثل بولس الرسول والبابا أثناسيوس والقديس باسيليوس ، يبدو وقد أضناه الجهد والنسك وأرهقته الأصوام والعمل ، ولكنه بهى الطلعة بعينين ثاقبتين ، نشاطه فذ وثاب سريع التحرك ، وكأن قوة خفية تحمله وتدفعه إلى الأمام ، له رؤية شجاعة وعميقة مؤازرة بالنعمة الإلهية» .

خدم نظير جيد فروع مدارس الأحد فى الكنائس والجمعيات ، وافتقد وهو أسقف

فروعها وإجتماعاتها وأسس الأسر الجامعية وعمل على تدعيمها ، يتجول فيما بينها يصنع خيراً ويعلم الشعب ، ووضع خطة تربوية فى عهد حبريته البابوية تستهدف بناء الكيان المسيحى ، والناظر إليه كخادم وكأسقف وكبطريرك يخال إليه أنه لا يمكن أن يكون إلا مربياً وأباً ومعلماً للمسكونة كلها .

فحول الكنيسة كلها إلى مدرسة للتربية الكنسية وصير التربية الكنسية مدرسة الكنيسة، ولم يجعل رسالتها رسالة إستاتيكية خاملة بل عمقها وثبت جذورها ، جاعلاً الكنيسة كلها وسطاً وبيئة تربوية ، على اعتبار أن التربية المسيحية ظاهرة إكليسيولوجية (كنسية) يتسلم فيها المخدوم إيمان الكنيسة الحى: صلواتها ، طقسها ، ممارساتها ، عقيدتها ، أسرارها ، وبهذا صارت مدارس التربية الكنسية مدرسة الكنيسة ، والكنيسة فيها هى الأم والمربية والمرضعة والحارسة لأولادها .

ركز قداسة البابا على النهوض بالتربية الكنسية خلال ثلاثة محاور:

المحور الأول: الخادم وسماته وروحانيته

المحور الثانى: المخدوم فى كل المراحل السنية

المحور الثالث: الخدمة وما يتعلق بالعملية التربوية من مناهج وطرق تدريس ووسائل تعليمية.

تلك المحاور الثلاثة التى تصنع منتجاً رائعاً هو الطفل والفتى والشاب المسيحى إن جاز أن نقول ذلك ، أى أنه من خلال إعداد الخادم كأشبين والإهتمام بالمخدوم كمسئولية والعناية بالخدمة كخدمة الرب نفسه ، يمكن بذلك نمو وتنشئة مسيحيين كاملين .

وبتركيز قداسة البابا على الثلاثة محاور السالفة الذكر يكون قد انتهج نهجاً تربوياً متكاملاً عملاً وعلماً بتنوع غنى فى المناهج التعليمية وطرق التربية المتدرجة والمتنوعة التى تتناسب مع القامات والنفسيات كل حسب سنه وإستجابته وإمكانياته وقدرته الشخصية على النمو ، فصارت مرعية فى إعداد الخادم وتكوين المخدوم وأنشطة ودروس الخدمة .

وبهذه المحاور يكون قد قدم مفهوماً تربوياً أوسع من مفهوم العلم لأنه تضمن بعداً جديداً ألا وهو البعد الروحى واللاهوتى ، فربط بين الإيمان والمعرفة كما كان القديس كلمنضس السكندرى والعلامة أوريجين والبابا أثناسيوس الرسولى متبعاً منهجهم الفكرى،

ليقدم معرفة عميقة ترقى فوق المعرفة العقلية والشعورية والعلمية ، معرفة إستعلان الحق عبر الإنجيل وعقيدة الكنيسة ، وفى الوقت عينه يضع التداريب والتطبيقات والأنشطة والأخلاقيات السلوكية لبناء الشخصيات الإنسانية (نقاط الضعف والبدائل ـ التدرج ـ المبادئ والقيم ـ تداريب على الهدوء) .

لقد إختارته العناية الإلهية ليكون أول أسقف للتربية الكنسية وليكون بطريركاً يقود خدمتها فى عصر تتغير ملامحه جذرياً بإيقاع سريع ، لذا يتابع غبطته واعياً بالفكر والروح والمراجعة المستمرة تطورات العصر الذى اتسم بالعلم وثورة الإتصالات والتداخل والمادية وإنحلال القيم والضغوط والحريات والأيديولوجيات الحديثة حريصاً على مسايرة هذه المتغيرات ومعالجتها سواء فى كتاباته وإجتماعاته مع الخدام ، أو فى مناهج وبرامج الخدمة وأنشطتها ، فأتت مشتملة على التربية الإنسانية والثقافية والنفسية والجنسية والروحية...

ويمكننا القول أن كتابات قداسة البابا جاءت فى معظمها كفكر تربوى مسيحى ، قدمه قداسته ليهيئ لله شعباً مستعداً ، واعياً بدوره كأب ومربى للكنيسة كلها ، بحسب ما جاء فى الدسقولية «هذا الأسقف أبوكم بعد الله ، ولدكم مرة أخرى بالماء والروح بالبنوة» ، وخلال أعمال قداسته نتفهم فكره الرعوى فيما يختص بالعمل التربوى الذى يعبر فيه بالكنيسة إلى بدايات القرن الواحد والعشرين ..

فكما كتب القديس كلمنضس السكندرى كتاب المربى *Paedagogas* الذى تضمن العمل التعليمى وغاية إصلاح النفس ومعالجة المشاكل اليومية ، وكما كتب القديس اغريغوريوس النزينزى والقديس أغسطينوس أحاديث وإرشادات موجهة إلى معلمى الموعظين ، وكما كتب القديس يوحنا ذهبى الفم عن تربية الأطفال يكشف أسلوب رعاية الأبناء وتربيتهم ، وكما كتب القديس چيروم رسالته إلى باولا بخصوص تربية ابنتها استوكيوم بأسلوب تربوى روحى عميق ومتوازن ، هكذا جاءت كتابات قداسة البابا كصدى شامل وجامع لتعاليم الكنيسة على نفس دروب الآباء .

ومن أهم الكتابات التربوية التى كتبها غبطة البابا شنوده:

١) الغيرة المقدسة
٢) التلمذة
٣) كيف نعامل الأطفال؟
٤) آيات للحفظ بالأبجدية
٥) مسابقات فى الكتاب المقدس
٦) كتاباته عن «الخدمة الروحية والخادم الروحى» (٣ أجزاء)
٧) ومن المنتظر أن يصدر كتابه الجديد عن «كيف نخدم؟»

قدم قداسته هذه الكتابات لخدام التربية الكنسية وللمربيين ولفصول إعداد الخدام سواء فيما يخصهم أو فيما يتعلق بالمخدومين .

وكباقى آباء الكنيسة الجامعة اعتبر البابا شنوده أن التربية المسيحية تربية مثل أية تربية تستخدم الطاقات والإمكانيات العقلية والفكرية ، فأستهدف فى كتاباته ومقالاته إنماء المعنى والدلالات للحياة وكيف تكون مثمرة مستمرة وممتدة .

استغل كل ما فى الشخصية من أنماط ليطوعها للخلاص الذى دبره لنا الآب قبل تأسيس العالم ، فتكلم عن القلب والفكر والضمير ، وأفاض فى أحاديثه عن الروح الإنسانية وعلاقتها بالروح القدس والإرادة وكيف تقوى وكيف تضعف .

أشار قداسة البابا فى منهجه التربوى إلى الإنسانيات (الأنثربولوچى) وإلى تهذيب التفاعل الإنسانى على اعتبار أن الإنسان نفس وجسد وروح ، وتناول طاقات الإنسان وغرائزه ، وتوجيه الطاقات والغرائز والمواهب ، وقيادة حياة الإنسان بالعقل والتقاليد والإرشاد والضمير والعواطف والمعرفة والقيادة الإلهية ، تلك المفاهيم التى أثرت خدمة التربية الكنسية وهى تستقبل الألفية الثالثة من العالم .

أكد قداسته على المنظور المسيحى الأرثوذكسى بأن البشر كيانات نفسجسدانية أى نفس وجسد معاً ، على اعتبار أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا فى بعد واحد للواقع ، فعلم قداسته تعليماً يختص بنظرة المسيحية للجسد والعوامل المؤثرة فى ضمير الإنسان ، وأبرز أهمية القلب كمصدر للمشاعر وعلاقته بالفكر والإرادة واللسان والحياة مع الله وصفات

القلب الروحية ، وتناول قداسته موضوع التدرج فى الوصايا من غير تساهل ، وأوصى الخدام بعدم إقتحام النفوس وربحها بحكمة، معتبراً أن الناس جياع إلى العطف والحنان، جياع إلى المديح والتشجيع ، فأهتم دائماً بتشجيع الصغير وتقدير الكبير ومدح الممتاز...

أهتم قداسة البابا بعلم النفس النمائى وتطبيقاته فى مجالات التربية والتعليم المسيحى خلال الحوار والتوجيه والإرشاد والتعليم والأنشطة والعبادة ، كما أعطى إهتماماً خاصاً بتهديف الحياة «لكل كائن رسالة وعمل» مؤكداً على الرسالة والقيمة والمواهب والوزنات والقدرات وعلى أهمية الأنشطة والتداريب .

ربط قداسته كمربى ومعلم بين النمو الروحى والنمو التربوى ، فقدم تعليماً تربوياً متنوعاً ومتدرجاً لبراعم الكنيسة ووضع مناهج متنامية (ابتدائى ، إعدادى ، وثانوى) موضحاً الأسس التى بنيت عليها ، كما وشرح قداسته كيفية تدريس العقائد على مستوى كل مرحلة ، آخذاً فى الاعتبار أسلوب النمو التدريجى ومبدأ تعليم الفرد .

صاغ البابا شنودة منظومة تربوية تتضمن طرقاً تعليمية تشتمل تارة على التعليم اللفظى من وعظ وحوار وإرشاد ونصح وتوبيخ وتأديب ، وتارة أخرى استعمل التشبيهات والأمثال الرمزية ، إلى جوار الوسائل التعليمية غير اللفظية من قدوة صامتة وتطبيقات عملية .

تلك المنظومة التى أخذ فيها غبطته بأسباب العلم وبالأساليب التربوية فى التنشئة ، فعرف جيداً طاقات وقصور الطبيعة البشرية وأدرك إمكانياتها وحدودها فإنتهج نهجاً تعليمياً مناسباً لعصره ولجيله ، يجعل التربية الكنسية تقوم بدورها كأشبين للأجيال الناشئة تعلمهم وتسلمهم الإيمانيات قبالة التأثيرات المعاكسة ، وتقوم بدورها فى التوعية والتنبيه إلى السم المقدم لهم وحمايتهم بالعمل الإيجابى البنّاء وبتنمية الحنطة .

لم ينس أبونا البابا أن الإنسان كيان متنوع للغاية له عديد من العادات كما يقول القديس اغريغوريوس النزينزى ، لذا استخدم غبطته المنهج المتفرد فى التعليم ، وإنعكس ذلك على إحترامه للفروق الفردية واضعاً فى اعتباره مجمل الشخص المتلقى ، لذا حرص على:

١) إختيار الموضوعات ٢) إختيار الكلمات ٣) التبسيط فى التدريس

اعتبر قداسته أن التربية طب روحى يحتاج إلى معرفة وخبرة ، لتقديم خدمة تناسب عدداً غير محدود من الأنماط البشرية ، يقدر دائماً ويحترم المناهج وتنوع العطايا إيماناً منه بأن الروح واحد ، فقدم العقيدة بأسلوب يتناسب مع كل المراحل السنية فلا يمكن التعامل مع جميع التلاميذ بنفس الطريقة ، وغبطته يعتبر أن ابتدائى سن التسليم وإعدادى سن التفهيم وشرح الإيجابيات وثانوى سن التدعيم والحوار والجدال .

وقد راعى قداسته فى عظاته ومحاضراته للخدام تنوع وإختلاف النفوس ، لذا أعطى تعليماً وإرشاداً متنوعاً فالبعض تقودهم العقيدة والبعض ينفعهم التعليم البسيط والبعض التشجيع والآخر التوبيخ ، مستخدماً أسلوب السيد المسيح مربى الإنسانية كلها .

وشجع قداسته تنشيط مجالات التربية الكنسية من مؤتمرات وبرامج ولقاءات تدريبية وجوائز وكتب وتسلية ومطبوعات وبحوث ودراسات وخلوات ومعسكرات وإحتفالات ومهرجانات ووسائل إيضاح إيماناً منه بتنوع النفوس كما أكد القديس إيسيذروس الفرمى (القرن الخامس) فى قوله: «لا يسر الناس جميعهم بنفس الأمور ولا يشفون جميعهم بنفس الأدوية» .

تميز عهد حبريته بتنوع الأنشطة التربوية من معارض ، ومسابقات ، ومسرح قبطى ، وفرق الكورال ، والأعمال الفنية ، والمكتبات ، والندوات ، والمحاضرات... تلك الأنشطة التى لاقت تشجيع قداسته وتشريفه شخصياً لها ، مما أحدث قفزة جبارة فى العمل التربوى الكنسى .

نهض قداسته عملياً بخدمة الوسائل السمعية والبصرية إنطلاقاً من مسايرة الثورة الإعلامية ، التى لا تستطيع الكنيسة أن تتجاهلها وأن تقف حيالها مكتوفة الأيدى ، لذا أصبح واجباً على الكنيسة أن تقدم التسلية للناس بطريقة روحية بحسب فكر قداسته ، فنجد إنتشاراً واسعاً فى إستخدام أفلام الفيديو وإنتاجها ، وكذلك الألواح الوبرية والوسائل الإيضاحية وألات السينما والتصوير والفانوس السحرى وأجهزة الكمبيوتر والتسجيلات .

كما شهدت الكنيسة إنتشاراً واسعاً فى المطبوعات (النبذات والكتب الصغيرة والكتب المرجعية) وفى الوسائل السمعية (الإنجيل المسموع ، والكاسيت: عظات ـ ترانيم ـ ألحان) وفى الوسائل المرئية والفيديو ، وفى مجال المجلات (الكرازة ، رسالة الشباب

الكنسى ، القرى المجاورة ، أغابى ، المحبة ، رسالة الكنيسة ، صوت الراعى ، اللوغس..) فضلاً عن المجلات التى تصدر بلغات عديدة لخدمة المهجر .

أفسح قداسته مجلة الكرازة للمسابقات وللتسلية ، وخصص بها صفحة للأطفال كما خصص بها صفحة تربوية خاصة بالتربية الكنسية... لقد احترم كمفكر ومربى قبطى دور العقل كما قال القديس أغسطينوس «العقل يسبق الإيمان والإيمان يسبق العقل ، وأنا أؤمن لكى أتعقل» وقد صار مفهوم غبطته عن الإنسان وإحترامه للعقل منعكساً على أسلوبه فى التربية .

فقام قداسته بتدريس فصول إعداد الخدام بنفسه ، واهتم بلقاءات الخدام التى توحد الفكر اللاهوتى الكنسى فى صفوف الخدمة ، وتزود الخدام بمعلومات جديدة وبمناهج جديدة منشطة *Refreshing Courses* كفرص للتعليم والتعارف والإستماع... هذا وقد اهتم بالوعاظ والمتكلمين والمحاضرين ولكل من يقوم بعمل المنبر فى الكنائس والجمعيات لأجل تحقيق الأمانة فى: الإهتمام بكل أحد وفى معرفة المخدومين وفى الإفتقاد وفى تحضير الدروس وفى التفهيم والتحفيظ وفى الإلتزام بالمواعيد وفى الصلاة لأجل المخدومين وفى الأمانة فى الحياة الروحية ، وتناول ايضاً مقاييس النجاح والفشل فى الخدمة وإغراء العدد والجوائز فى مدارس الأحد .

وكما أعدت الكنيسة أولادها للإستشهاد (الحث على الإستشهاد) ولمواجهة الإضطهاد ، هكذا تعد التربية الكنسية أبناء هذا الجيل إعداداً روحياً وكنسياً ، من خلال المناهج الموحدة التى تضعها اللجنة العليا للتربية الكنسية(*) بإشراف ورئاسة قداسة البابا فيكون للكنيسة بذلك فكر واحد ولا تتحول إلى مدارس فى التعليم ، ولم يكتف غبطته بوضع منهج عام لكنه أوجد كتب منهجية لمساعدة الخادم فى تحضير الدروس ، مع التركيز عل المنهج العقيدى المتكامل والسليم .

إن قداسته بوضعه لمناهج اللجنة العليا للتربية الكنسية أعاد مجد مدارس الموعوظين ، لما تضمنته من عناصر الإيمان المسيحى وشروحات وقصص الكتاب والتعليم الخاص

(*) لقد شرفنى قداسة البابا ـ أطال الله حياته ـ بعضوية اللجنة العليا للتربية الكنسية منذ عام ١٩٩٢م ، فليحفظه الرب مربياً ومعلماً وقاضياً للمسكونة .

بالعقيدة ، تلك الدروس التى يتلقنها المخدومين فى رواق الكنيسة ويعلمها لهم الشمامسة خدام الكلمة فى مدرسة التربية الكنسية المفتوحة لكل عضو وفى كل المراحل السنية ومن أى طبقة إجتماعية ومن أى جنس أو سن .

وعلى أية حال ، لم تكن فصول التربية الكنسية خلال الخمس والعشرين عاماً من بطريركية قداسة البابا شنودة قاصرة عل مكان أو زمان أو مرحلة بعينها ، فصارت بذلك عملية تعليمية وتربوية تستمر طوال الحياة من عمق إلى عمقٍ أكثر ، وتلتحم بمرحلة الشباب والأسر الجامعية وإجتماعات الخريجين ، تلك الفئات التى اهتم بها قداسته فإستحدث لها أسقفية الشباب وأقام نيافة الأنبا موسى أسقفاً للشباب للإهتمام بهم وخدمتهم سواء بالداخل أو فى المهجر .

ويقول القديس كلمنضس السكندرى أن التربية السليمة تقود إلى السماء ، وقداسة البابا جدد وأحيا ذلك المفهوم ، فأتسم تعليمه للشباب بإقتران التوجيه النظرى بالتطبيق العملى معبراً عن روح الآداب المسيحية ، لذا علم كأب وكمعلم كنسى لتوجيه الشباب وتشجيع لفئات الساقطين واليائسين والخائفين وتقوية معنوياتهم معلماً عن هدوء النفس والقلب والفكر والحواس والحركات والأعصاب والكلام والتصرف والطبع ، كرائد فى سيكولوجية العمق .

نبه الآباء الأولين إلى أن مهمة التربية صعبة للغاية وأنها تتطلب دوماً وقتاً زائداً وتدرجاً ورفقاً ، ونبهوا إلى أن التربية تأتى بنتائج أفضل عندما تتم فى السنوات الأولى من حياة الطفل ، لذا يوصى القديس باسيليوس بتربية الأطفال فى سن صغير عندما تكون طبيعة الطفل طيعة للغاية وسهلة التشكيل ، وكذا كتب القديس يوحنا ذهبى الفم عن الطريقة الصحيحة للوالدين فى تربية أطفالهم ، وجاء إهتمام أبينا البابا شنودة متماثلاً مع رؤية معلمى البيعة الأولين ، فوضع قداسته مبادئ وأهداف تربوية فى تربية الأطفال وتهذيبهم وقادنا بها إلى نظرة أكثر جدية فى تربية الأطفال وفى معاملة الطفل المشاكس (كيف نعامل الأطفال؟) .

إن القديس كلمنضس الرومانى (٩٦م) كان أول من استخدم تعبير «التربية المسيحية» ، وبعد ألف سنة ، جاء البابا شنودة ليحمل نفس الروح والفكر الرسولى معتبراً

أن المسيح إلهنا هو المعلم الصالح ، والجميع متعلمون منه ، واعتبر قداسته أن المدرس الذى يعلم فى مدارس التربية الكنسية إن كان فارغاً من الداخل خالياً من ثمار الروح يصلح أن يكون مدرساً ولا يصلح أن يكون مربياً .

وقدم لنا قداسته وصفاً دقيقاً للتربية المسيحية ولما ينبغى أن يُتبع فى كيفية التعامل مع الطفل وصار تعليمه بضرورة ترتيل المزامير صدى لتعليم الآباء يوسابيوس القيصرى وقبله يوستين الشهيد ، وكذا إستمراراً لنصيحة ذهبى الفم بسرد القصص الكتابية للأطفال كوسيلة تربوية فعالة ، قام غبطته بصياغتها وبتتميمها فى مناهج مقننة وفى برامج عملية.

وبالجملة علم قداسة البابا شنودة تعليماً قدم فيه روحانية التربية المسيحية فيما يتعلق بالخادم والمخدومين والخدمة ، فتحدث عن الخدمة الروحية ومركز الله فيها ومقاييس نجاحها وأهميتها ومجالاتها وقوتها ونموها والتعب فيها ، وتحدث عن رابح النفوس وعن العمل الفردى وعن الدموع والجدية فى الخدمة .

إن قداسته مستعد ومشتاق إلى نمو خدمة التربية الكنسية (خدام ومخدومين) تواقاً إلى العمل بإجتهاد كأب ومربى وكوصى صالح على منفعة أولاده الذين هم أبناء الملك، يضطلع بمسئوليته التربوية كبابا للكنيسة كلها ، فأنطبق عليه ما جاء فى سيرة القديس ألكسندروس البابا الـ ١٩ «**صار مربياً ومعلماً لكل أحد**» ، وهو فيما يقدم هذه الخدمة يرتل فى قلبه للرب قائلاً: «وأما شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف وربوات ربوات يصنعون مشيئتك» .

الفصل الرابع

البُعد الوطنى

عند

البابا شنوده الثالث

البابا الوطنى

على خطى الآباء الأولين

البُعد الوطنى

الإنتماء والمواطنة سمة أصيلة فى تاريخ مسيحية القرون الأولى ، فقدم آباء الكنيسة صورة وصفحة من صفحات وصور الوطنية ، معتبرين أن المحاماة عن الإيمان تتساوى مع المحاماة عن الأوطان ، والاثنين إنما أرتويا من ينبوع واحد مشترك هو التعليم الكنسى .

رسم الآباء خطاً تعليمياً لا يُمحى فى إرساء قواعد التعامل مع الدولة ، واعتبر الآباء أن الكنيسة هى الأساس الذى ينمى المثل العليا ، وأنها ذخيرة من الهدوء والسلام والأمان ، وأن المسيحيين يتممون كل واجباتهم الوطنية على الوجه الأكمل ويتحملون كل الأعباء بصبر ويطيعون القوانين المشترعة ، يحبون كل الناس حتى ولو كان هؤلاء الناس يضطهدونهم أو يتنكرون لهم أو يذمونهم ، والخلاصة: أنه كمثل الروح بالنسبة للجسد، كذلك المسيحيون منتشرون فى كل مدن العالم ، بيد أنهم هم الذين يصونون العالم بصلواتهم... (بحسب الرسالة إلى ديوجنيتس) .

ومنذ أن جلس قداسة البابا على الكرسى البابوى وهو يقود دفة الكنيسة فى نفس مسارها الآبائى ، فإذا كانت الحقيقة أن علم الآباء هو علم حياة الآباء ، لأنهم كانوا يعيشون ما يقولون ويقولون ما يحيون به ، فإن أبينا البابا شنوده علم وعمل وفعل بحس وطنى أبائى ، ولأن الوطنية عنده ليست أقوال.. إنما هى أفعال وحياة ، نجده يزور المقاتلين فى الجبهة أثناء حرب أكتوبر ، ويزور المرضى والجرحى من الجنود مصلياً لهم ولمصر فى الحرب والسلام كترمومتر للحركة الوطنية بعد أن دافع عن الوطن عندما كان ضابطاً فى القوات المسلحة .

قدم قداسة البابا شنودة نفسه مثلاً للوطنية الصادقة ولمحبة التراب الوطنى ، وفى كل جولات ورحلات غبطته يعلى اسم مصر عالياً بالأحاديث الوطنية التى فاه بها كسفير فوق العادة لمصر ، وهو يقول عنها دائماً:

لا يوجد بلد زارته العائلة المقدسة والآباء والأنبياء إلا مصر ، إنها بلد محبوب أتى إليها ابراهيم أبو الآباء ، وكذلك يعقوب أبو الأسباط قدم إليها هرباً من المجاعات فى زمانهم

ووجدوا فى مصر خير مضيف مملوء بالحب والخير..... وايضاً موسى النبى وُلد فى مصر وكُتب عنه فى سفر أعمال الرسل أنه «تهذب بكل حكمة المصريين» .

وفى هذا ينوه قداسته عن حضارة مصر التى بدأت منذ حوالى ٦٠٠٠ سنة تقريباً ، ويؤكد قداسته قائلاً: «مبارك شعبى مصر» ويعقب قائلاً «ادعوكم لزيارة مصر لكى تشربوا من نيلها الذى شرب منه السيد المسيح ، وتستمتعوا بجمال مصر وأثارها القديمة» .

وبينما هو عاشق لمصر يفتخر بها فى كل المحافل الدولية يقدم الكنيسة القبطية الوطنية التى يتباهى بها أمام العالم كله ، تلك الكنيسة التى ظهر فيها الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان والقديس باخوميوس مؤسس الرهبنة الديرية وأول من وضع قوانينها ، والقديس بولا أول السواح والبابا أثناسيوس الرسولى واضع قانون الإيمان فى مجمع نيقية المسكونى المقدس ، والقديس كيرلس عمود الدين رئيس المجمع المسكونى المقدس فى أفسس والقديس ديديموس الضرير أول من اخترع طريقة للكتابة بالبارز... ويقول قداسته ايضاً: «لو وجد قديسون كهؤلاء فى كنيسة لما وسعتها الدنيا» .

وقداسته خير منْ يمثل معالم الشخصية الوطنية فى خصوصيتها المسيحية ، تلك المعالم التى جعلته يقدم مصر الوطن والكنيسة ، فجاءت أحاديثه أمام العالم الخارجى معبرة عن روحه القبطية وفكره الأرثوذكسى وحسه الوطنى الأصيل .

درس قداسته حضارة مصر بإستفاضة وتخصص فى تاريخها ، ، لذا عظاته وخبراته فى الحياة وكلمات المنفعة التى فاه بها جاءت مرآة معبرة عن الإتحاد بين الإنجيل والثقافة المصرية فى معالجة الموضوعات المعاصرة والتى تمس قضايا وطنية وإجتماعية ، فإنشغل كبابا للأقباط بوضع الأقباط فى التعديلات الدستورية وبمكانة مصر العالمية ، حريصاً على الحفاظ على إنتماء أولاده الأقباط المهاجرين لبلادهم وكنيستهم وتراثهم القبطى الثمين .

أكد علاقة الكنيسة بالتراث الفكرى السائد ، بتقديمه نموذجاً للخطاب المسيحى فى أحاديثه عن: «لا للعنف ونعم للسلام» فى يوم السلام العالمى ، وفى حضوره مؤتمر القوى الوطنية وفى الحوار الإسلامى المسيحى ، وفى محاضراته بمعهد العالم العربى بباريس ، وايضاً كلامه عن ما هو الخير ، الإنسان الخير ، أنصاف الحقائق ، القلب

الكبير ، القلب الحنون ، إقتصاديات الأسرة ، جحيم الرغبات ، كيف نحب الناس ، القلب المطمئن ، الإيمان العملى ، تلك المحاضرات التى نشرت فى جريدة الجمهورية ، الصحيفة القومية.

هذا النموذج الوطنى كان أحد سمات منهجه الرعوى الذى أنشأ به جسراً للحوار مع ثقافة القرن العشرين ، وهو بحق يمثل الفيلسوف المسيحى الذى يريد أن يقدم الحق فى إتساعه الكونى ويرى الكون على حقيقته .

قدم قداسة البابا مثالاً رعوياً بحواره الهادى العلمى والعميق والذى تضمن احياناً حوارات ودفاعات الآباء الأولين ، كشاهد على العصر يشرح السر الإلهى لعقل القرن العشرين ويقدم حلولاً للتصورات والمشكلات المطروحة ، فيصير إهتمام وفكر الناس فى يد قداسته كما كان فى يد الآباء الأولين كوسيلة رعوية .

ينادى دائماً بمبادئ الحب والخير والسلام والتعايش المشترك والعطاء ويحث على احترام القوانين والتشريعات الوضعية والإلتزام بالسلوك الإجتماعى العام والخضوع للسلطات وتقديم الإكرام لمن له الإكرام ودائماً يشجع أولاده على المشاركة الوطنية والإجتماعية والسياسية والعمل لصالح بناء الوطن كله وضرورة قيد أسمائهم فى جداول الإنتخابات والمشاركة فيها .

أحب قداسة البابا مصر فكلما اقترب من النيل اشتاق إلى الصحراء ، وإذا ذهب إلى البرية اشتاق إلى النيل ، حتى أن بعض السياسيين لقبوه بـ «عاشق لمصر» ، بضميره وحسه الوطنى يعمر الصحراء ليس فقط بإعتبار الرهبنة القبطية ظاهرة روحية ولكن كظاهرة مصرية حضارية... ينشغل دائماً بتدعيم روابط الأخاء الدينى وتوطيد علاقات المحبة بين المسلمين والمسيحيين فصارت له علاقاته المتميزة بأئمة المسلمين: فضيلة الداعية الإسلامى الشيخ متولى الشعروای ، والشيخ جاد الحق والشيخ محمد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر ، وغبطته هو الذى أرسى عمل المائدة الرمضانية والتى صارت نموذجاً لمصر كلها وصورة لها متجمعة ومرسومة بيده وحاضرة فى الكاتدرائية بالعباسية فضلاً عن الزيارات المتبادلة بين قداسته وكبار مشايخ الأزهر والأوقاف ودار الإفتاء والدعاة.

جاءت تعاليمه وأعماله مناخ تعليمى وعملى فائق الوطنية تطهر العقول من التعصب وتزرع فى القلوب المحبة والمواطنة بإعتبارها مشيئة إلهية ، واستمر غبطته فى الخط الفكرى للآباء يصلى من أجل الرؤساء ومن أجل رفاهية العالم لكى يسود السلام فى العالم ـ كما كتب العلامة ترتليان الأفريقى ـ والسلام فى مصر وفى الشرق الأوسط وفى منطقة الخليج ومن أجل السلام بين البيض والسود والسلام فى كل مناطق العالم المتنازعة والمتخاصمة والمتحاربة .

ومن بين إهتمامات قداسته الوطنية والإجتماعية تشجيعه للأعمال التنموية وتعليم الكفاءات المهنية ومحو الأمية ، والتحمت عنده عطايا الله بحضارة ولغة وثقافة العصر فأتت محاضراته ولقاءاته فى معرض القاهرة الدولى للكتاب تنويرية وقوية شهادة للعلم بالروح والحق وبدء حوار إنسانى ناضج تتسع به الروئ وتنمو .

أبرز دور الكنيسة القبطية الوطنى المتأصل فى علاقته المتميزة بمؤسسات الدولة والوزارات والحكومات والأحزاب والمجالس النيابية ودار الإفتاء والأزهر الشريف والنقابات والجمعيات وأعضاء الأندية (الروتارى ، رجال الأعمال....) .

فضلاً عن حضوره ورئاسته صلاة الشكر مع الرئيس السادات فى تسليم العريش المحتلة عام ١٩٧٩م وحضوره ندوة حماية المقدسات التى دعت إليها اللجنة الثقافية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومشاركته فى الإحتفال الوطنى الكبير الذى رفع فيه علم مصر على منطقة طابا ، وكذا حضور غبطته للحفل الذى أقيم لتكريم أبطال مصر فى حرب أكتوبر والذى حضره الرئيس حسنى مبارك رئيس الجمهورية ، وحضوره مؤتمر الطفولة ومشاركته للبلاد فى المناسبات القومية (أعياد الثورة ، وأعياد نصر أكتوبر) وفى حفل إستقبال السيد الرئيس بعد نجاته من محاولة الإغتيال الأثيمة الفاشلة .

وقداسة البابا شنودة شخصية ليست محلية ولا إقليمية فقط بل عالمية ، استوعب حضارة مصر ولم يكن هناك أحد يفرق بين إمكانياته العلمية والثقافية وإمكانيات مفكرى هذا الجيل ، كلاهوتى ابن عصره مهتم بالقضايا العالمية يرفع شعار الصلاة من أجل لبنان ورجوع السلام فيها ودعا إلى وقف الدم والخراب ، وإهتم بضحايا المجاعة فى السودان وتقديم العون لهم ، وكذلك ساند قضية دولة الكويت فى أزمتها والعمل على

راحة العائدين منها من المصريين ، واستقبل أعضاء اللجنة المصرية لمناصرة شعب البوسنة والهرسك واستقبل ايضاً أعضاء من جنسيات وديانات متعددة وناقشوا مع غبطته موضوع السلام بصفة عامة وما يمكن عمله لأجلها ، وحديث غبطته لوفد المؤتمر الكنسى الأمريكى عن السلام فى الشرق الأوسط ومصر ، ومناداته بالسلام والعدل والحقوق الإنسانية لتعيش كل الشعوب فى سلام ومحبة كرجل دين .

ومن أهم القضايا التى تبناها غبطة البابا شنودة موقفه من قضية الشعب الفلسطينى وتشديده على ضرورة أن يعود الحق إلى الشعب المضطهد ، وقراره بعدم زيارة القدس إلا بعد تسوية القضية الفلسطينية وهو موقف قامت فيه الكنيسة بدورها فى الشهادة للحق على مستوى الأحداث القومية وكسبت به رصيداً قومياً ووطنياً ومشاركاً لبقية شرائح الشعب المصرى والعربى .

وبالإندماج الواعى لقداسة البابا مع المجتمع شهد للسلام والعدالة فى حديثه عن القدس ومحاضرته عنها بالنسبة إلى اليهودية والمسيحية فى قاعة الجمعية المصرية للإقتصاد السياسى والتشريعى فى ١٤ أبريل ١٩٧٨م ، وايضاً فى كلمته التى ألقاها فى مؤتمر «من أجلك يا قدس» فى أبو ظبى بإمارات الخليج ، وايضاً فى ذهابه إلى لبنان فى ندوة «مسلمون ومسيحيون لأجل القدس» عندما إلتقى هناك بكبار رجال الدين الإسلامى فى عمل مشترك لأجل القدس وقضية فلسطين والأراضى المقدسة وزيارته أضرحة ضحايا الإعتداء الإسرائيلى فى قانا .

هذه المواقف العربية الوطنية جعلته كما قيل ليس بابا للكنيسة المصرية فقط بل لكل العرب ، يمثل بفكره وحياته وعمله صفحة ناصعة من تاريخ الفكر البشرى ، صاغ منظومته الفكرية فى عطائه للبلد وللكنيسة ، لكى إذا نظر الناس إلى إتضاع ووداعة عبيد المسيح يمتدحون أسلوب الحياة الإنجيلية (بحسب قول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان) ، واستنهض قداسة البابا إيجابية المواطنة عند أولاده فى الدفاع عن الوطن ومحبته ومحبة المواطنين والمشاركة الفعالة فى بنائه... وهو صاحب القول المأثور:

«مصر ليست وطن نعيش فيه بل وطن يعيش فينا» .

الفصل الخامس

البُعد الإجتماعى عند

البابا شنوده الثالث

البابا كرائد للعمل الإجتماعى على خطى الآباء الأولين

البُعد الإجتماعى

صارت مهمة الكنيسة عبر الأجيال أن توزع على كل أحد «كما يكون له إحتياج» (أع٤ :٣٣) وأن تنفذ وصية المسيح عملياً «اعطوهم أنتم ليأكلوا لئلا يخوروا فى الطريق» (لو٩ :١٣) لذا شكلت فضيلة المحبة وأعمال الرحمة والشركة أساس الأخلاقيات والسلوكيات المسيحية ، بما فيها نظرة المسيحى إلى الفقر والفقراء والمساكين ، وتزخر تعاليم المسيح له المجد وشروحات آباء الكنيسة وسير تاريخها بهذه الإتجاهات والنظرات التى تجسد هذه الحقيقة .

أكد آباء الكنيسة الأولى على تسمية الفقراء بالقديسين واعتبروا أنهم أحق بهذا الاسم من أى أحد ، لذا حرصوا على الاهتمام بشركة إحتياجات القديسين ، معتبرين أنهم أهل المسيح الخصوصيين وأنهم كنوز الكنيسة المحسنون لنفوسنا ، كرامتهم من كرامته وجوعهم من جوعه وعطشهم من عطشه وعريهم من عريه... فمن ذا الذى لا يتبارى ويطعم الرب ويسقيه ويلبسه ويكرمه...

عدد هرماس فى كتابه «الراعى» فضائل الخدمة الإجتماعية المسيحية ، وذكرها القديس كبريانوس والعلامة لاكتانتيوس وايضاً القديس أغسطينوس أورد قائمة بأعمال الخير وهى: مساعدة الأرامل والأيتام والفقراء والمحافظة على الإخوة والصدقة ودفن الموتى وحل قيود الشر وفك عقد النير ومساندة الضعفاء والمظلومين ومصالحة المتنازعين وإعطاء المشورة الطيبة ، ويتحدث ايضاً العلامة ترتليان عن إهتمام الكنيسة بدفن الموتى الفقراء وتسديد تكاليف دفنهم ، وجاء ايضاً فى كتابات الديداكية وكتابات القديس كبريانوس عن ضيافة الغرباء والمسافرين وتحدث يوسابيوس القيصرى عن نشاط كنيسة رومة فى إضافة الغرباء .

ويوصى القديس اغريغوريوس النزينزى بأعمال الخدمة الإجتماعية فيوردها فى إحدى عظاته: «يجب أن ننفتح بكل كياننا على الفقراء وعلى جميع البؤساء مهماكانت أنواع معاناتهم ؛ الأرامل ؛ الأيتام ؛ ومن اصيبوا بخسائر مالية أو حوادث» .

وصارت الكنيسة القبطية حارسة لهذه الخدمات الممدوحة التى تفرح قلب الله ، وقد تركز عطاء قداسة البابا شنوده فى مجال الخدمة الإجتماعية فى محورين:

١) الفكر الكنسى للعمل الإجتماعى وما قدمه غبطته من مفاهيم وتعاليم ورؤى للقضايا الإجتماعية وفقاً للواقع الإجتماعى لكنيسة القرن العشرين .

٢) الأعمال التى تقوم بها الكنيسة فى مجالات الخدمة الإجتماعية (رعاية الأرامل والأيتام والمحتاجين والمرضى والمساجين والمعاقين والمدمنين والحالات الخاصة) وما شهدته من تنظيمات ولجان وتدابير ومؤسسات وإهتمامات رعوية خلال الربع قرن الماضية منذ أن جلس غبطة البابا على السدة المرقسية .

ويكشف المحور الأول عن روح وفكر قداسة البابا الإجتماعى من خلال كتاباته ومحاضراته وعظاته (التنظير) ، أما المحور الثانى فهو الخدمات العملية التى تبلورت فى أعمال حية وبرنامج إجتماعى روحى للمؤمنين فى هذا الجيل (الممارسة) .

وبهذا يكون قداسة البابا شنوده «علم وعمل» كما قال الإنجيل المقدس ، جمع بين الفكر الإجتماعى المسيحى (التنظير) وبين الخدمة الإجتماعية المسيحية (الممارسة) ، وعلى كل حال لا يمكننا ابداً أن نفصل بين الفكر الذى علمه وأسسه غبطته وبين المبادئ والتدابير الرعوية التى أرساها وثبتها ، فصارت معاشة وواقعية فى عصرنا الحالى وأتت بأشهى الثمار من حيث التفاعل الإيجابى والإرتباط العضوى بين الفكر والعمل .

والخط العام عند قداسة البابا لا ينفصل أبداً عن روح ونمط حياة الآباء الأولين فى مجال الخدمة الإجتماعية المسيحية واستمرار تنظيم التوزيع وحفظ توازن الأعضاء فى الشركة الواحدة ، هذا وقد أدرك البابا شنوده واقعه الإجتماعى فأهتم بالخدمات التى تناسب عصر حبريته وقدم إهتماماً متوازناً بالجانب الروحى والإجتماعى فجمع بين الأصالة والمعاصرة .

قدم قداسة البابا شنوده مجموعة من التعاليم والخبرات والأعمال التى صاغت مفاهيم الخدمة الإجتماعية رعوياً ، حريصاً دائماً على الروح التى تتم بها هذه الخدمات ، عاملاً على صيانة الفقراء وسط المتغيرات التى تموج بها دوامة الحياة ، ساعياً إلى حفظ هذه الأعضاء المتألمة من الإنحراف والزلل ، متمثلاً بالسامرى الصالح ، حاملاً أتعاب شعبه

وآلامهم... يعطيهم الخبز الجسدى ويرفعهم إلى الخبز الروحى... ويسند دائماً النفوس التى دمرتها الخطية والتى تورطت فى مشاكل صعبة .

حرص قداسة البابا على أن لا يتحول هدف الخدمة الإجتماعية ليصبح وسيلة ، وأوصى بدراسة الإحتياجات وفحصها وتدبيرها مع الإهتمام المتوازن بتوفير المعونات الروحية للنفوس حين تكون فى خطر ، إذ أن العطايا المادية فى حد ذاتها لا تشبع النفس، وإنطلاقاً من هذا الفكر وضع نظم وأساليب للعمل على سد الإحتياجات وتأهيل وتدريب الخدام الذين لهم شرف العناية بجسم المسيح وأعضائه .

ارتبط العطاء فى ذهن قداسته بحب الله وسخائه فأشترك بنفسه كبابا للكنيسة فى الاهتمام بخدمة المرضى والمحتاجين والأرامل والأيتام واليتيمات والمجربين ، يهتم بقوت نفوسهم وطعام أرواحهم وبقلبه المزين بالفضائل تعطف على الضعفاء من أجل تقويتهم وعلى الأعضاء الضعيفة من أجل تثبيتها ومساعدتها ، متمثلاً بمعلمه الإلهى الذى إئتزر بالمنديل وغسل أرجل التلاميذ ، يخفف عن الذين فى الكوارث ويؤازر الذين يبتلون بتجارب صعبة (موقفه الأبوى من كارثة جبل المقطم ومن الذين أضيروا فى الزلزال ومن الذين تشردوا فى زاوية عبد القادر) .

أعمال الرحمة عند البابا شنوده هى من علامات وثمار حياة الروح القدس المستقر فى قداسته ، روح القداسة الذى أشع به على الجياع ليشبعهم من الخبز الإلهى والجسدى ، والذى به بسط ردائه على كل من وقع فى عثرة ليستر عليه ويسترده ، هذا الأمر الذى اختبره ولمسه كل من يقرع بابه يطلب علاج أو كساء أو دواء ، هذا وقد صنف قداسته [1] هؤلاء المحتاجين بأنواع مختلفة:

١) حالات عدم كفاية الدخل
٢) حالات المرض
٣) حالات الزواج
٤) حالات السكن
٥) حالات الطلبة والتعليم وفصول التقوية
٦) إحتياجات العيد .

١) محاضرات قداسته بمعهد الرعاية .

لقد صنعت محبته من عينيه شبكة يصطاد بها المحتاجين إلى المعونة فأهتم بطعام اليتامى ولم يطرحهم من باله وإنشغالاته ، واهتم بتزويج الشباب وبإعطاء الصناع عملاً كقول الدسقولية فى الباب ١٣ وصنع رحمة مع الضعفاء وأعطى الغرباء ضيافة وأعان المثقلين ومد يده للأرامل ولتزويج الفتيات مهتماً بهؤلاء وأولئك كوكيل لله .

لذلك فتح كل الأبواب لمن يريد الوصول إليه فى الإجتماعات الشعبية أو فى الرد على الأسئلة أو فى المراسلات أو فى اللقاءات الفردية أو فى اللجان المتخصصة ، التى يستمع فيها إلى الإحتياجات ويفيض بأبوته الغنية ، ليخلص كل أحد تاركاً ذكرى لا تمحى فى قلب وفكر من يلتقى به ويساعده .

يقدم لأولاده من إيمانه وحبه ويمنحهم مجاناً عطايا الروح القدس المتنوعة ، وفى كل هذا تقبل ذراع الرب عوناً له ، لذا يعطى بسخاء وإتساع مقدماً نفسه قدوة ومثال فى العمل على تتميم وصية الرب وإصطياد النفوس للخروج بها من المجال الذى قد يحرمها من ملكوت الله وإقتيادها بالتوبة للدخول إلى المجال الروحى ، مقدماً كل عمل ليد المسيح ، ودائماً يرفع عمل الرحمة إلى مستوى الأداء للمسيح نفسه «فبى فعلتم» (مت٢٥: ٣٤) .

اعتبر قداسة البابا أن الرحمة هى ملكة الفضائل ، فتحلى بالرحمة كصفة من صفات الطبيعة الإلهية ، وصنع رحمة مع كل ذى إحتياج يعطيهم عطايا النعمة ويتقبل هو من الله عطاياه ليسد أعوازهم الجسدية ، ويوصى الخدام العاملين فى هذه الخدمة بضرورة إحتمال الذين يتحايلون ويتجولون للحصول على مزيد من العطايا ، ملتمساً لهم المساعدة ليتخطوا مركبات الضعف ، ويقلعوا عن التصرفات غير السوية ، بتوجيههم بحب وحزم من أجل خلاصهم .

من هذا المنطلق راح قداسة البابا شنوده يدهن أقدام المسيح بأطياب غالية الثمن وينظر المسيح فى شخص الجائع والمريض والضعيف واليتيم والمظلوم ، فعلم الكنيسة كلها أن كل محتاج هو مسيح آخر «أما أنتم فأهنتم الفقير» (يع٢: ٦) وأعطى قداسة البابا أوامره الأبوية بالمعاملة الطيبة للمحتاجين وبضرورة عدم معاملتهم على أنهم أقل ، وبضرورة الإنتباه إلى سد إحتياجاتهم كصميم رسالة الكنيسة .

وحول دور الكنيسة فى الخدمة الإجتماعية دحض فكراً أحادياً زعم بعدم إختصاص الكنيسة بهذه الخدمات ، إلا أن البابا شنوده رد على هذا الزعم ، معتبراً أن ربنا سيلومنا على التقصير فى هذه الخدمة كما كان لومه للكاهن واللاوى فى مثل السامرى الصالح ومعتبراً أن السيد المسيح أعطى أمره الإلهى للآباء الرسل وللكنيسة «أعطوهم أنتم ليأكلوا» .

لذا نجد من مظاهر النهضة الروحية التى تعيشها كنيستنا فى زماننا الحاضر إهتمامها بخدمة المحتاجين إمتداداً لإهتمامها بهم فى فترة العصر الرسولى والآبائى ، على اعتبار أن المحبة العملية كانت علامة مميزة للمسيحيين أمام العالم الخارجى (بحسب تعليم العلامة ترتليان) وأن التغيير فى حياة المسيحيين يحدث نتيجة إيمانهم بالمسيح ، لذلك هم يقدمون لأجل كل إنسان محتاج (بحسب تعليم القديس يوستين الشهيد) ، تلك الإحتياجات التى كانت توزع بواسطة الشمامسة على المحتاجين من بين الحاضرين الصلاة ، وكانت ايضاً التقدمات ترسل إلى منازلهم ، ويذكر العلامة ترتليان أن عملية التوزيع على المحتاجين كانت تجرى تحت إشراف الأسقف .

وقداسة البابا حريص على إمتداد ومعايشة هذا الفكر بطريقة عملية فضلاً عن إهتمامه بخدمة المرضى بالأمراض المزمنة التى لا علاج لها كما كانت الكنيسة تخدم بشجاعة وعدم خوف ضحايا الأوربئة مثل الطاعون فى زمن البابا ديونيسيوس الكبير الـ ١٤ .

وفى كل هذه شهد قداسة البابا شنوده للإنجيل المقدس الذى يأمر بمحبة الفقراء وخدمتهم ، فآوى إليه المحتاجون وقدم نفسه مثالاً للرحمة وقانوناً لها ، عيناً لجسم الكنيسة وراعياً لأغنام المسيح ، طبيباً عطوفاً ، ومعاوناً لله فى مساندة الذين ليس لهم أحد يذكرهم .

إن عمل الخير كان رائد حياة البابا شنوده ، فلم يكتف قداسته بالأقوال بل نظم خدمة المعونات والمساعدات وشيد صروح المحبة «بيوت الإيواء والمغتربين ومراكز علاج الإدمان ودمة الرجاء لحالات الأمراض المستعصية (السرطانات والفشل الكلوى...) وخدمة المسجونين وخدمة المعوقين وخدمة الصم والبكم وخدمة المسنين»... إن الفضل كل الفضل يعود لروح غبطته الخلاقة ولقوة إرادته الطموحة فى عمل الخير والتى

صقلها الحب وبلورتها رغبة أكيدة فى العطاء الكامل .

لقد تألقت مواهب قداسته وإتقد ذهنه وقلبه فكان أولاً وأخيراً فى خدمة بناء ملكوت الله ، يحث الرعاة والخدام والعاملين فى أسقفية الخدمات ومسئولى مكاتب الخدمة الإجتماعية وأعضاء الجمعيات القبطية على الإهتمام بأعمال الرحمة... «الإنسان العظيم هو شئ عظيم والإنسان الرحيم هو شئ مكرم» (أم٢٠ :٢٨) فإنطبعت نفسه بمعاملة سامية يتعطف بها على كل مسكين ويدعو الجميع إلى هذه الخدمة بالمحبة وبوداعة المسيح ، محذراً من الغضب والإصطدام بالنوعيات المتعبة وعدم تبكيتها أو محاصرتها بل معالجتها روحياً ونفسياً بموضوعية وبمحبة كاملة ، مدركاً لإحتياجاتهم وما يتعرضون له فى حياتهم اليومية .

اعتبر قداسة البابا أن رفاهية الكاهن تعثر الفقراء وأن أعمال الرحمة والمحبة هى التى تميز خدمتنا «إنى أريد رحمة لا ذبيحة» (هو٦ :٦) لذلك عمل وعلم عن رحمة الله المجانية وغفرانه الذى به نتحول إلى أنية رحمة ، وتصير خدمتنا سهلة وممكنة ، نطعم المحتاج وننزع الخوف منه ونربطه بالكنيسة ، ويقول قداسته أن مهمتنا ليست فقط رعاية المحتاجين وإنما إحتمالهم ايضاً لغرس المبادئ الروحية فيهم .

وحرص قداسة البابا على تكميل أعمال الرحمة وأن لا نغلق أحشاءنا أمام الفقير ، لأن غياب الرحمة هى من خصائص الأمم «بلا فهم ولا حنو ولا رضى ولا رحمة» (رو١ :٣١) ، ويرى قداسة البابا أنه بقدر ما نشفق ونساعد المحتاجين يجد الله فينا صورة صلاحه ، لذلك أظهر قداسته الرحمة فى كل أعماله كأب للكنيسة كلها «بابا» ، ووضع التدابير الرعوية المنظمة لهذه الخدمة ، مقدماً نفسه نموذجاً فى تأسيس هذه الخدمة من إتساع القلب ومشاركة الآخرين آلامهم وأحاسيسهم وعدم جرحها .

انفتح قلب قداسة البابا بكل كيانه على الفقراء والبائسين بكل أنواع معاناتهم ، ممتزجاً بدقائق حياة شعبه إمتزاج الخمير بالعجين ، يجلس مع الفقراء والمحتاجين مهتماً بكل أحد ليخلصه (كقول الدسقولية) ، فعظيم بحق هذا القلب الذى لا يخفى عليه حاجة بائس ولم ينس الفقراء ، فلم ينس له الله ذلك ، واعطى الكنيسة فى عصره عطايا مضاعفة ، وبنظرة موضوعية لحجم ونوع ومقدار العطايا نقف على يد الله السخية التى

أعطت رأس الكنيسة ليعطى تقدمات لله هى فى الواقع من يده .

ولأن البابا شنوده هو بالأساس رجل الشعب وخادمه وقائده ، فقد حمل أوجاع شعبه وهمومه ، وبينما هو أكبر رتبة فى الكنيسة لا يستنكف أن يجلس مع أصغر عضو فيها (إخوتى الأصاغر) ، ويستمع إلى الأعضاء المحتاجة والضعيفة ، مؤكداً على أنه ليس أمراً هيناً خلاص غنمة واحدة من الرعية ، الأمر الذى جعل قداسة البابا يبحث عن الخروف الواحد الضال حتى ولو كان واحداً وحيداً ويجلس معه فى كل يوم خميس بالقاهرة ، وكل يوم سبت بالاسكندرية ، لأنه ثمين فى عينى الله ، هكذا يجب أن يكون ثميناً مستحقاً كل عناية وخدمة ، تلك العناية الأبوية التى تميز وتتعهد وتخدم كل احتياجاته، سواء تلك الروحية أو المادية ، الهامة أو «التافهة» على حد سواء ، الأمر الذى عرفه قداسة البابا شنوده بإصطلاح «**الرعاية الشاملة**» .

وغبطة البابا شنوده أرسى تقليداً رعوياً جدد به عهد الآباء ، ذلك أن يترأس بشخصه خدمة التوزيع والمساعدة كما كان القديس باسيليوس الكبير يهتم بفقراء قيصرية الكبادوك فى القرن الرابع ، هذا وقد خصص قداسته صباح كل يوم خميس ليلتقى بفقراء القاهرة والمحافظات ، وصباح كل يوم سبت ليلتقى بفقراء مدينة الاسكندرية ، هذه اللقاءات التى أنقذت نفوساً كثيرة من الجوع والموت والإنحراف والإحتياج .

لقد رأينا وشاهدنا ولمسنا فى مثل هذه اللقاءات رقة قلبه وعمق مشاعره الأبوية وعواطفه الفياضة المرهفة التى تجعل عيناه تدمعان أمام متاعب أولاده ، يلتقط الكلمات بفكره المستنير وعيناه تلاحظان ويداه مملوءتان بالبركة ، يستمع بحرص لكل محتاج ، معطياً للكل ما يناسبه من عطايا وإرشاد ونصح وصلاة بلا كلل ولا ملل .

أبرزت هذه اللقاءات الأسبوعية روحاً أبوية ورعوية وأوجدت مناخاً رسولياً جديداً ، مما أثر تأثيراً روحانياً عالياً فى النفوس التى أنسكبت أمام قداسته وذابت قبالة عطفه الأبوى ، عندما يكلمهم كلام العفو والحب والتشجيع ويبارك مشاعرهم بصلواته وبمساعدته يؤيد معنوياتهم وهم يلتمسون منه البركة منذهلين إذ كيف وهم بسطاء وعراة وجوعانين يتباركون من حضرة البابا البطريرك .

إن الوقت ليعوزنا لو تكلمنا عن طاقات الحب وعن إنشغال قداسة البابا بمثل هذه

الحالات إنشغالاً قلبياً انعكس فى حرصه على لقائه بهم معطياً لهم أولوية بين أولويات كثيرة ، حريصاً على حل مشكلاتهم وسد إحتياجاتهم بالكامل وبدون إبطاء ، وببصيرة قداسة البابا الروحية النافذة وبقلبه المحب الرحوم يكتشف دائماً إحتياجات مخفية عن أعين الباحثين الإجتماعيين .

إن قداسة البابا بهذه الأعمال العظيمة يصب زيتاً وخمراً ليطهر ويطيب به جراحات أولاده الذين يلتقون به فى مثل هذه اللقاءات ، يفكر لهم فى الإقامة وفى المعيشة وفى الطعام وفى الدواء وفى كل ظروف حياتهم ، وكما يقول القديس أغسطينوس «ليس أسقف ذاك الذى يطلب المجد والكرامة أكثر من الخدمة» هكذا قداسة البابا شنودة أسقف الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية يهتم بخدمة الأيتام حتى لا يعوزهم شئ معتبراً أنه فى منزلة الأب لكل يتيم ، يساعد الذين لا عون مادى لهم ، ويسند الضعفاء والذين يلتمسون منه المعونة كمن سيحاسبه الله عليهم ، معتنياً بهذا التدبير الذى دُفع فى أيديه من قبل الله .

تمسك غبطته بمبدأ «**الإعتناء بكل أحد**» من المال العام للمؤمنين *Common Stock* ، ولم يتردد ابداً فى أن يعطى بسخاء ويشجع أعمال الخير مسترشداً فى عطائه بإفرازه وأبوته ، وبنيته الصالحة يعطى الصالحات مقتدياً بالله الرحوم وقائداً للكنيسة كلها فى كل عمل صالح بالإيمان وبالعيان من أجل التشغيل والتعليم والتمويل ومفهوم التنمية الشاملة ، يحث المؤمنين على العطاء للفقراء والطلب الدائم من الله القادر أن يمدهم ويمدنا بكل إحتياجاتنا الجسدية .

ومثلما كانت المطرانيات فى الكنيسة الأولى تزدحم بأصحاب الحاجات من الفقراء فى زمان القديس أمبروسيوس أسقف ميلان والقديس أغسطينوس أسقف هيبو والقديس باسيليوس رئيس أساقفة كبادوكية ، كذلك تزدحم البطريركية بالمحتاجين من كل ربوع الكرازة آتين من إيبارشيات بعيدة ، وإذ بهم يجدون البابا البطريرك وسكرتاريته فى إستقبالهم لفحص إحتياجاتهم ومساعدتهم .

ويعاون قداسة البابا فى هذه الخدمة جهاز إدارى متكامل بالإضافة إلى مجهودات أسقفية الخدمات العامة والإجتماعية فى الدراسة والبحث والأداء والأخذ بأسباب العلم

للوقوف على إحتياجات كل شخص على حدة ، إذ أن كل إحتياج لا يمكن أن نعممه أو نصنفه بدون دراسة ميدانية .

هكذا خدم البابا شنوده بحزم وتدبير فأتت إليه الأموال وصارت عند أقدامه وإمتلئت الكنيسة بالبركات والعطايا ، ولا تسل من أين أتى البابا شنودة بكل هذه الخيرات... فهذا هو الإيمان والتدبير ، ومتى قاد الرب العمل اعطى الاحتياجات بالكامل ووفى الطلبات «أكثر جداً مما نفتكره» (أف٣: ٢٠) .

اتبع قداسة البابا نمط الآباء الأولين والطريق الذى رسمه قديسو الكنيسة (الأنبا ابرآم أسقف الفيوم والقديس صرابامون أبو طرحة والبابا يوحنا الرحيم) فيوصى الذين يدرسون الإحتياجات بأن لا يقرروا من يستحق ومن لا يستحق لأنه من الممكن أن نخطأ فى الرأى، لذا ينبغى أن نصنع الصلاح حتى مع غير المتسحق من أجل المستحق أفضل من أنه بسبب غير المستحق لا نساعد من يستحق ، فبالشح وبإدعاء فحص تحديد من يستحق ومن لا يستحق ربما نهمل بعضاً من محبوبى الله *Beloved of God*.

ويقوم قداسة البابا بعمل توازن بين الدراسة البحثية للأخصائيين الإجتماعيين وبين السخاء العشوائى الذى قد يحرم المحتاجين الحقيقيين من مساعدة تكفى لسد إحتياجاتهم أما عن دراسة الإحتياجات وفحص الطلبات فيرى غبطته ضرورة بحثها ميدانياً ، وكما يقول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان «إن هناك كثيرين يطلبون المساعدة بخداع (أى أنهم لا يحتاجون ومع ذلك يطلبون) لذلك من الأفضل أن تقدم المساعدة عندما يكون سبب الإحتياج معروف وعندما تكون هناك ضرورة عاجلة» (كما يكون له إحتياج) (أع٤: ٣٤) .

وما يهم قداسة البابا أن لا تقدم عطايا منقوصة ، معتبراً أن العطية لابد أن تكون كاملة ومن غير تأجيل ومناسبة للطلب والإحتياج ولحل المشكلة موضوع البحث فربما التأخير يسبب أضراراً للمحتاج ، وعلى صعيد آخر فتح كنوز ومخازن الأغنياء بتعليمه وبتأثير عطاته ـ كما تكلم القديس أكليمنضس عن «من هو الغنى الذى يخلص؟» وكما علم القديس يوحنا ذهبى الفم فى عطاته ـ إدراكاً منه بأن ديمومة المجتمع لن تكون إلا بالشركة وبالعطاء لا بعبادة الحرف والرقم بل بالخروج من الذات للشركة مع الآخرين

وإعطاء الغير بسرور وبغير إفتخار وفى الخفاء وبسخاء كيلاً جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً .

ويعتبر قداسته أنه لا ينبغى أن نلقى باللوم على الذين يعطون غير المستحقين بإعتبار أنهم سينالون جزاءً فالويل هنا يقع على الآخذ *Woe to the taker*، ولكن بالنسبة للخدام محبى الرحمة ، يظل الدافع الأقوى لخدمة الفقير والمحتاج أنه هو والمسيح واحد ، لذا إمتلئت الكنيسة خلال الخمس وعشرين سنة الماضية بجيش فاعلى الخير وعاملى الرحمة سواء من المتبرعين أو من الخدام .

تلك الصورة التى قدمها قداسة البابا على نفس نسق عموم الآباء ، ينقاد فى كل عمل بالفكر الذى للمسيح يسوع وينطلق فى هذه الأعمال من شمولية الرحمة لدى الله الذى تنازل إلى الصغار جداً لأن طبيعة محبته هى أن يتنازل ليظهر عظمته اللانهائية على الكل وهكذا يعتنى الله بكل نفس على حدة وكأنها الوحيدة موضوع إهتمامه ، فلبس قداسته كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولم يغلق أحشاءه عن أى محتاج ، هذا وقد صحح مفاهيم الذين ينفقون الأموال الطائلة على زينة الكنائس وديكوراتها فى الوقت الذى يهمل فيه المحتاجون ، وينصح الرعاة بالتعايش مع آلام الناس والتلامس مع مشاكلهم ، الأمر الذى يشير إليه القديس اغريغوريوس النزينزى «يا خدام المسيح... فلنزر المسيح ، فلنطعم المسيح ، فلنكس المسيح ، فلنجمع للمسيح ، فلنكرم المسيح ، فلنقدم للمسيح من خلال تقديمنا للمحتاجين الذين سيقبلوننا فى المظال الأبدية» .

إن مجمل الفكر والعمل الإجتماعى لقداسة البابا شنودة ، ينصب على تنفيذ تعليم المسيح وعلى ربح صلوات المحتاجين وعلى أن مجد الرحمة عظيم وأنها تسر الله جداً لذا سيكافئ الله بيده السخية كل من يعطى بسخاء ، لهذا أوصى فى خدمة المحتاجين بالابتعاد عن سياسة التحويلات ، وبرؤية أبائية وضع تدبيراً كنسياً من شأنه ترتيب هذه الخدمة وتنظيم التوزيع وتأسيس مكاتب الخدمة الإجتماعية ولجان البر ، حتى أنه لأول مرة فى تاريخ الكنيسة المعاصر يتم توزيع كل هذه البركات بطريقة لا تحصيها ميزانيات ولا تقع تحت حصر حسابى .

تلك الأعمال شكلت مفاهيم هذه الخدمة كصورة للعمل الرعوى المعاصر الذى

وضعه قداسة البابا فكراً وعملاً وهو البادئ والمثل الحى فى أعمال الخير والبر المؤسسة على الطبيعة الواحدة ، ليس مجرد أخلاقيات مسيحية ولكن كوصايا إلهية ملزمة .

ولأن البابا شنودة بطبيعته رجل عمل ، لذلك لم يكتف بالكلمات والصلوات ، واستند على يد الله الذى يقوده عملياً ليقدم عملاً ملموساً ، فإنتشرت موائد الأغابى فى الكنيسة بطريقة غير مسبوقة ، وانتشرت بيوت المغتربين وفصول التقوية ، وتضاعف الاهتمام بإضافة الغرباء فيها ، وتزايد الاهتمام بخدمة المساجين ، وتأسست خدمة الرجاء لمساعدة مرضى الحالات المستعصية من مرضى الفشل الكلوى والسرطانات ، وكذا شيدت المستشفيات والمستوصفات فى كل ربوع الكرازة ، ووجد الاهتمام بالفئات التى كانت مهملة مثل الصم والبكم والمعوقين والأميين والحرفيين ، وصار للكنيسة مراكز لعلاج المدمنين وبيوت للمسنين ، ومؤسسات تنموية وكأن القديس باسيليوس أتى ليؤسس المدينة الباسيلية من جديد .

إن البابا شنوده لم يكن عطاؤه من فراغ بل من كنز قلبه الصالح ، يسكب على كل محتاج من فيض حبه بسخاء ، مقدماً حبه ووقته ومعرفته وعطاياه سخية هينة ، فمنح سلاماً عميقاً خصباً مع رغبة متزايدة فى عمل الخير .

إننا فى عيد جلوس قداسته الخامس والعشرين ننظر رسالته فيها وهو يطلب الضال ويسترد المطرود ويجبر الكسير ويعصب الجريح كوصية الكتاب ، يتثقل قلبه بالمرضى والعاجزين والمطحونين بالظروف الإقتصادية وضحايا المشاكل النفسية ، يحمل داخله حجرات واسعة دافئة ، يجد فيها كل متألم مكاناً متسعاً له.... إن سر عظمته وأحد جوانبها هو حبه غير العادى لكل من له إحتياج .

واليوم فى العيد اليوبيلى لغبطته يشترك فى إحتفاله الفضى كل من كان فى شدة ووجده معزياً له ، وكل شيخ مسن ووجده عكازاً له ، وكل أرملة وجدته حامياً لها ، وكل يتيم وجده أباً له ، وكل فقير وجده صديقاً له ، وكل قبطى صار له أباً ومعلماً ورأساً ورئيساً .

الفصل السادس

البُعد الوعظى عند البابا شنوده الثالث

البابا كواعظ على خطى الآباء الأولين

البُعد الوعظى

الوعظ تقليد موقر فى التعليم المسيحى ، فمسيحية العهد الجديد هى إيمان معلن «إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم» (رو١٠ :١٧) ، لذا عرفت الكنيسة خدمة التعليم سواء تعليم غير المؤمنين *Kerygma* أو تعليم الموعوظين *Didache* وكذلك وعظ المؤمنين أنفسهم *Paraklesis*.... وعلى مر العصور تأكد ارتفاع شأن خدمة التعليم وأصبح من شروط الأسقف بالدرجة الأولى أن يكون «صالحاً للتعليم» .

وقد عرفت الكنيسة فى القرن العشرين البابا شنوده الثالث كواعظ ، أعطاه الله وزنة موهبة التعليم بصورة سخية ، فجاءت عظاته غزيرة ومملوءة بالنعمة ، يعظ شعبه بوداعة ، مقتدراً فى تعليمه بالكلمة ، ملازماً للوعظ والتعليم وتوبيخ المناقضين (١تى٣ :٤) ، وريثاً للقديسين يوحنا ذهبى الفم وباسيليوس وكيرلس الكبير .

اقتفى فكر الآباء الوعظى فصارت عظاته نبع مياه غزيرة وحقلاً مفروشاً بأزهار متنوعة أو سماء أخرى مزروعة بكواكب لامعة ، وفردوساً كعدن لا يذبل ابداً ، مليئاً بالأشجار المثمرة ، ثماره طيبة لا تفسد ولا تعمل فيه الحية الشريرة عدوة خلاصنا .

إن الواعظ الحقيقى هو الرجل القديس والبابا شنوده قديس علم عن الوجود مع الله وعن الحياة مع الله وعن عناصر القوة الروحية وعن الغيرة واليقظة والسهر ومعالم الطريق الروحى ، يستخدم فى عظاته المنطق الروحى الفريد من نوعه . إتكئ على صدر المسيح وفهم فكره وعلم بأن ما يقوله الله قابل للتطبيق فى كل زمان ومكان ولكل إنسان ، عمل قداسته بأقواله وتكلم بأعماله ، يعلم بنموذج حياته الحافلة بالخدمة والنسك والرعاية .

والبابا شنوده كواعظ حقيقى يُشار إليه بالبنان ، واعظاً مفوهاً مقتدراً يحمل الوعظ والتعليم كقلادة على هيئة صليب ، ليُشبع خرافه الناطقة ، ويسقيهم روح التعليم

متمثلاً بالآباء الأولين ، كغارس يغرس الإنجيل فى القلوب وكزارع يزرع ثمار الأبدية ، وكساقى يسقيها وينميها وكبانى يبنى ويعلن الكلام الإلهى .

ولأنه ليس فى الكنيسة سوى «معلم» واحد هو المسيح ، لذلك تعلم منه قداسة البابا وعلمنا معالم «الطريق» ، فلم يأتى تعليمه من إنسان ولا بإنسان بل من الله نفسه ، يقود النفوس البشرية فى مسيرتها نحو الله ويقوم بعمل فلاحتها ، فجاءت عظاته تعبر عن رسالة الله إلى خليقته مصطبغة بأقوال المسيح المحيية ، وكأننا نتلقى كلام الله من فمه ، كلام قوة ونعمة وشفاء .

إنه بحق تلميذ للمسيح وصخرة فيه تكتمل الكنيسة الجارى بناؤها بيد الله ، كبناء حكيم يضع أساساً يبنى عليه ، وبسيل من التأملات الهادئة العميقة يخترق القلب قبل أن ينفذ إلى الفكر ، يتحدث إلى الضمير والعقل معاً ، فيطبع فكر المسيح فى سامعيه ، ليجعل منهم تلاميذاً للرب ، مشابهاً فى عظاته نمط القديس كيرلس الأورشليمى فى عملها على البنيان الروحى للمؤمنين .

انصب هدف عظات البابا شنوده فى أنها خدمة لأجل تكميل القديسين (الكنيسة) وأنها لبنيان جسد المسيح (الكنيسة) فجاءت مساهمته الوعظية متسعة ومتفرعة ومتعددة لا تقع تحت حصر من جهة عددها ، ومن جهة تصنيفاتها وتنوع موضوعاتها ، موزعة غنية ومعطاءة ، نتاج نفس حساسة قوية لبابا الاسكندرية الـ ١١٧ .

عمله الوعظى بنائى يعظ كل إنسان ويعلم كل إنسان كل حكمة ، ليجعل كل إنسان كاملاً فى المسيح ، وفى هذا كانت عظاته مماثلة لعظات الآباء الأولين ، مقتبساً أقوالهم مستنداً على تقليد الكنيسة ، مؤكداً على أن كنيسة الآباء باقية وأن عصر الآباء لم ينتهى...

فشابهت عظاته الكاتشيزم *Catechism* عندما يشارك الذين يتعلمون الكلمة مع الذى يُعلم ، فما من عظة لقداسة البابا إلا ويجيب فيها على الإستفسارات والتساؤلات التى للسامعين وبهذا ظلت هذه العظات حية إلى اليوم فى كنيستنا ، وقد تجمعت فى صورة أجزاء من كتبه «سنوات مع أسئلة الناس» .

اتسم المنهج الوعظى للبابا شنوده بالتنوع فجاءت عظاته متنوعة متكاملة التعاليم فمنها

العظات التفسيرية والروحية والعقيدية والكنسية والأخلاقية والليتورجية (مناسبات الكنيسة) والتأملية ، قدم فيها المبادئ الأولية للإيمان المسيحى وشرح أسرار الكنيسة وفسر الإنجيل .

فأعطى للكنيسة في القرن العشرين نهضة جديدة بعظاته ، وأنماها بوفرة محاضراته ، فمنه وبواسطة تعاليمه وضعت بنيات إيمانية للمؤمنين فى هذا الزمان ، وخير دليل على ذلك آلاف العظات المسجلة على الكاسيت والفيديو كاسيت ، كثروة وعظية تضاف لرصيد الكنيسة .

وكما اشتهر القديس امبروسيوس اسقف ميلان بسهره على رعيته بالوعظ والتعليم والإدارة الصحيحة ، هكذا البابا شنوده يسهر على شعبه ، وهو رجل عمل ونشاط يمتاز بالدفء الروحى وبالروح العملية وبالإهتمام بغرس الأشجار وبحفر الأساسات ، ينعش النفوس بعظاته الأسبوعية بالكاتدرائية ، عندما يقدم مائدة روحية دسمة ولآلئ مختارة سمائية تصير كنوز مخفية فى قلوب سامعيه .

أما عن سامعى البابا شنوده فهم من طبقات متنوعة ثقافياً وإجتماعياً وسنياً (عمرياً) ، يتقاطرون بشغف على سماع وتسجيل عظاته ويفتحوا آذانهم بإصغاء لسماع الحقائق الإلهية ، وقداسته يحرص دائماً ليجد طريقة ليُطبق بها سامعوه ما سمعوه فى حياتهم الخاصة ، يغرس فيهم التعليم ويشتله شتلاً فى تربة قلوبهم .

ويعتبر قداسة البابا أن مجده فى فائدة السامعين لكلام الوعظ ، والذين يسمعون عظاته يكونون كمثل نحلة ترتشف عبير أزهار كثيرة ، تستنير نفوسهم بأقواله العسلية التى يتفوه بها فمه الذى يحوى بحراً شاسعاً من التعليم ، وأوتار صوته الأبوية التى تنم عن أعماقه الهادئة المتأملة .

عظاته تدوى فى الأسماع تشرح الأسرار وتجعل فى الأذهان بيتاً لله ، وتطلب من السامع أن يعيش الفضيلة والبر ويسلك معالم الطريق الروحى وأن لا يهمل خلاصاً هذا مقداره ، فتبلغ كلماته قلوب السامعين سريعة وكأنها حديد مطروق كما كانت عظات القديس اغريغوريوس العجائبى أسقف قيصرية الجديدة .

وكما كان قصد القديس باسيليوس الكبير من وعظه صقل الشخصية وقيام بنية إجتماعية ، هكذا عظات قداسة البابا تحتوى على بذار توجيهية وإرشادية مزدحمة

بالنصائح الأخلاقية والسلوكية حول مفاهيم القوة والحرية والغريزة والمادة والحب والمال والغضب والخيال والطموح والعقل والاختراعات ورسالتك فى الحياة ، وغيرها من العظات العذبة والممتعة روحياً .

وكذا كما امتزج النصح الأخلاقى بالشرح الإيمانى وبالتفسير الرمزى فى التقليد السكندرى يستخدم قداسة البابا ذات المنهج الوعظى عندما قدم عظاته عن **الوسائط الروحية** «الكتاب المقدس ـ قراءة سير القديسين ـ التأمل ـ التداريب الروحية ـ محاسبة النفس ـ الاعتراف ـ التناول ـ الصوم ـ العطاء وشركة الله فى أموالنا ـ الخدمة وشروطها الناجحة» وعندما قدم عظاته عن **الحروب الروحية** «حرب الذات والفراغ والنسيان والشك والخوف والفتور الروحى ومحبة المديح والكرامة» وايضاً فى عظاته عن **معالم الطريق الروحى** «القيم والإلتزام ـ السلوك الروحى ـ الإستقامة ـ الهدف الروحى ـ العمل الإيجابى ـ الباب الضيق ـ العمل الداخلى ـ الأمانة ـ الجدية والتدقيق ـ حياة الإنتصار ـ حياة التسليم» .

لقد أحدثت خدمة البابا شنوده نهضة منبرية رائعة لبنيان الحياة المسيحية ليس فقط فى مصر بل وفى الشرق كله ، ويمثل تعليمه الوعظى صفحة ناصعة من تاريخ الفكر المسيحى بل والفكر البشرى كله ومثلت حواراً مع ثقافات العصر ، وعالجت موضوعات حياتية تجمعت فى مؤلفاته «كلمة منفعة» و«خبرات فى الحياة» و«مفاهيم» ....

جمعت عظاته بين الأصالة والمعاصرة ، فقد عرف بالتمام عقلية شعبه ودرس أحوالهم ووعظهم بطريقة عصرهم وأساليب حياتهم وما يتناسب مع الثقافة السائدة مثلما تخصص معلمى الكنيسة الأولى فى دراسات وثقافات عصرهم ليجتذبوا أولادهم إلى الحظيرة .

قدم البابا شنوده عظات تفسيرية رعوية بنفس طريقة الآباء يوحنا ذهبى الفم وأغسطينوس مهتماً بكل عضو فى شعبه من الموعوظ البسيط وحتى الدارس المتعمق ، فنقل خبراته الروحية بأسلوب حى صادق وجرت من فمه مياه حية فى الكنيسة كلها يعظ ويعلم ما يقوله الروح للكنائس ويسلم كلمة الله فى ضوء الحق ، صوتاً للإنجيل الحى تسمعه الكنيسة كلها ، ويتراكض المؤمنين لسماعها كنهر من الذهب يسرى وكعسل يجرى .

ولأن المعرفة وحدها لا تصنع الواعظ بحسب تعبير العلامة أوريجين ، لم تكن عظات قداسته بالكلام بل بقدوته الحسنة وبخبرته الحية المستمرة بموهبة الحق الأصلية ، ينطق بما نطق به الرسل والآباء ، ودعم فمه الذهبي بحياته الذهبية ، فإمتزجت كلمات عظاته بكلمة الله لتصنع تغيراً أعظم من المعجزات فى النفوس ، كشبكة مطروحة وكطُعم صنارة يصطاد سامعيه داخل شباك الكنيسة .

وكل ما يملأ فكر البابا وقلبه عندما يعظ أن يُسلم أولاده «الطريق» كمعلم للفضيلة فى كل كورة مصر وفى كنيسة المسيح ، فلم يظهر واعظ أقدر من البابا شنوده منذ قرون طويلة ، كلامه يتدفق كالنيل غزارة ووفرة وكأنه خلق للوعظ والتعليم ، تلك الخدمة التى قال عنها الآباء أنه يمكن لرجل واحد أن يصلح بها شعباً .

اتسم البابا شنوده ايضاً بمهارة عظيمة ونجاح فى التعليم الوعظى ، لما تحلى به من موهبة الشعر ، فقدم عظات بلاغية مشوقة كما كان سابقه القديس مارافرآم السريانى الشاعر «قيثارة الروح» فأفاد نفوس كثيرة من كرمة العنب التى نبتت فى لسانه وخرجت من فمه باسطة أغصانها لتغطى وجه مصر كلها .

هذا وقد كان شعره الروحى سبب بركة ومنفعة لجيلنا الذى حفظ هذا الشعر وترنم به وتلذذ بمعانيه فى «اغلق الباب وحاجج» وفى «ذلك الثوب» وفى «قلبى الخفاق» وفى «كيف أنسى» وفى «النجم الغريب» وفى «غريب» وفى محبة الكنيسة «هذه الكرمة» وفى «كم قسا الظلم عليك» .

إن خبرة الوعظ وموهبة التعليم والشعر حصل عليها قداسة البابا منذ أن كان «نظير جيد» وبقيت فيه وأصبحت طاقة مختزنة تأيدت بنعمة الأسقفية والبطريركية لتعمل فيه ولا تفرغ ، كقوة تعمل فيه ويعمل هو بها لحساب مجد الكنيسة التى إنتشرت فى قارات الدنيا الخمس وانتشر فيها تعليمه الوعظى وبلغت أقواله أقطار المسكونة .

وبالرغم من أن البابا شنوده لاهوتى ومفسر وشاعر ، إلا أن عظاته دسمة عميقة وسهلة بآن واحد ، تكلم على طريقة الآباء الصيادين الرسل لا على طريقة أرسطو (كما يقول اغريغوريوس النزينزى) فحملت عظاته مسحة روحية سمائية للإنجيل العملى المعاش ، وتعاليم متدرجة كدرجات سلم مؤدية إلى المعرفة الأفضل للذين هم أكثر فهماً .

وبمقدار البساطة والعمق التى لعظات أبينا البابا شنوده ، يسعى ليعطى أولاده قلوباً لحمية تنبض بحب الله لا بحشو عقولهم ، حتى أن إجتماعه الوعظى الأسبوعى تجده مكتظاً بالأجانب الذين يأتون ليسمعوا فيه ومنه صوت الكنيسة الجامعة ، حتى أن بعضهم يحصون عدد كلمات عظاته المترجمة واليليغة ليس بلاغة اللغة فحسب بل بلاغة الروح .

تنسكب النعمة على شفتيه وتتدفق التعاليم وتتلاحق حتى أنه فى عظاته العقيدية لا يُبقى للفكر المضاد منفذاً ، مستنداً إلى النعمة التى تضئ ذهنه ، وترفعه إلى آفاق جديدة لم يطرقها أحد قبله ، وكأن عصر الآباء كيرلس وأثناسيوس وديديموس الضرير مستمراً فى الكنيسة وكأنه الآن!!

وإن كانت عظاته تحمل فكر الآباء إلا أنها ليست تكراراً بل إمتداداً خلاقاً للتقليد الكنسى وإنطلاقة للحياة فى المسيح ، وكما قيل أن القديس كبريانوس أسقف قرطاجنة والشهيد كان من أبرز الآباء بالنسبة للعقائد ولوحدة الكنيسة وأنه طبع بها حتى أعماقه ، اليوم قد إنطبعت عظات البابا شنوده بطابعها العقيدى والروحى فى فكر أصيل وتعبير واضح للعقائد وتعليم منطقى لها وقعها على السامعين ، وبهذا يكون قداسته قد مهد الطريق للذين يأتون من بعده فى مواجهة الإتجاه البلموسى والخمسينى وشهود يهوه والسبتيين واللاطائفيين وغيرها من الأفكار الهرطوقية .

الكتاب المقدس هو طريق البابا شنوده فى الوعظ للوصول إلى النفوس لأنه كتابه وغذاؤه ، ولا شئ من غوامضه يخفى عليه ، يقدم إنجيل الكنيسة كأيقونة المسيح المتجسد ، يقدمه مشروحاً بالآباء ومعاشاً فى القديسين ، فصارت عظاته بمثابة إنجيل قائم بذاته يأخذ منه ويتعلم ، وبه يعلم بسهولة ، وكلنا يعلم كم أن عظاته سياحة فى كلمة الله بإقتدار عجيب .

حتى عظاته غير التفسيرية هى ايضاً عظات إنجيلية مشبعة بأحداث العهد الجديد باعتباره مستتر فى العهد القديم وبآيات العهد القديم باعتباره مستعلن فى الجديد ، ليكشف سر المسيح المستتر فى القديم والمعلن فى الجديد ، فأبرز علاقة العهد القديم بالعهد الجديد مبرزاً وجه المسيح المنير .

يشرح الأمور الخفية فى الكتاب المقدس ويعرض عقائد الإيمان بما يتوافق مع مقتضيات الفكر والمنطق ، ويفسر الرموز والصور والأرقام والألفاظ والإصطلاحات الكتابية، ويستخدم فى شرحه الوعظى منهج التفسير الحرفى والروحى والرمزى للكتاب المقدس بطريقة ملائمة تناسب خلاصنا ومعونتنا فهو يفسر الحسيات بالمعنى الحرفى والروحانيات بالمعنى الروحى ، بكلمات تناسب مشيئة الروح القدس .

لقد إنطبق على قداسته ما جاء فى الباب الثالث من الدسقولية «أنه مملوء من كل تعليم أدبياً ، درب اللسان ، حى القلب فى التعليم ويعلم كل وقت... ويفسر الكتاب بتأمل» أشبع شعبه ورواه من نور الناموس فتغنى الأقباط بكثرة تعاليمه وإنضمت مواعظه إلى مواعظ البابا أثناسيوس الرسولى الذى كان يجول معلماً فى كل مكان مثبتاً الناس فى الإيمان السليم ، وتنضم إلى مواعظ القديس كيرلس عمود الدين فى دقتها التعليمية، وتنضم إلى مواعظ معلمنا البابا ديسقوروس الذى فهم الإيمان ودافع عنه ، وإلى مواعظ القديس ساويرس الأنطاكى الذى جال فى المدن والقرى يثبت قواعد الإيمان ويرد على أسئلة السائلين وإلى المواعظ الذهبية ليوحنا ذهبى الفم واغريغوريوس الثيؤلوغوس وكبريانوس أسقف قرطاجنة .

ومراجعة سريعة لعظات البابا شنوده نجد أن أكثرها هو شرح أو تفسير أو تعليق على آية أو حادثة أو شخصيات كتابية ، وكذلك رمزيات الكتاب أو ما يسمى علم المثالات *typology* .

وقداسته يضع الكتاب المقدس مفتوحاً بين يديه عندما يعظ سواء فى إجتماعه الإسبوعى أو فى لقاءاته مع الخدام أو فى محاضراته بالمعاهد اللاهوتية ، ويفسر الكتاب بالكتاب ، ومن أشهر تفسيراته شرحه للصلاة الربانية وشرحه للموعظة على الجبل ودراساته لمقدمات الأناجيل الأربعة والإصطلاحات والرموز والأسلوب العددى فى الكتاب، وفى تقديمه لشخصيات آدم وحواء وقايين وهابيل ، ويوسف ويعقوب ويونان النبى وغيرها من الشخصيات الكتابية .

فى قراءة مواعظ غبطته تستلمح بعض الخطوط العريضة التى تميز عظاته من جهة إنجيليتها وتأثيرها الروحى وما يقدمه قداسته من نماذج حية من سير وقصص القديسين

ومن شرح أبائى قوى بالرغم من تحول الأقباط إلى اللغة العربية بعد الفتح العربى ، إلا أنه بتفسيره الوعظى على نمط الآباء ، يكون قد كرر هذه الأعمال الخارقة التى عملها معلمى الكنيسة الأولين وأعاد لاهوت الآباء الكتابى ، وأعاد ايضاً إكتشاف الدالة مع كلمة الإنجيل ، حتى أن أسقفاً إسترالياً سأل قداسته «لماذا تحضر هذه الآلاف أسبوعياً لتسمعك؟» فأجباه قداسته قائلاً «السر فى هذا فقط» رافعاً الإنجيل المقدس بيده «عظوا من هذا الكتاب وسوف تسمعكم شعوبكم وتتغير وتستفيد» .

ولأن الكتاب المقدس بالنسبة للبابا شنوده مرعى وروضة لذا حفظ الكتاب ، وكبوق روحى وسماوى أعلن البشارة المفرحة ، استخدم الاستعارات والتشبيهات والمدلولات الرمزية وربطها بالمعنى الحرفى والروحى والرمزى كشارح للكتاب المقدس ، واهتم بالنمط التفسيرى للآباء يوحنا ذهبى الفم وأغسطينوس وكيرلس الكبير ، فصار واعظاً محبوباً من شعبه .

وبالجملة شهدت عظات البابا شنوده تراثاً رسولياً لا مثيل له ، وأقواله تنم عن توقد ذهنى ، وهو كشارح ومفسر للكتاب المقدس اشتهرت عظاته بتسلسل الأفكار وبتفسير النصوص وكأنها مدونة أمامه ، حتى أن لسانه يسرع لينقل ما يولده فكره ، والإنسان ليتعجب من ذاكرة قداسة البابا المؤيد بالنعمة ، كيف يحفظ ويفسر كل هذه النصوص الكتابية .

إنه بالحقيقة نيل الكنيسة الروحي الذي يروي أرجاؤها بغزارة
ويجعل زرع الايمان يثمر منة ضعف
ويعظ عائلة الله الروحية في الكنيسة المقدسة .

الفصل السابع

البُعد المسكونى

عند

البابا شنوده الثالث

البابا كقائد للعمل المسكونى

على خطى الآباء الأولين

البُعد المسكونى

عاشت كنيستنا قروناً طويلة فى عزلة كاملة ، حتى أن البعض ظن أنه لا كنيسة فى مصر ، ثم بدأت تنفتح على العالم كله تتعرف عليه ويتعرف عليها عن طريق اللقاءات والمؤسسات والحوارات والمجالس المسكونية بكل أنشطتها ، فصار للكنيسة القبطية فى عهد قداسة البابا شنوده كيان مؤثر ومعروف إلتفت إليه العالم كله وتطلع إلى تاريخها وجوانب عظمتها .

اهتم البابا شنوده بالوحدة الكنسية والمسكونية وجعلها موضوع الساعة وأخذ على عاتقه مسئولية جديدة وثقيلة فيما يتعلق بالدعوة لوحدة الكنيسة كسمة جوهرية فى حياتها ، وركز غبطته على الأساس الأبائى لمسكونية الكنيسة خلال وحدة الإيمان فى الحق الأبدى غير المتغير ، وعلى ضرورة العودة إلى فكر وحياة ونمط الكنيسة الأولى ووحدة الإيمان الواحد .

قاد قداسة البابا العمل المسكونى بنفسه فى الكنيسة القبطية من خلال الحوار اللاهوتى ومن خلال المشاركة فى أنشطة المجالس المسكونية ، وتبادل زيارات المحبة مع قادة الكنائس ، مؤكداً على أهمية الوحدة المسيحية على أساس الإيمان الواحد قولاً وعملاً ، وأن السعى لتحقيق الوحدة هو سعى لتحقيق مشيئة ورغبة السيد المسيح ، لكى نكون جميعاً واحداً . كما ساهم قداسته بفيض وغزارة فى التأكيد على المحبة بين الكنائس معتبراً أن الإختلافات اللاهوتية ينبغى أن لا تؤثر على المحبة بين الكنائس المسيحية .

ولأن قداسة البابا شنوده يحمل قلباً مسكونياً *Ecumenical Heart* جعل كنيستنا تشترك بفاعلية فى الأنشطة المسكونية العالمية:

١) مجلس الكنائس العالمى *World Council of Churches*
٢) مجلس كنائس الشرق الأوسط *Middle East Council of Churches*
٣) مجلس كنائس أفريقيا *All Africa Conference of Churches*

٤) المجالس القومية

١) المجلس القومى لكنائس المسيح بالولايات المتحدة الأمريكية
National Council of Churches of Christ in U.S.A.
٢) مجلس الكنائس الكندى *Canadian Council of Churches*
٣) مجلس الكنائس الاسترالى *Australian Council of Churches*

فصار للكنيسة القبطية حضور وتواجد فى هذه المجالس المسكونية وتعمقت جسور المحبة بينها وبين الكنائس الأخرى .

هذا وقد اختارت الجمعية العمومية لمجلس الكنائس العالمى قداسة البابا شنوده ليكون أحد رؤساء المجلس عن الأرثوذكس الشرقيين *Oriental Orthodox* والشرق الأوسط ، عندما اختاره ممثلو الـ ٣١٦ كنيسة الأعضاء بالمجلس تقديراً لمكانته فى العالم المسيحى كلاهوتى قدير ورائد من رواد الوحدة المسيحية والعمل المسكونى وكباعث لنهضة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية فى العصر الحديث .

وأُختير ايضاً قداسته ليكون أحد رؤساء مجلس كنائس الشرق الأوسط فى دورته الحالية ، فذكّر الكنائس برسالتها نحو الشهادة للمسيح ونشر ملكوت الله ، وكرز للعالم كله بقداسة الكنيسة وبالتوبة وبإحترام الكتاب المقدس كأساس للعقيدة اللاهوتية ، وعمل كمبشر من أجل نشر الإيمان المسيحى فى أرجاء الأرض ، وكمدافع يدافع عن صحة إعتقاد الكنيسة متشبهاً بالبابا أثناسيوس الرسولى حامى الإيمان فى صياغاته وحواراته اللاهوتية بعد أن مر وقت كاد العالم لا يعرف فيه شيئاً عن الكنيسة القبطية لولا البابا شنوده الثالث .

وكما إلتفت كل كنائس العالم على إيمان البابا أثناسيوس بلا خلاف ، هكذا على إيمان البابا شنوده الثالث خليفته تنشط الحوارات اللاهوتية سواء الثنائية *Bilateral* أو المتعددة الأطراف *Multilateral* ، بعد أن تمت محاولات عديدة للوحدة بين الكنائس بعد مراحل الإنشقاق ولم تكلل بالنجاح ، إلا أن البابا شنوده أدرك مدى مسئولية منصبه الرفيع فيما يتصل بخدمة تحقيق وحدة الكنائس ، وفتح الطريق أمام التغلب على الإنقسام بين الكنائس والذى دام حوالى ألف وخمسمائة عام ، بعد أن صارت الكنائس غريبة عن

بعضها منذ مجمع خلقيدونية عام ٤٥١م .

وإذا كان التاريخ قد لقب القديس هيلارى أسقف بواتييه بـ «أثناسيوس الغرب» فيحق أن نسمى البابا شنوده «أثناسيوس الشرق والغرب» بعد أن أسس حجارة حية فى بيت الله المسكونى بلقاءاته وحوارته المستمرة من أجل الوحدة فى أكثر من بقعة من العالم ، حاملاً مشعل الأرثوذكسية بروح نارية قوية يخاطب العالم المسيحى بالتعليم الصحيح مدافعاً عن حق الإنجيل على نهج أسلافه الآباء الطوباويين أثناسيوس وكيرلس وديسقورس.

وبفضل ريادة قداسة البابا ومجهوداته صارت هذه الأعمال بمثابة دخول للكنيسة فى العصر المسكونى *Ecumenical Age* من جديد ، فيقول غبطته «نحن نؤمن بالعمل المسكونى وبوحدة الكنيسة من كل قلوبنا: فالكنيسة هى جسد المسيح والمسيح له جسد واحد ، والكنيسة هى عروس المسيح والمسيح له عروس واحدة ، نؤمن بكنيسة واحدة جامعة رسولية ، والمسيح أرادها رعية واحدة لراع واحد (يو١٠) ، وكانت الكنيسة واحدة فى عصر الرسل ، الكنيسة تكون واحدة فى الإيمان والعقيدة ، لتبنى الوحدة على أساس سليم» .

والبابا شنوده كلاهوتى يرى أن اللاهوت مسكونى بطبيعته ، وهو صاحب رؤية مسكونية لعمل الله ، لذلك لم تكن المسكونية عنده بعداً يضاف إلى اللاهوت ولكنها إمتداد طبيعى للفهم الصحيح للاهوت ، وبهذا لم يجعل الوحدة مجرد موضوع يناقشه الرعاة واللاهوتيون ، إنما هى رجوع إلى الكنيسة المسكونية الواحدة التى لها مسيح واحد وغاية واحدة وتعيش بفكر أبائى واحد .

مفهوم غبطته للوحدة مفهوم أبائى أصيل لا يقوم على مجرد تجميع الطوائف وإقامة إتحادات بينها ، وإنما عودتها جميعاً إلى الكنيسة الأم الرسولية قبل الإنقسام ، لذا عمل قداسته على توصيل إيمان الرسل إلى الكنائس ، يشرحه ويثبته ويدافع عنه متبعاً خبرة وفكر الآباء ، وهو أقدر الآباء المعاصرين على الشهادة للحياة المسيحية غير المنقسمة ، يحمل لقادة الكنائس الفكر الواحد وسط إختلاف الثقافات والمواهب والظروف وبُعد المسافات بين الكراسى الرسولية .

إنطلق عمل قداسة البابا من أجل وحدة الكنيسة فى العالم على أساس الوحدة فى الإيمان مثلما كانت الكنائس متحدة فى الإيمان فى القرون الأولى للمسيحية ، لذا ساهمت الكنيسة فى عهد حبريته بدور فعال فى العمل اللاهوتى من جهة الأبحاث والدراسات التى تقدمت بها أثناء سير الحوار الرسمى بين الكنائس حول طبيعة السيد المسيح:

١) مشكلة الإصطلاحات والتعبيرات اللاهوتية *Problems of Terminology*
٢) الصيغ التى أصطلحت عليها المجامع *Conciliar Formulations*
٣) العوامل التاريخية *Historical Factors*
٤) تفسير العقائد الحالية فى موضوع طبيعة المسيح *Interpretations of Christological Dogmas Today*

هذا وقد صدرت بحوث لاهوتية عن أرثوذكسية وقداسة البابا ديسقوروس ، الأمر الذى يعد نصراً جديداً وثمرة جميلة لإنفتاح الكنيسة القبطية وتبوأها مكان القيادة فى كثير من المؤسسات المسكونية ووصولها إلى القمة ، بعد أن أشرف على العمل المسكونى بابا الكنيسة بنفسه ، فعمق العلاقات على أعلى مستوى كنسى رسمى ، بعد تمزق وإنشقاق.

وسوف يذكر التاريخ للبابا شنوده حكمته وغزارة معرفته اللاهوتية فى نجاح الحوارات وما صادفها من صعوبات وصلت بها إلى طريق مسدود فيما يتعلق برفع الحروم ، وساد الشعور بعدم إمكانية إستمرار الحوار والرغبة فى التأجيل ، إلا أن إتصالاً تليفونياً بغبطته أنقذ الإجتماع من الفشل بصيغة مقترحة لحل الخلاف وافق عليها الجميع ، إنه بحق الرجل الأول فى العمل المسكونى وعلى مستوى المسكونة كلها .

قدم الحلول للمشاكل اللاهوتية مستندا إلى تعليم الكتاب المقدس وتعاليم المجامع وشروحات الآباء ، فصير هذه اللقاءات الحوارية إجتماعات آبائية وتقليد عرفى *Patristic Tradition* أو حجة آبائية *Patristic Argument* ودليل فى المناقشات المسكونية .

وكحضور البابا أثناسيوس فى مجمع نيقية والآباء اغريغوريوس الثيؤلوغوس وباسيليوس الكبير والبابا تيموثاوس السكندرى الـ ٢٢ فى مجمع القسطنطينية والقديس كيرلس

السكندرى فى مجمع أفسس ، هكذا حضور البابا شنوده فى اللقاءات المسكونية من حيث تحديد التعليم والصياغات وشرح العقيدة ، بالإضافة إلى أحاديثه فى الجلسات الغير رسمية حول قداسة الكنيسة واحترام الإنجيل ومعالم الحياة الروحية وتعليمه حول الرعاية والإفتقاد والإهتمامات الرعوية ، تلك الأمور التى تساعد الكنائس على تنظيم خدمتها الداخلية .

فى كل مدينة تتبارك بزيارة قداسة البابا شنوده يلتقى بممثلى الكنائس ورؤسائها ، يعمل من أجل المسكونية ويعبر عن إيمانه العميق بالوحدة المسيحية (رو١٠ :١٦) التى يرى أنها وحدة الإيمان حتى وإن تنوعت الكنائس فى نظمها الإدارية والطقسية ، وغبطته فى كل ذلك يحرص على الحوار اللاهوتى بروح المحبة وليس للبحث عن آلام الماضى ، بروح الصراحة لحل المعضلات الخلافية ومعالجتها واقعياً ، يساعده فى ذلك عمق معرفته اللاهوتية المعبرة عن الإيمان المستقيم ، الأمر الذى جعل الكاردينال ڤيتر *Watter* يرحب بقداسة البابا فى ميونخ قائلاً: «نحن هنا فى ألمانيا كنا متشوقين إلى الوحدة بين شطرى ألمانيا ، وقد تمت الوحدة وزال الحائط فجأة بصورة لم نكن نتوقعها ، ونأمل أن تتم وحدة الكنيسة بنفس الصورة . جهودكم من أجل الوحدة التى بذلتموها قبل إعتلائكم البطريركية ، نحن نعرفها ونعرف ما فعلتموه فى ڤيينا . البابا بولس السادس اعتبر أن الصيغة التى توصلتم إليها هى الصيغة المناسبة لإتمام الوحدة» .

لقد عبر الكرادلة الألمان عن إبتهاجهم بسقوط سور برلين وبإنهيار سور خلقيدونية ذلك الخلاف اللاهوتى الذى حدث منذ قرون خلت ، وأكد قداسة البابا على أن مخلصنا قد حطم السور (الحاجز) بين الله والإنسان ونتمنى أن تتحطم جميع الأسوار التى تفصل بين الكنائس المسيحية لتحقيق وحدة الإيمان .

لقد إلتقى البابا شنوده بمعظم رؤساء كنائس العالم وقادتها خلال زياراته ولقاءاته المتبادلة مع كل من: البطريرك المسكونى ديمتريوس وخليفته بارثلماوس ومارأغناطيوس يعقوب بطريرك السريان ومارأغناطيوس هزيم بطريرك الروم الأرثوذكس والكاثوليكوس فاسكين الأول ومطارنة الهند والبطريرك بيمن وخليفته ألكسى الثانى بطريرك روسيا والأنبا مكسيموس بطريرك بلغاريا والأنبا إيرنيموس وسارفيم رؤساء إساقفة أثينا ، والبطريرك بارثينوس بطريرك الروم لشمال أفريقيا ، والبطريرك ألياس معوض بطريرك أنطاكية ورئيس

أساقفة كانتربرى ، والبطريرك ميشيل صباح بطريرك زورشليم للاتين والأنبا داميانوس مطران سانت كاترين ، والدكتور هول رئيس الكنيسة المشيخية بأمريكا ، المطران ثيؤدوسيوس رئيس الكنيسة الأرثوذكسية بأمريكا ، الأب ليونيد كشكوفسكى رئيس مجلس الكنائس بأمريكا ، وبكثير من ممثلى ورموز الكنائس والمجالس المسكونية .

وبإعتبار قداسته رئيس أقدم كنيسة رسولية فى العالم ، لها مدرستها اللاهوتية الشهيرة قدمت دراسات مسكونية قادت مسيحية العالم فى القرون الأولى ، اليوم يعلم غبطته طلبة المعاهد اللاهوتية المسكونية ليهتموا بالحياة الروحية وأن يتمسك كل لاهوتى بروح الإتضاع ولا يكتفى بالتزود فقط بالمعلومات فيتمتع الجميع بغزارة علم قداسته اللاهوتى وعمق معرفته بالكتاب المقدس ، وحفظه للآيات الكتابية وشواهدها .

وقداسته حريص على أن يعيش اللاهوتيون الأقباط والشعب القبطى فكرة الوحدة المسكونية ، وقد أدخل تدريس مادة المسكونيات فى الكلية الإكليريكية ، وجعل مجلة الكرازة منبراً للأخبار المتعلقة بالدفاع عن وحدة الإيمان .

إن مبادرات أبينا البابا شنوده وسعيه الجبار فى المجالس المسكونية وفى الحوارات والزيارات المتبادلة مع رؤساء الكنائس ، تعتبر أحداثاً كنسية تاريخية من الدرجة الأولى بحسب شهادة الثقاة والمورخين المعاصرين ، وسيسجل التاريخ لقاءات قداسة البابا مع الآباء البطاركة كسمة مسكونية فى عهده ، ومن المؤكد أن لقاء البابا شنوده مع بابا روما البابا بولس السادس بعد آخر لقاء بين الكرسيين منذ حوالى خمسة عشر قرناً لن ينسى ، إذ فيه كشفت روما استعدادها لقبول «بابا» آخر غير «البابا الرومانى» كبادرة إنفتاح ووحدة على أساس قيادى وبروح رسولى أصيل كان ثمرته صدور البيان المشترك بين الكنيستين القبطية والرومانية فى الوثيقة التاريخية التى تضمنت نواحى الإلتقاء فى الإيمان وأسس التعاون المشترك بينهما فى طريق الوحدة وقد وقع على هذه الوثيقة صاحبا القداسة البابا شنوده الثالث والبابا بولس السادس .

ومما يذكر لقداسة البابا فى خدمة العمل المسكونى تدعيمه الريادى لجمعية «من أجل الشرق *Pro Oriente*» ورئاسته للحوارات اللاهوتية التى بها أمكن الوصول إلى إتفاقيات بشأن كل الخلافات المتعلقة بالإيمان وبالخلافة الرسولية والمجامع ورفع الحروم

المتبادلة ضد الآباء والمجامع الخاصة بالطرفين ، ولقاءاته مع قيادات الكنائس الكاثوليكية والأسقفية والإنجيلية والمشيخية والأشورية فى إجتماعات دورية وإتصالات مشتركة .

وبرؤية لاهوتية ثاقبة لم يجعل قداسة البابا شنوده من المسكونية تنازلاً عن العقيدة إرضاءً أو مجاملة إنما إنفتاح وتلاقى ، وقد لعب لاهوت الآباء دوراً حاسماً على يديه لا كشعور خاص بل بالتوثيق الأبائى ، الذى حقق الإتفاقية المشتركة بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية «اللاخلقيدونية» والكنائس الشرقية «الخلقيدونية» والتى تعبر عن الإيمان المشترك لكنائس العائلتين فيما يتعلق بطبيعة السيد المسيح الكريستولوجية والإتفاق بشأن الرفع المتبادل للحروم ضد الآباء والمجمع ، بكونهم كنيسة واحدة ، تحمل إيماناً واحداً وفكراً واحداً وتقليداً رسولياً واحداً ، وإن اختلف التعبير عنه فى كل كنيسة حسب لغتها وثقافتها وطقسها الخاص .

واليوم يمكن اعتبار أنه قد تم نهائياً التغلب على الإتهام الخاطئ للكنائس الشرقية القديمة غير الخلقيدونية بأنها تتبع فكرة المونوفيزيت *Monophysite* ، ذلك الإسهام الذى أساء العلاقات بين الكنائس طوال قرون عديدة ويرجع الفضل فى تحقيق هذا الكسب الكنسى التاريخى بالدرجة الأولى إلى قداسة البابا شنوده الذى سيتوحد على إيمانه العالم كله .

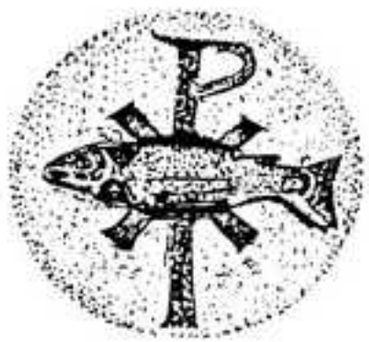

قداسة البابا مع شيخ الأزهر
[حب ومودة]

قداسة البابا فى المقر البابوى
دير الأنبا بيشوى
[صفاء وشركة]

قداسة البابا فى صنع الميرون
[نمو وامتداد]

قداسة البابا فى سيامة أساقفة إريتريا
[كرازة مستمرة]

قداسة البابا فى تدشين أحدى الكنائس
[عمل النعمه]

قداسة البابا فى سيامة بعض الراهبات
[أبوة وبذل]

قداسة البابا وحفلات إفطار شهر رمضان

قداسة البابا فى إحدى محاضرات الكاتدرائية
[البابا المعلم]